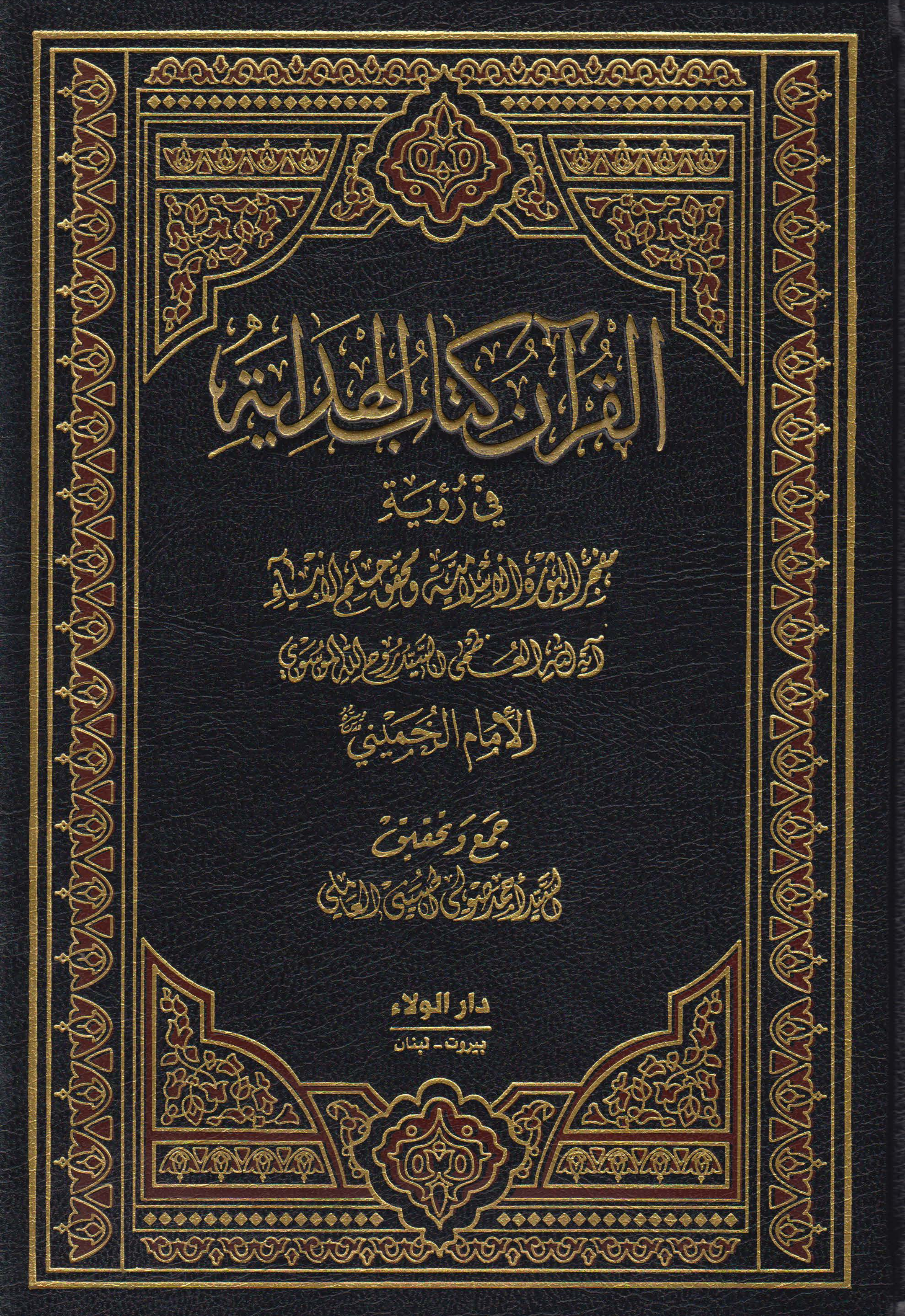
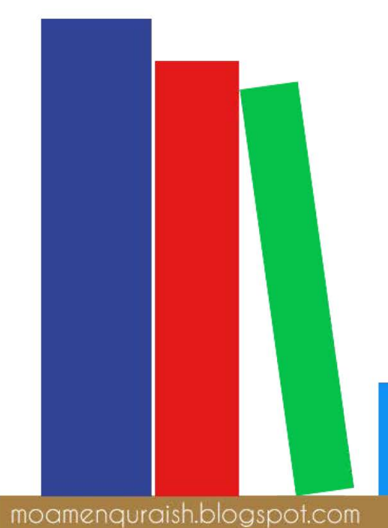


القرآن كتاب الهداية
في رؤية
مفجر الثورة الإسلامية ومحيي حكم الأنبياء
آية الله العظمى السيد روح الله الموسوي
الإمام الخميني قدس سره
جمع وتحقيق
السيد أحمد موسى الحسيني العاملي
دار الولاء
بيروت - لبنان



القرآن كتاب الهداية

في رؤية

الإمام الخميني (قدس سره)



لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 00961 1 545133 - 00961 3 689496 - ص.ب. 307/25
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com - daralwalaa@yahoo.com



مركز نداء الإمام الراحل
لنشر الفكر الأصيل

nida2_imam@hotmail.com

ISBN 978-614-420-073-5

اسم الكتاب: القرآن كتاب الهداية في رؤية الإمام الخميني قدس سره

المؤلف: آية الله العظمى السيد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره

جمع وتحقيق: السيد أحمد صولي الحسيني العاملي

إصدار: مركز نداء الإمام الراحل قدس سره (منار) لنشر الفكر الأصيل
دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة: الأولى - بيروت ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



في رؤية

مفجر الثورة الإسلامية ومحقق حلم الأنبياء

آية الله العظمى السيد روح الله الموسوي

الإمام الخميني قدس سره

جمع وتحقيق

السيد أحمد حصولي الحسيني العاملي

دار الولاء

بيروت - لبنان



الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأعز المرسلين ،

سيّدنا وقائدنا محمد بن عبد الله ،

وعلى أهل بيته الهداة المهديين ،

المعصومين المظلومين ،

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين ،

منذ آدم إلى قيام يوم الدين ،

اللهم عجِّل لوليك الفرج والعافية والنصر

واجعلنا من أنصاره وأعوانه

والذابّين عنه والمستشهدين بين يديه

برحمتك يا أرحم الراحمين .

الإهداء

إلى من قصرت عن إدراك عظمته العقول

إلى قرّة عين الرسول وبهجة قلب الوصي والبتول

إلى مصباح النبوّة ومشكاة الإمامة

إلى شهيد القرآن وعِدْلِه وترجمانه

إلى تالي كتاب الله من على رأس القنا

فما فارقه يوماً وما قلى

إلى الإمام الشهيد ومن لم يقر إقرار العبيد

إلى الذي أحيت دماؤه الإسلام من جديد

إلى مصباح الهدى وسفينة النجاة

إلى من تُرك على رمضاء كربلاء تسفو عليه ريح الفلاة

إلى سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء

إلى من تبكيه العيون بدل الدمع دماء

إلى ثاني السبطين وسيّد الكونين

إلى أبي الأحرار أبي عبد الله الحسين عليه السلام

أرفع إلى حضرتك المقدَّسة شذراتٍ خمينيّة

من مائدة ربانيّة مفعمةٍ بالآيات القرآنيّة

تزهو بعبق الولاء والوفاء والفداء

راجياً منك القبول والشفاعة والدعاء

سليلُ الحسين «أحمد»

كلمةٌ لولي أمر المسلمين
الإمام القائد السيّد علي الحسيني الخامنئي ﴿دام ظله﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن راية الإسلام وعزّة المسلمين

[«القرآن رايةُ الإسلام العالية، ويجب على المسلمين التمسّك بهذه الراية، ولا ينفكّوا عنها». و«القرآن مصدر عزّة المسلمين، ولا يقتصر معناه على تلاوته والاعتقاد به فحسب، إنَّما هو نظام متكاملٌ للحياة الاجتماعيّة»، من هنا «لا بُدَّ أن يتجلّى القرآن في أفعالنا وحياتنا وسلوكيّاتنا وأخلاقنا، وفي المسيرة العامّة للأمّة الإسلاميّة».

إستخلاص العبر من القرآن لكريم

إنَّ «القرآن صادقٌ مصدّقٌ، وهو يدعونا إلى استقاء العبرة من التاريخ»، و«من هذا القرآن انبثق الإيمان الخالص الذي تحلّى به المؤمنون عبر التاريخ». ولا بُدَّ أن ندرك أنَّ «التمسّك بالإسلام والعمل بأحكام القرآن هو السرّ في بقاء واقتدار النظام الإسلامي»، ف «إيّاكم أن يسبقكم للعمل بمفاهيم القرآن من ليس له إيمان بها، فيتقدّموا عليكم وتتأخّروا عنهم».

أكبر المصائب في الابتعاد عن القرآن

إنّ «أكثر مصائب الأمّة الإسلاميّة ناتجة عن ابتعادها عن القرآن». و«ببركة القرآن تُزال الكثير من الظلمات والمبهمات من قلب وروح الإنسان»، فـ «القرآن نابضٌ بالحياة على الدوام، وهو يهتمّ بمتطلّبات الإنسان، وبإمكانه أن يكون أفضل وصفة لسعادة الإنسانيّة».

تلاوة القرآن وتدبّر معانيه

«إقرأوا القرآن باستمرار كلَّ يوم مهما قلّت التلاوة، واتلوه متوجّهين لمعناه»، و«عليكم بالسعي لفهم القرآن، وأن تقرأوه بشكل منتظم»، فإنَّ «القرآن يمنح الإنسان البصيرة، ويلهمه العلم بالمعارف الإلهيّة، ويصدّ الإنسان عن الخطأ في الكثير من المواطن». فـ «القرآن صادرٌ عن الباري تعالى بألفاظه ومعانيه وهذا ما يوجب التأمّل الدقيق فيه واستيعاب معانيه والغور في أعماقه».

من هنا «يجب أن لا يمرّ عليكم يومٌ لا تقرأون فيه شيئاً من القرآن بتدبّر»، فـ «آنسوا أنفسكم بالقرآن وتدبّروه»، و«حاولوا تلاوة ما يتيسّر لكم تلاوته من القرآن يوميّاً فتلاوة القرآن تضفي عليكم نورانيّة».

واعلموا «أنَّ فضيلة قراءة جزءين من القرآن دون تأمّل وتدبّر أقل من قراءة سطرين منه بتدبّر وإمعان»، ولهذا «حينما يقرأ المرء آيةً من القرآن يجب عليه التأمّل العميق فيها، واستخلاص معناها».

«إنَّ القرآن ليس للتلاوة في الزوايا، بل هو للعمل والعلم والمعرفة» وما «جلسات القرآن وتلاوته، إلا مقدّمة لمعرفة المفاهيم القرآنيّة».

ضرورة تعلّم القرآن وعلومه

«يجب أن يكون القرآن جزءاً من دروس الحوزات، وعلى طلّابنا في الحوزات حفظ القرآن أو جزء منه على الأقل وعليهم الأنس به»، كما أنَّهُ «يجب الاهتمام بعلوم القرآن والمسائل المتعلّقة بالقرآن، ومجموعة المسائل المنضوية تحت عنوان العلوم القرآنية».

أوصيكم:

أن «علّموا الأطفال الأمور اللازمة والمفيدة التي تقرّبهم إلى فهم معاني القرآن، لتترسّخ في أذهانهم كالنقش في الحجر، وتعود عليهم بالبركة إلى آخر العمر»، فـ «كلّما زادت معرفة المرء بالقرآن كلّما انجذب إليه أكثر». و«اعلموا أيّها الشباب والأشبال الذين تتعلّمون القرآن، أنكم تدّخرون ثروة لا تنفد مدى الحياة»، فـ «القرآن بحرٌ واسعٌ كلما مضيتم به قدماً ازددتم ظمأً ورغبةً، وازدادت أفئدتكم نورانيّة»، وهو «كالغيث فهيّئوا قلوبكم وعرّضوها لهطول الغيث لكي يسري القرآن إلى أعماقها»][1].



(١) هذه المقاطع مأخوذةٌ من كتاب «الكلمات القصار» للإمام القائد آية الله العظمى السيّد علي الحسيني الخامنئي ﴿دام ظله﴾، إعداد ونشر: جمعية المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، بيروت ـ لبنان.

كلمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

في خضم زمن الأزمات والتحولات وخوف المكاره، يلجأ الغريق الهالك والشريد التائه إلى ساحل الأمان والجبل العاصم، ويستهدي منار الهداية، ويرتشف معين الرعاية ليكون له إكسيراً يولج فيه الروح بعد السبات العميق.

وتبزغ شمس «خمين»، وتنسل خيوطها الذهبيّة على ولادةٍ مباركةٍ لوليدٍ صارت ولادته بشارة الأمل وكلمةً طيبةً أتت أُكُلَها بإذن بارئها ثماراً يانعةً أنتجت ثورة، والثورةُ وهبت حياةً لمن ناموا وماتوا، فإذا قاموا ثاروا، وإذا ثاروا انتبهوا.

منذ البداية شملته العناية، وأدرك أن لا بديل عن الإسلام الأصيل، فشدّ الهمم، واعتنق القمم، لصلاح خير الأمم، فأنار ظلمتنا، وأخرجنا من وحشتنا.

وأطلق الإمام النداء، وكان منا الولاء والبيعة والوفاء، فلهجت أرواحنا بحبّه، وتعلّقت قلوبنا بعشقه، واستنارت عقولنا بهديه ونهجه وخطّه.

فلروحه السامي السلام وعلو الدرجة والمقام، وصلى الله على أجداده محمّدٍ وأهل بيته الكرام خير الورى وسادة الأنام.





مقدّمةُ التحقيق



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوَجاً، وجعله تبياناً لكُلِّ شيءٍ ورحمةً وهدىً للمتقين.

والحمد له تبارك وتعالى أن جعلنا من المتمسّكين بكتابه المبين، وهدانا ببركته إلى صراطه المستقيم الذي أنعمه على النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، ولم يجعلنا من المغضوب عليهم ولا الضالّين، فدعانا للتمسّك بالثّقلين، الأكبر والكبير، وأفصح عن الهدى بنور كتابه المنزل على قلب نبيه المرسل ﷺ، وجعل العترة الطاهرة عليهم السلام عِدلاً لذلك النور، فكانا حبلين ممدودين من السماء، لا يضلّ من استمسك بهما، ولا ينجى من تخلف عنهما.

والشكر كُلُّ الشكر على نعائمه التي لا تحصى بأن عرّفنا على محمّد الأمين ﷺ، نور الهداية الطالع، وشمس الإيمان الساطع، وعلى عترته الطاهرين خزّان الوحي ومعالم الدين، صلوت ربّي عليهم أجمعين.

ونسألك يا إلهي أن تجعلنا في زمرتهم وتحت لوائهم ورايتهم، واسقنا من كأسهم الأصفى ما يروينا، وآتنا من فهم القرآن وعلمه الأوفى ما يغنينا.

وعجّل إلهي فَرَجَ خزانة أسرار الأنبياء والمرسلين والأئمة الغُرِّ الميامين، خاتمهم وقائمهم المُدَّخَر لتجديد ما درس من الفرائض والسُنن، والمحفوظ لإعادة الملّة والشريعة، والمُؤمّل لإحياء الكتاب وحدوده، ومُحيي معالم

الدين وأهله، وقاصم شوكة المعتدين، وقاطع حبائل الكذّابين والمنحرفين، ومُعزِّ الأولياء، ومُذلِّ الأعداء، جامع الكلمة على التقوى، المهدي الموعود، الحجّة المنتظر محمّد بن الحسن، اللهمَّ عجّل فرجه، وسهّل مخرجه، واجعلنا من أنصاره وأعوانه والذابين عنه والمُستشهدين بين يديه، آمين يا ربّ العالمين.

واللعنةُ الدائمةُ الأبديّةُ على أعدائهم وغاصبي حقوقهم ومُنكري فضائلهم ومناقبهم إلى قيام يوم الدين.

وبعد:

يصطدم المرءُ عند محاولته الكتابة عن العظماء وحول الشخصيّات الكبيرة بصعوباتٍ جمَّةٍ وعوائق كثيرة، فعظمة الخطوة من عظمة موضوعها. وهذا ما وجدت نفسي واقعاً فيه عند شروعي بكتابة هذه الكلمات والسطور حول إمام الأمّة الراحل الإمام الخميني المقدَّس ﷺ. فمرَّةً أخرى أنعم الله ﷻ عليَّ ووفقني لأن أكون في خدمة هذا العبد الصالح المطيع لله ورسوله ﷺ، وجعلني واسطةً في نشر الأفكار النيّرة والكلمات المضيئة لهذا الإمام الوقور، والسيّد الجليل، والفقيه المجاهد. فحياتُهُ كُلُّ حياته كتابٌ فيه أحرف من نور ترسم لنا معالم الطريق، وتبيّن لنا حدود السبيل، فيرشدنا بإرشاداته إلى الصراط المستقيم حتى لا تتفرّق بنا السبُل.

وازداد الأمرُ عليَّ صعوبةً وتعقيداً بعد أن كان موضوع كتابتي متعلّقاً بالثقل الأكبر، والمائدة الربانيّة العظمى، والوحي المُنزل من السماء على سيّد الأنبياء محمّدٍ المصطفى عليه وعلى آله الكرام البرّرة أفضل الصلاة وأزكى السلام.

فماذا يكتب مُتَطفِّلٌ عن بحرٍ زاخرٍ وفيضٍ وافرٍ؟ وماذا تُنشىءُ بناتُ

الأفكار الراكدة عن سرٍّ من أسرار الحقّ المطلق ـ تعالى شأنُهُ ـ؟ وكيف تجرؤ نفسٌ ابتُليت بمرض الغفلة عن القرآن وهجرانه أن تُقارب ساحة قدسه وشرافته؟

إلا أنَّ ما هوَّن عليَّ هذا الخطب أنَّني وجدتُ نفسي بين يدي إمامٍ عارفٍ وعالمٍ عاملٍ، عاش القرآنَ في كُلِّ كيانه وحياته، وخالط روحه وعقله في كُلِّ حركاته وسكناته، فكان دستور وكتاب الحياة والهداية الذي نهل منه كُلَّ يومٍ وفي كُلِّ حادثةٍ وواقعةٍ.

من هنا، سرت دماءُ الجرأة في شراييني، وتوقّدت روحي حماسةً، فعمدتُ إلى الاغتراف من بحر الإمام الفيّاض، وأخذتُ رشفةً واستقطرتُ قطرةً من زلال فكره المعطاء، لأعيش أجمل أوقاتي وآناتي مع الأصالة في الفهم، والشمول في الاستيعاب، والرزانة في الطرح، حول صحائف الكتاب العزيز، وآياته الباهرات، وما يتعلّق بمقاصدها، ومطالبها، وعظمتها، وأُسِّ الدعوة التي تدعو إليها وتحثُّ عليها.

فإمامُ الأُمَّة الراحل الخميني المُقدَّس أحد المجذوبين الشغوفين بالقرآن الكريم، وقد عكف على تلاوته والاستفادة من رشحاته طوال عمره الشريف، وعمد إلى سوره وآياته تلاوةً وفهماً وإدراكاً لتهذيب نفسه وللخروج من بيت ظلمة النفس، فاستأنس به واستنار بنوره وهديه. وللتدليل على هذه الحقيقة ـ من كونه قدس سره قد قضى جلَّ عمره في رحاب القرآن وبالرغم من الصعوبات والأمراض وحالات التعب والإرهاق النفسي والجسدي ـ ننقل هذه الحادثة عن السيّد فاطمة الطباطبائي، زوجة السيّد أحمد الخميني رحمه الله، نجل الإمام قدس سره، تقول: «أُصيب الإمام قدس سره إبَّان إقامته في النجف الأشرف بآلام في عينيه، راحت تبعث على قلقنا. عندما ذهب إلى الطبيب وفحص عينيه، قال له: ليس هناك مشكلة حادَّة، ينبغي

فقط أن تريح عينيك، وتمتنع عن تلاوة القرآن عدّة أيام. تقول: فرحنا لكلام الطبيب، بعد أن طمأننا على سلامة عيني الإمام، بيد أنَّ الإمام ما لبث وأن خاطب الطبيب مبتسماً: دكتور، أنا أريد عيني لأجل قراءة القرآن، وإلا ما الفائدة في أن يكون لي عينان ولا أقرأ القرآن! أضاف: إفعل لي شيئاً بحيث أستطيع أن أقرأ القرآن»[١].

بهذه الروحيّة الوقّادة التزم الإمامُ ﴿قدس سره﴾ القرآن، فما تركه يوماً، وقد شاهد العالم كُلُّهُ الإمام ﴿قدس سره﴾ على فراش المرض وقبل عروج روحه الملوكوتيّة إلى مقرّها الأبدي، كيف كان يتلو الآيات الكريمات، يرتلها ويُقلّبُ صفحات الكتاب العزيز بقفازاته البيضاء كبياض قلبه ونقاء روحه، ثم يُقبّله ويضعه على جبهته وعينيه احتراماً وتقديساً. الكُلُّ شاهد وأدرك مدى تعلّق الإمام ﴿قدس سره﴾ بهذا الكتاب، وكيف كان يستأنس به، فيخرج به من أسر الأوجاع وضيق تلك الغرفة، التي لو كان لجدرانها قدرةٌ على النطق لباحت بالكثير الكثير من حالات وصال العاشق مع معشوقه، وساعات قيام الليل على الرغم من القوى البدنيّة الخائرة، والجسد النحيل المُرهق.

أنّى لهذه الغرفة أن تُفصح، ولو أنَّها فعلت لأخبرتنا عن الزفرات والدموع ولوعة فراق المحبوب، والشوق الحارق للقائه المُرتقب ووصاله المُنتظر.

ابتعدنا عن المطلب وعنانُ القلم جرَّنا إلى وادٍ آخر عميق، ذي شؤونٍ وشجون، فيا لائمي لا تلم، فإنَّ لذكر الإمام عطرٌ وشذىً فوّاح، يجذب المرء كما تُجذب الفراشةُ لوهج الشموع ونورها وتُستدرج النحلةُ لأريج الزهور ورحيقها.

(١) برادشتهايى از سيره امام خمينى (فارسى)، ج٣، ص٦.

وبالعودة إلى أصل مطلبنا، وقبل الغور في أودية عرفان الإمام السحيقة، والغوص في بحار علومه العميقة حول القرآن الكريم لنأخذ منها الخير العميم، لا بُدَّ من وقفاتٍ ومحطّاتٍ، أولها:

الاستفادة الشاملة من الكتاب العزيز

إنطلاقاً من قول الرسول الأكرم ﷺ: «**إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنَّهُ شافعٌ مشفّع وماحل مصدّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل، وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له تخوم، وعلى تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة...**»[1]، جعل الإمامُ الخميني قدس سره القرآنَ نصب عينيه دائماً، فكان رفيق دربه الدائم، ومرجعه الأوّل والأخير، فهو خلاصة كتب الأولين من الأنبياء عليهم السلام، وخاتمة الصحف الإلهيّة المنزلة على قلب بشر، وهو بالنسبة إليه الدليل، والكتاب المقدّس، والنور، والهدى والفرقان بين الحق والباطل، والحياة، والدواء، والشفاء، والقول الفصل والكلمة الأخيرة، لا يُقَدِّمُ عليه شيئاً، بل يعرض عليه كُلَّ شيءٍ، فإن وافقه أخذ به، وإن خالفه أعرض عنه. فكان القرآنُ ميزان قبول كُلِّ شيء أو ردِّه، وكان المعيار الذي يشخّص من خلاله الحالات ويتخذ على أساسه المواقف.

---

(١) راجع: أصول الكافي، للكليني رحمه الله، ج٢، كتاب فضل القرآن، في تمثّل القرآن وشفاعته لأهله، ح٢، ص٥٩٩.

لقد استشعر الإمام الراحل قدّس سرّه خطر محاولات الاستكبار وسعيه في إخراج القرآن من ساحات الحياة الفكريّة، والسياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والجهاديّة، و. . . ؛ فإنَّ القرآن خطرٌ داهمٌ يتهدَّد عروشهم وسلطانهم وطغيانهم، فمنطق القرآن منطق القوّة، والمواجهة، والتصدي، والثورة، والتضحيّة، والبذل، والجود بالنفس في مواجهة المستضعفين للمستكبرين. لكُلِّ هذا حاولوا إقصاء القرآن الكريم ومنعه من لعب دوره الأساس في حياة المسلمين، وعملوا جاهدين على حصر الاستفادة منه في كونه كتاب تلاوةٍ وترتيلٍ على الأموات والمقابر، وفي مسابقات الحفظ والتجويد، وفي مجالاتٍ محدَّدةٍ في اللغة والأدب والبلاغة، فيتلى للتبرك وتحصيل الثواب والجوائز والشهادات، أو يُدقّق فيه لاستخلاص القواعد اللغويّة، والصرفيّة، والبيانيّة، والبديعيّة، وروائع الاستعارات، وبلاغة التشابيه.

وللأسف! إنجرَّ الكثيرون وراء هذه المكيدة ـ وإن كان انجرار الأغلب منهم دون درايةٍ وقصدٍ ـ ولهذا أكّد الإمام قدّس سرّه طوال حياته الشريفة، وفي آخر بيانٍ ووصية إلى الشعوب المسلمة، على ضرورة إنقاذ القرآن من المقابر، والاستفادة منه في شتى ميادين الحياة.

من هنا للمطّلع على كتب إمام الأمّة قدّس سرّه ومؤلّفاته، وللمتتبّع لأحاديثه وخطاباته وبياناته، أن يلحظ الكمّ الهائل من المباحث والمؤلّفات المتعلّقة بالقرآن الكريم، بحيث يصعب أن تجد كتاباً من كتبه ومؤلّفاً من مؤلّفاته لم يتعرّض فيه لبيان وجهٍ من وجوه الاستفادة من القرآن الكريم، وآداب الاستفادة منه، وتفسير بعض سوره وآياته، والاستدلال به والاعتماد عليه. ولم تنحصر استفاداتُهُ قدّس سرّه من آيات الكتاب العزيز في جوانب الأدلّة الفقهيّة على الأحكام الشرعيّة، أو في الأبحاث التفسيريّة، والفلسفيّة، والكلاميّة،

والعرفانيّة، وغيرها، ولو اكتفى ﷺ بذلك لكفاه فخراً وعظمةً وشأناً، فإنَّ مثل هذه الانجازات تعتبر مبلغ مطمح الكثيرين من العلماء وأرباب الفنون في العلوم الإسلاميّة والإنسانيّة، ولكنَّ الإمام ﷺ كان يصرّ على أنَّ القرآن الكريم ليس كتاب تفسير أو لغة أو بلاغة أو آيات أحكام وحسب، وإنَّما هو كتاب هداية، ودستور حياة، وعلى هذا ينبغي أن تكون الاستفادة من هذا الكتاب الشريف أشمل وأوسع وأكبر، ولا يجوز حصرها في بعض الجوانب اللغويّة أو التفسيريّة.

وعلى هذا الأساس وبمقتضى هذا الأصل، اعتبر إمام الأمَّة ﷺ الكثير من التفاسير التي ابتعدت عن غاية الكتاب العزيز ومقاصده وأهدافه، اعتبرها في أحسن حالاتها تفاسير ميتة، وقد اعتقد بأنَّها ليست تفاسير في الأصل، ومن هنا كان الإمام ﷺ يتحرّج من إطلاق إسم (التفسير) عليها.

ليس المطلوب أن يكتب العالم تفسيراً من عشرات المجلّدات حتى يُعدَّ من علماء التفسير وأهل القرآن. فكم من العلماء المتبحّرين في علومٍ معينةٍ لم نرَ لهم أثراً مسطوراً أو مؤلّفاً منشوراً في تلك العلوم، وهذا لا يخدش بعلميّتهم ولا يُسقطهم عن الاعتبار في تلك المجالات. ومن غير الصواب حصر مناهج التفسير بمنهج التفسير التجزيئي السائد والمتداول بكثرة بين العلماء؛ فإنَّه ـ وكما هو معلوم ـ قد تعدَّدت مناهج التفسير، ولعلّ أهمَّها وأخطرها وأكثرها حساسيّة منهج التفسير الموضوعي أو المقاصدي، والذي يسعى المُفسّرُ من خلاله إلى تقديم النظريّة القرآنيّة في الموضوعات محلّ البحث والتحليل والدراسة.

نعم، صحيحٌ أنَّ الإمام الخميني ﷺ لم يترك لنا أثراً تفسيريّاً متكاملاً من سورة الحمد إلى سورة الناس، لكن وبالرغم من هذا فإنَّ ما تركه الإمام ﷺ.

من تفسيرٍ لبعض السور في العديد من كتبه، وكذلك ما أغنى به خطاباته ومحاضراته من الإشارات حول مطالب القرآن، وطرق فهمه، وتفسيره، وضوابط المُفسِّر، والحجب المانعة من الاستفادة من الكتاب العزيز، وطرق معالجة تلك الحجب، ورفع تلك الموانع، ومن معالجات موضوعيّة للعديد من القضايا وفق الرؤيّة القرآنيّة، خصوصاً في المسائل السياسيّة ـ حيث يُمكن اعتبار أنَّ الإمام الراحل قدس سره قد فتح فتحاً كبيراً من خلال استلهام شعارات الثورة، والنهضة، والمواجهة مع الطاغوت، والاستكبار، والشيطان الأكبر، من القرآن الكريم ـ كُلُّ ذلك يُقدِّمُ لنا مادَّةً غنيّةً وكبيرةً جداً يمكننا أن نقرر على ضوئها ـ وبكُلِّ إنصافٍ وإجلال ـ أنَّ الإمام الراحل قدس سره من أساتذة هذا الفن، وأصحاب الباع الطويل في ميادينه، وأنَّهُ قدس سره من أصحاب الرأي والنظريّة في المجالات المتعلّقة بالقرآن الكريم؛ فقد انبث التفسير والمطالب القرآنيّة في أغلب وأكثر مؤلفاته العرفانيّة والأخلاقيّة والأصوليّة والفقهيّة والسياسيّة والخطابات والبيانات.

لقد برزت شخصيّة الإمام الخميني قدس سره كمتبحّرٍ في العلوم القرآنيّة في الكثير من مؤلفاته وكتبه، فمن كتاب «سرّ الصلاة» و«آداب الصلاة» و«شرح دعاء السّحر» في العرفان، إلى «الجهاد الأكبر» و«الأربعون حديثاً» في الأخلاق، إلى كتابي «البيع» و«المكاسب المحرَّمة» في الفقه، إلى «أنوار الهداية» و«تهذيب الأصول» في أصول الفقه، إلى «كشف الأسرار» و«الحكومة الإسلاميّة» في السياسة، كُلُّ هذا التراث يدلّ دلالةً قطعيّةً على علو شأن الإمام قدس سره في هذا المجال.

ولا ينبغي لأي باحثٍ أن يفوته مراجعة المقدّمات والضوابط العلميّة للتفسير والمُفسّر، والتي قدَّمها الإمام الراحل قدس سره من خلال الدروس

التفسيريّة التي ألقاها عبر شاشة تلفاز الجمهوريّة الإسلاميّة بُعيد انتصار الثورة المباركة. ويُمكنك ـ أخي القارئ ـ أن تقف على تفصيل تلك المباحث بشكلٍ وافٍ ضمن طيّات مباحث كتاب (تفسير سورة الحمد) لإمام الأمّة الراحل ﷽، خصوصاً في فصله الثالث، وهو مجموع الدروس التفسيريّة التي سبقت الإشارة إليها، فراجع.

لقد راودت الإمام ﷽ فكرة كتابة تفسيرٍ مقاصديٍّ يُضمّنه الأطروحة المتكاملة للإسلام المحمدي الأصيل الذي كان الإمام ﷽ يؤمن به وفق مباني مدرسة أهل البيت ﷺ، وهذا ما لم تسمح به المشاغل والمسؤوليّات الجسيمة التي اتّسمت بها حياته المباركة في ميادين الجهاد والثورة والدولة.

كذلك فإنَّ الإمام ﷽ كان توّاقاً وشديد الشوق والرغبة إلى كتابة كتابٍ حول القصص القرآني، لما فيها من عِبر ودروس ومعارف وحِكم. يقول ﷽: **«إنَّ لمن آمالي ـ أنا الضعيف العاجز ـ تصنيفَ كتابٍ بشأن القصص القرآني وحلّ أسرارها ـ بتوفيق الله ـ والإشارة إلى أساليبها في التعليم والتربية بالقدر الميسور... فإنَّ ذكر قصص الأنبياء ت، وطرق سيرهم وسلوكهم، وأساليب تربيتهم لعباد الله، وحكمهم، ومواعظهم، ومجادلاتهم بالتي هي أحسن يمثّل باباً من أوسع أبواب المعارف والحِكَم، وأعظم مداخل السعادة والتعاليم التي فتحها الحقُّ تعالى وجلّ مجدُهُ أمام عباده»**[١].

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷽، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الثاني، بيان مقاصد ومطالب ومحتويات الكتاب الإلهي الكريم على نحو الإجمال، ص٢٧٧.

تحجيم دور القرآن الكريم هجرانٌ صريح

اعتبر الإمام الخميني قدس سره أنَّ الاقتصار على جانبٍ واحدٍ أو بعض الجوانب من التعاطي مع القرآن الكريم هجرانٌ لهذا الكتاب الكريم، ومن هنا قال قدس سره: «الهجر القرآن مراتبُ ومنازل لا تُحصى ولعلّنا متّصفون بالأساسيّ منها، وإلا أفَلَسنا نتخذ القرآن مهجوراً عندما نضع هذه الصحيفة الإلهيّة في جلدٍ ثمين ونقبله ونضعه على أعيننا فقط حين الاستخارة؟! وهل سنُخرج هذا الكتاب الشريف من حالة المهجوريّة إذا صرفنا جُلَّ أعمارنا في تجويده وفي جوانبه اللغويّة والبيانيّة والبديعيّة؟! أم هل سنتخلص من عار الابتعاد عن القرآن اذا تعلّمنا قراءاته المختلفة وأمثال ذلك؟ وهل سينقذنا تعلّم وجوه إعجاز القرآن وفنون محسناته من شكوى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ هيهات هيهات، فليس في كُلِّ هذه الأمور ما يمثل مُراد القرآن ومنزّله العظيم جلَّ وعلا»[1].

ويُضيف قدس سره: «إنَّ السرَّ في قلّة انتفاعنا من هذا الكتاب العظيم هو إمّا لأنَّنا لا ننظر إليه بعين التعليم والتعلّم، كما هو حالنا غالباً، فنحن نقرأ القرآن لأجل الثواب والأجر، ولذا فنحن لا نهتم سوى بتجويده وقراءته بصورةٍ صحيحة، لكي يعمّنا الثواب، فنتوقف عند هذا الحدّ ونكتفي بهذا المقدار، لذلك نرى أنَّنا قد نقرأ القرآن الكريم على مدى أربعين سنة مثلاً دون الحصول على فائدة منه سوى أجر القراءة وثوابها. أو أنَّنا قد ننظر إليه نظرة تعليم وتعلّم، غير أنَّنا ننشغل بجوانبه البديعيّة والبيانيّة ووجوه الإعجاز

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الرابع، إزالة الحجب المانعة من التعلّم، ص٢٩٠.

فيه، أو ما هو أرفع من ذلك قليلاً كالجوانب التاريخيّة وأسباب نزول الآيات وأوقاتها والمكّيّ والمدنيّ من الآيات والسور، واختلاف القراءات والاختلاف بين المفسّرين من العامّة والخاصّة وسائر الأمور الجانبيّة الأخرى، الخارجة عن إطار مقاصد القرآن الأصليّة، والتي تؤدّي بذاتها إلى الوقوع في الاحتجاب وإلى الغفلة عن الذكر الإلهي. وقد وجّه كبار مفسّري القرآن جُلَّ جهودهم لتصبَّ في واحدٍ أو أكثر من هذه الجوانب، فلم يفتحوا للناس باب التعلّم من القرآن الكريم»[1].

والإمام الخميني قدّس سرّه لا يرضى أن نُقَدِّمَ النظريّة ثمّ نعمد إلى القرآن الكريم لنأخذ منه الدليل على تلك النظريّة. وبعبارةٍ أخرى، لا يرضى أن نُنَزِّلَ آراءنا وأفكارنا ومتبنياتنا الخاصّة على القرآن الكريم، وإنَّما الأمر الذي يدعو الإمام قدّس سرّه إليه هو أن نأتي إلى رحاب القرآن، ونجلس بين يديه جلسة المتعلّم المتأدّب، ونطلب منه نظريّته ورأيه في كُلِّ الحاجات والوقائع، وعلى القرآن أن يقدِّم لنا الحلول، وهو على ذلك قدير وبه جدير، فإنَّهُ خاتمة الكتب السماويّة، وفيه تبيان كُلِّ شيءٍ إلى يوم يُبعثون.

التركيز على البعد المعرفي والعقائدي للقرآن الكريم

بالرغم من أنَّ الإمام قدّس سرّه قد عارض وبشدّةٍ حصر الاستفادة من القرآن بجانبٍ واحد من الجوانب، أو بنوعٍ واحدٍ من أنواع المعارف ـ وقد تقدَّم الحديث عن دعوته قدّس سرّه إلى الشمول والاستيعاب في التعاطي مع الكتاب

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدّس سرّه، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الثالث، القرآن كتاب تعليم وإفادة، ص٢٨٣ ـ ٢٨٤.

العزيز، حيث دعا صراحةً لتجاوز الطريقة التقليديّة التي اعتمدها المفسّرون في التعاطي مع معاني وعلوم الكتاب العزيز ـ بالرغم من هذا ومن خلال متابعة التراث التفسيري والقرآني الذي خلّفه الإمام الراحل قدس سره ـ ولو على مستوى التفسير الكامل لبعض السور القرآنيّة، كسورة الحمد والتوحيد والقدر ـ نلحظ تركيزه قدس سره على الجانب المعرفي المتشعّب إلى عدّة جوانب أخرى في آنٍ واحد، كالجانب المعنوي والعقائدي والأخلاقي المرتبط بمعرفة الله عزّ وجلّ وتوحيده، والحاكم على علاقة الإنسان بربّه وبأبناء جلدته من البشر الذين يتحدّ معهم في الإنسانيّة، والتي هي الملاك في التفاضل والترقّي، فكُلّما حافظ الإنسانُ على إنسانيّته كان موافقاً لفطرته الأولى، في حين يُمثّل ابتعاده عنها تهاويه وتسافله إلى دركات الحيوانيّة.

ولقد استخلص الإمام قدس سره من تلك الأبحاث العديد من الخلاصات، واستنتج الكثير من النتائج المعرفيّة، كقضيّة التوحيد والتنزيه والصفات ـ كالعلم والقدرة وسائر الأوصاف الكماليّة ـ والمعاد الجسماني وتجسّم الأعمال والثواب والعقاب الأخرويين وتفاصيل الجنّة والنار والبرزخ والتعذيب والتنعيم وحالات أهل السعادة ودرجاتهم وكذلك حالات أهل الشقاوة وأقسام النفس، وغيرها من الحقائق التي يُختَبَرُ العالمُ في علمه ويُمتحن عند أعتابها وأبوابها.

فالقرآن عند الإمام الخميني قدس سره هو: «كتابُ المعرفة والأخلاق والدعوة إلى السعادة والكمال، لذا وجب أن يكون كتاب «التفسير» كتاباً عرفانيّاً أخلاقيّاً مُبيّناً للجوانب العرفانيّة والأخلاقيّة وسائر الجوانب الداعية إلى السعادة فيه. والمُفَسِّرُ الذي يُهملُ هذه الجوانب أو يغفل عنها أو لا يهتمّ بها، غافلٌ هو عن أهداف القرآن والغاية الأساسيّة من إنزال الكتب وإرسال الرسل؛ وهو خطأٌ فادحٌ أدّى إلى حرمان هذه الأمّة ـ لقرون ـ من الاستفادة

من القرآن الكريم وإغلاق طريق الهداية بوجه الناس»[١]. ويضيف ﭬ قائلاً: «هذا الكتاب الشريف ـ كما هو جليٌّ من تصريحاته ـ كتابُ الهداية، وموجّه السلوك الإنساني، ومربي النفوس، وشفاءٌ للأمراض القلبيّة، ونبراسُ السير إلى الله تعالى... هذا الكتاب، كتاب الدعوة إلى الحقّ والسعادة، والمتكفّل ببيان منهج بلوغ هذا المقام. وعلى الإجمال فإنَّ محتوياته تتمثّل في كُلِّ ما له أثرٌ في هذا السير والسلوك الإلهي أو كُلّ ما يُعِينُ السالك والمسافر إلى الله.»[٢].

وليس القرآن عنده ﭬ مجرَّد معجزةٍ أو آية، ومن هنا يقول ﭬ: «إنَّ هذا الكتاب ليس كعصا «موسى ﷺ» ويده البيضاء، ولا كأنفاس «عيسى ﷺ» الذي كان يحيي الموتى، فهو لم ينزّل ليكون معجزةً تدلّل على صدق النبي الأكرم ﷺ فقط، وإنّما هو كتابٌ لإحياء القلوب بحياة العلم والمعارف الإلهيّة السرمديّة. إنَّهُ كتابُ الله جلَّ وعلا الداعي إلى الشؤون الإلهيّة.»[٣].

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﭬ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الثالث، القرآن كتاب تعليم وإفادة، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(٢) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﭬ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الثاني، بيان مقاصد ومطالب ومحتويات الكتاب الإلهي الكريم على نحو الإجمال، ص٢٧٣.

(٣) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﭬ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الثالث، القرآن كتاب تعليم وإفادة، ص٢٨٦.

ومن هنا نجد أنَّ هذا المنهج من التفسير والتعاطي مع القرآن الكريم قد نجح في مزج العديد من المناهج الأساسيّة، العقليّة والنقليّة، والفلسفيّة القائمة على البرهان مع العرفانيّة المعتمدة على الشهود، فكان حصيلة ذلك حالات من التفكّر والتدبّر، مشفوعةً بالتذكّر الكاشف عن حقائق الأسفار، من خلال التفسير الظاهري والتأويل الباطني. ويُمكنُ تلخيص هدا المنهج من خلال أركانه الثلاثة التي يعتمد عليها: القرآن، البرهان، العرفان.

وعلى هذا الأساس لا ينبغي لمنصفٍ أن يقول إنَّ ما نهى الإمام ﷿ عنه ـ من المنع عن الاقتصار على جانبٍ واحد من الجوانب والحثّ على الشموليّة في التعاطي مع القرآن ـ إنَّهُ قد خالف نفسه وارتكب ما اعتبره قاصراً في أداء حقّ القرآن لجهة الاستفادة والتعلّم منه، وذلك لأمرين جوهريين:

الأوّل: يُجْمِعُ أهلُ العلم على أنَّ البعد المعنوي والمعرفي والعقائدي من أشرف الأبعاد وأهمّها وأخطرها، ولهذا يصح التركيز عليها، بل ينبغي تقديمها على غيرها من الأبعاد والجوانب؛ لتعرّضها لذات الباري ﷻ ولشؤونه، وللعلاقة معه، والسير إليه، ولضبط حركة البشر والكون ـ بشكلٍ كاملٍ ـ وفقها وعلى إيقاعها.

الثاني: إنَّ البعد المعنوي والمعرفي ليس بُعداً واحداً، كما تقدَّم في البيان السابق، وإنَّما يتفرّعُ إلى أبعادٍ وموضوعاتٍ كثيرةٍ ومتشعّبةٍ، ووفق هذه الموضوعات يُتعرّض للحقائق الأصليّة، وما الجوانب الأخرى ـ الفقهيّة، والتاريخيّة، والنحويّة، والبلاغيّة، و. . . ـ سوى أدوات علميّة ومفاتيح للعلوم الأصليّة، يُتعرّض لها لوقوعها في طريق معرفة غيرها من العلوم الحقيقيّة. ومن هنا يُمكنُ الادّعاء أنّها علوم يتوسّل بها بالعَرَضِ للوصول إلى ما هو بالأصل وبالذات.

دور الأمّة في نشر التراث القرآني عند الإمام الخميني قدس سره

نظراً للأهميّة الكبرى التي وجدتها جهاتٌ كثيرة في منهج الإمام الخميني قدس سره في التعامل مع القرآن الكريم، قامت بجهودٍ عديدة ومشكورة لنشر آثاره العلميّة في المجالات والأبحاث القرآنيّة، من خلال جمعها من مصادرها المُتفرّقة، وتبويبها وتنظيمها بشكلٍ موضوعيٍّ يُبرزها موحّدةً بعد أن تناثرت في الكتابات والمؤلفات والخطابات الكثيرة والجليلة التي تركها الإمام الراحل قدس سره إرثاً لهذه الأمّة.

١ ـ لقد برزت أولى هذه الجهود في حياة الإمام الراحل قدس سره فبعد أن قدَّم سماحتُهُ رحمه الله مجموعةً من الدروس التفسيريّة حول سورة الحمد المباركة، قامت مجموعةٌ من الشباب المؤمن بنشرها باللغة الفارسيّة ضمن كتيبّات على عدد تلك الدروس التلفزيونيّة. وقد طُبعت هذه الدروس ووزّعت مرّاتٍ عديدة تحت عنوان: (تفسير سورة الحمد)، في حين ترجمها إلى العربيّة الأستاذ عرفان محمود عام ١٤١٢ هـ/ق، وطُبعت تحت عنوان: (تفسير آية البسملة).

٢ ـ وبعد ارتحال الإمام قدس سره قامت مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره بضمّ هذه الدروس التفسيريّة إلى مطالب أخرى حول تفسير هذه السورة المباركة، مما تمَّ جمعه من مؤلفات الإمام الراحل قدس سره وخطاباته، ونشرتها في كتابٍ مستقلٍّ في طبعةٍ محقّقةٍ ومميّزة، تحت إسم: (تفسير سورة الحمد).

وبعد اطّلاعي على وجود مثل هذا الكتاب ـ أعني: (تفسير سورة الحمد) ـ وإيفاءً لحقّ الإمام قدس سره، ولأجل الحفاظ على خطّه ونهجه من خلال نشر أفكاره وآرائه والعمل بمقتضاها، قمت وبتوفيقٍ من الله عز وجل بإعداده وجمعه وتحقيقه ونشره باللغة العربيّة، وذلك في عام ١٤٣١ هـ/ق ـ ٢٠١٠ م.

٣ ـ وبعد عروج روح الإمام الراحل قدس سره إلى بارئها، بادرت مجموعةٌ من الشباب العاملين في بعض مساجد طهران إلى إصدار كتيبٍ بالفارسيّة بعنوان: (قرآن باب معرفت الله)، قدّمت من خلاله بعض التراث القرآني عند الإمام الراحل قدس سره، وقد تمَّ جمع فصوله من كتب ومؤلفات وخطابات الإمام الراحل قدس سره ضمن فصولٍ أربعة حول: خصائص القرآن ومزاياه، ومقاصد الكتاب الإلهي، وقضايا تعليم القرآن وتعلّمه، والآداب الباطنيّة لتلاوة القرآن الكريم.

وقد تُرجم هذا الكتيب إلى اللغة العربيّة وطُبع في بيروت عام ١٤٢٦هـ/ ق ـ ٢٠٠٥م، تحت عنوان: (القرآن باب معرفة الله).

٤ ـ كذلك، فقد صدر في بيروت عام ١٤٢٢ هـ/ ق ـ ٢٠٠١م دراسةٌ حول (منهج الإمام الخميني قدس سره في التفسير)، للسيّد عبد السلام زين العابدين، وهي دراسةٌ وافيةٌ جديرةٌ بأن تُطالع.

٥ ـ وفي عام ١٤٢٤ هـ/ ق صدر عن مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، فرع قم المقدَّسة، كتابٌ ضخمٌ ومميّز، للكاتب الأستاذ جواد علي كسّار، تحت عنوان: (فهم القرآن) ضمن سلسلة: (الإمام الخميني: النهضة والمنهج)، قدَّم من خلاله التطبيقات والأمثلة التفسيريّة، والشواهد القرآنيّة، وعلوم القرآن، ومبادئ التفسير، والمشروع الخميني في التوفيق بين العرفاء والفلاسفة والفقهاء، كُلُّ ذلك وفق منهج ومباني الإمام الراحل قدس سره التي ذخرت بها كتبه ومؤلفاتُهُ ورسائلُهُ. ثم ليختم الكاتب كتابه القيّم بمحورٍ يتحدَّث فيه عن الإمام والقرآن، وهو عبارة عن يوميّات خاصّة من حياة الإمام قدس سره وعلاقته بكتاب الله عز وجل.

٦ ـ وفي عام ١٤٢٦هـ/ ق، أصدرت مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، كتاباً ضخماً حول (آيات الأحكام في تراث الإمام

الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ)، جُمع فيه كُلُّ ما ورد في آثار الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ من مواضيع تفسيريّة واستنباطات وملاحظات فقهيّة وأصوليّة.

٧ ـ ثم، وفي عام ١٤٢٧ هـ/ق استكمل الأستاذ جواد كسّار مشروعه من خلال كتابٍ ثانٍ تحت عنوان: (القرآن في النهضة)، وقد صدر أيضاً عن مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ، فرع قم المقدَّسة. وقد سعى الكاتب من خلال جهده هذا إلى إبراز عدّة أمور، منها:

١ ـ الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ صاحبُ منظومةٍ ومدرسةٍ في النهضة وفق مباني القرآن الكريم.

٢ ـ المشروع التفسيري للإمام قُدِّسَ سِرُّهُ، من خلال عرض المفاهيم النظريّة لعلوم القرآن ومبادئ التفسير عند الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ.

٣ ـ تطبيقات وشواهد قرآنيّة ذخرت بها آثار الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ.

٨ ـ كذلك فقد صدر عن مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ مجلّدٌ كبيرٌ ـ بالفارسيّة ـ تحت عنوان: (تفسير وشواهد قرآنى در آثار امام خمينى)، يحوي الأمثلة التفسيريّة والشواهد القرآنيّة في آثار الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ. وقد قدَّم هذا الكتاب للباحثين والمهتمين مادّةً غنيّةً على طاولة الأبحاث القرآنيّة وفق مباني ونظريّات وفهم الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ.

٩ ـ ومن أهمِّ الإنجازت على صعيد جمع التراث القرآني والتفسيري عند الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ هو ما وضعته مؤسسة (العروج) المرتبطة بمؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ بين يدي عشّاق الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ من موسوعةٍ من مجلّداتٍ خمسة ـ باللغة الفارسيّة ـ تحت عنوان: (تفسير قرآن مجيد)، وقد جاء المجلّد الأوّل من هذه الموسوعة لبيان عدَّة فصولٍ تناولت حياة الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ الشخصيّة، والعلميّة، والسياسيّة، والفكريّة، والثقافيّة، وحول مؤلفاته وآثاره، والمباني العلميّة للتفسير عند الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ، والمنهج المختار

في التفسير، ونظريّة تطور التفسير والتأويل وفق المدرسة العرفانيّة والسلوكيّة. وعلى هذا يكون هذا المجلّد قد قدَّم دراسةً تفصيليّةً حول القرآن وعلومه وتفسيره عند الإمام الخميني ﷿. أمَّا المجلّدات الأربعة الأخرى فقد تكفّلت بعرض المادّة القرآنيّة التفسيريّة الكاملة والشاملة في كلام الإمام الراحل ﷿، وذلك بحسب توزيعها وترتيبها وفق تسلسل سور الكتاب العزيز، من سورة الحمد إلى سورة الناس، والتي أثرى بها الإمام الخميني ﷿ كتبه ومؤلفاته وخطاباته طوال حياته الشريفة. وقد قام بأعباء جمع وتدوين وتحقيق هذه الموسوعة القيّمة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد محمّد علي أيازي، وذلك تحت إشراف المحقّق الشيخ محمّد هادي معرفة ﵀، فللّه دَرُّهما وعليه أجرهما.

وقد اطلعت مؤخّراً على ترجمة هذه الموسوعة إلى اللغة العربيّة، وهي بحمد الله في طريقها إلى الطبع على أمل أن تبصر النور في القريب العاجل، لتأخذ مكانها المرموق بين مصادر التفسير وعلوم القرآن عند العلماء والمحقّقين.

١٠ ـ كذلك صدر عن مؤسسة (العروج) ـ أيضاً ـ كتابٌ بالفارسيّة تحت عنوان: (مهجوريّت قرآن)، يُعالجُ مسألة مهجوريّة القرآن الكريم وفق نظريّة الإمام الخميني ﷿.

١١ ـ وقامت جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة في بيروت ـ لبنان بإصدار كتيبٍ ضمن سلسلة (الفكر والنهج الخميني)، تحت عنوان: (القرآن في كلام الإمام الخميني ﷿).

١٢ ـ وأصدرت الجمعيّة نفسها كتيباً آخر ضمن سلسلة: (أيها العزيز)، تحت عنوان: (هكذا اتلُ القرآن).

١٣ ـ وكذلك أصدرت كتيباً ثالثاً تحت عنوان: (القرآن الثقل الأكبر)،

كُلُّها في بيان المطالب القرآنيّة وشأن ومقام القرآن الكريم في فكر الإمام الراحل قدس سره.

١٤ ـ وإضافةً إلى ما تقدَّم قامت مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره ـ وضمن سلسلة «تبيان» الموضوعيّة ـ بإصدار كتاب باللغة الفارسيّة تحت عنوان «قرآن كتاب هدايت» وهو الكتاب الثالث عشر من السلسلة المذكورة، والتي تهدف المؤسسة الكريمة من خلالها إلى بيان خطّ الإمام الراحل قدس سره وفكره ونهجه في شتى الميادين الفكريّة، وقد تعدَّت هذه السلسلة وإلى حدِّ الآن الخمسين عنواناً باللغة الفارسيّة، استقت متونها من عيون كلمات الإمام قدس سره في المواضيع المحدّدة والمبثوثة في كتبه الأصليّة ونصوص خطاباته وبياناته.

١٥ ـ هذا ناهيك عما نُشر من أبحاثٍ ودراساتٍ ومقالاتٍ صحفيّة في المجلات التخصصيّة كفصليّة (بيّنات) في عددها ٢٢ ـ ٢٣ الصادر عام ١٩٩٩م، وفصليّة (بحوث قرآنيّة) في عددها ١٩ ـ ٢٠ الصادر عام ١٩٩٩م أيضاً، حيث كانتا قد خصّصتا هذين العددين للأبحاث والمقالات التخصصيّة حول تراث الإمام الخميني قدس سره القرآني.

هذا بعضٌ من كثير، ولعلَّ ما فاتنا أكثر بكثير، وقد عمدنا إلى ذكر ما اطلعنا عليه وعايناه من الكتب والمؤلفات في هذا الباب.

وضمن الخطّ الذي رسمناه لأنفسنا وفي إطار المشروع القائم على تعريب وتحقيق ونشر عدَّة عناوين من سلسلة «تبيان» الموضوعيّة، ثم إنَّنا في سعينا لنشر فكر الإمام الخميني قدس سره المبتني على أسس الإسلام الأصيل، وتلبيّةً لنداء الإمام الخامنئي دام ظله في ضرورة نشر فكر ونهج الإمام الراحل قدس سره، حيث يقول دام ظله: «إنَّ الناس بحاجة هذا اليوم إلى الأخلاق وإلى تعميق فكر الثورة لديهم، والمرجع الأفضل لذلك هو كلمات الإمام (رضوان الله تعالى عليه) وتعاليمه وإرشاداته. . . فالإمام الخميني قدس سره حقيقةً

حيّةٌ دائماً. . . وإنَّ عصر الإمام الخميني قدس سره مستمرٌ وخالدٌ وسيبقى مستمراً دائماً، نهجُهُ نهجنا، وهدفُهُ هدفُنا، وإرشاداتُهُ المشعل الوضّاء الذي يضيء لنا السبيل. . . يجب إحياء ذكرى الإمام الخميني ـ أعلى الله كلمته ـ ودروسه الخالدة، فهي مشعلُ الطريق ومنار الدرب، وهي التي ترسم الخطّ الأساس للحكومة، وتعيّن المعايير وتحدد المعالم الأصليّة والحياتيّة لهذا الطريق المبارك والنهاية المشرقة له. فالمهم أن نبقي في أذهاننا ذكر الإمام قدس سره ومنهجه وأهدافه ونحافظ عليها. . . على إخوتنا وأخواتنا في جميع أنحاء العالم أن يراجعوا تعاليم الإمام قدس سره ويحفظوها، لكي تكون منهجاً لعملهم، وبذلك يرضى القلب المقدَّس لولي العصر أرواحنا فداه»، نُقدِّمُ لك ـ عزيزي القارئ ـ هذا الكتاب «القرآن كتاب الهداية» من فكر الإمام الراحل قدس سره، على أمل أن تستمر جهودنا في تعريب وتحقيق آثار أخرى نعتبر أنَّ ساحتنا الإسلاميّة في بلداننا العربيّة بأمسّ الحاجة إليها، خصوصاً في زمن التحوّلات والتبدّلات والصحوة الإسلاميّة العارمة التي تفجّرت في منطقتنا، فقضية رفد هذه الثورات والنهضات بالفهم الصحيح والسليم للإسلام ـ لا الإسلام الأمريكي ـ من أوجب الواجبات، بعد أن رأينا اللصوص والتجّار يعمدون إلى سرقة دماء وجهود وعذابات وتضحيات الثوّار في وجه المستكبرين والطواغيت.

الكتابُ الماثلُ بين يديك:

إعلم أنَّ هذا الكتاب «القرآن كتاب الهداية» قد تمَّ إعدادُهُ وتنظيمُهُ وفق أقسامٍ ثلاثة:

القسم الأوّل:

ونتعرَّض فيه إلى بيان هويّة القرآن ضمن فصولٍ ستّة: منزلة القرآن،

مقاصد ومطالب القرآن المهمّة، جامعيّة القرآن، دعوة القرآن، إعجاز القرآن، تحريف القرآن.

القسم الثاني:

معقودٌ لبيان جانبٍ من أبحاث علوم القرآن، ضمن فصولٍ أربعة: نزول القرآن، تلاوة القرآن، فهم القرآن وتفسير القرآن.

القسم الثالث:

حول دور الأُمّة في التعامل مع القرآن والدفاع عنه في وجه الأجانب والمنحرفين، ضمن فصولٍ ثمانية: الصبر والاستقامة في الدفاع عن القرآن، قيام الشعب الإيراني لأجل إحياء القرآن، وتشكيل حكومة القرآن، النصر في ظلّ القرآن، العمل وفق القرآن، الأجانب والقرآن، مهجوريّة القرآن بين المسلمين، نظام الشاه ومواجهة القرآن، معارضة الفرق والمذاهب للقرآن.

ملاحظة:

لا يخفى على المطّلع على هذا الكتاب وغيره من سلسلة «تبيان» الموضوعيّة أنَّ أكثر مادّتها عبارة عن مقاطع من خطابات شفويّة أُلقيت في مجالس ولقاءات مع المسؤولين والفئات الشعبيّة وغيرهم من طبقات المجتمع، وفي فتراتٍ زمنيّة مختلفة، وكُلُّنا نعلم الفرق بين النصّ المكتوب بتأنٍّ ورويّةٍ وإمعان نظر ومراعاة لآداب التأليف، وغيرها من النصوص والبيانات الملقاة من على منابر الخطب.

ومن هنا نحن نعترف بفقدان الكتاب للنفحة الأدبيّة في صياغة الفقرات وتأليفها، وافتقاره للجماليّة والضوابط الفنيّة المتّبعة في فن التصنيف، ولكن ما لا يُدرك كُلُّهُ لا يُترك كُلُّهُ.

عملُنا في التحقيق:

أولاً: استخراج مطالب الكتاب من كتب الإمام الراحل قدس سره وصحيفة الإمام قدس سره الجامعة لخطبه ورسائله وبياناته، معتمدين على الترجمات الصادرة عن مؤسسة حفظ ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره أو المُتبناة منها.

وهنا ينبغي الإشارة إلى أنَّ المعتمد في جمع مادّة هذا الكتاب هو التسلسل التاريخي والزمني للمقاطع المأخوذة من الخطابات والبيانات لا التسلسل المنطقي للمطالب، إلا في حالاتٍ قليلة اقتضتها ضرورة سياق وصياغة الأفكار والموضوعات، مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّنا قمنا بحذف المطالب المتكرّرة والتي تتّحد في المعنى، حيث نجد الإمام الراحل قدس سره قد تكلم حول موضوعٍ معيَّنٍ أو فكرةٍ محددةٍ في أكثر من لقاءٍ وأكثر من مرة، وعلى هذا الأساس قمنا بعرض الفكرة ضمن سياقها وطبيعة جريانها الموضوعي دون تكرارها.

ثانياً: تقطيع النصّ وضبطه وتقويمه.

ثالثاً: استفدنا من العضادتين [ ] لأجل تمييز المقاطع والفقرات التي سقطت من الترجمات العربيّة لكتب الإمام قدس سره والصحيفة الجامعة لخطبه وبياناته، فعمدنا ـ بعد متابعتها ومراقبتها من خلال الرجوع إلى الأصل الفارسي للكتب ـ إلى ترجمتها عن تلك الأصول.

رابعاً: استفدنا من القوسين الفنيّين ﴿ ﴾ لتمييز فقرات ومقاطع الكتاب بهدف تسهيل مراجعة الكتاب ومطالعته، وللحؤول دون اختلاط الفقرات والمقاطع ببعضها.

خامساً: أضفنا عناوين فرعيّة في مطلع فقرات الكتاب ومقاطعه؛ بهدف تسهيل مراجعته ومطالعته، مع الإشارة إلى أنَّ تلك العناوين لا يُمكن نسبتها

إلى الإمام الراحل قُدّسَ سرُّه، وإنّما جعلناها متناسبةً وموافقةً للفكرة الأساسيّة التي يتمّ طرحها في الفقرة.

سادساً: الإشارة إلى موضع الآيات القرآنيّة الشريفة، وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآية، على حسب ما هو مُتعارف في إحياء التُّراث.

سابعاً: تخريج الأحاديث والروايات الشريفة من مظانّها الرئيسيّة والمعتبرة والأصليّة كالكتب الأربعة والناقلة عنها كبحار الأنوار ووسائل الشيعة، وذلك بذكر الكتاب أولاً، ثم رقم الجزء، ثم رقم الصفحة، ثم تسلسل الحديث، وربما نذكر عنوان الباب أو رقم ترتيبه.

ثامناً: شرح وتبيين بعض الكلمات والمصطلحات، وإضافة بعض التعليقات التوضيحيّة.

تاسعاً: إعداد فهارس المحتويات ومصادر التحقيق، مشيرين إلى طبعة تلك المصادر لتوفير الوقت وتسهيل أمر الاستفادة من مطالب الكتاب.

وفي الختام:

سيدي يا روح الله!

تنصرمُ الأيام وتنقضي العقود

وتشيخ الدهور وتهرم العصور

وتبقى سيدي خالداً روحاً وفكراً ونهجاً وثورةً.

مرّةً أخرى أقف في محضرك الشريف لأنهل من عذب معينك، ولأنظر عبر عيونك الثاقبة ونظرك المتوّهج، فأفهم الإسلام على أصالته من خلالك، ودائماً تبقى الكلمات قاصرة، خائنة، خاذلة، فكيف لنا أن نؤدّي لك حقّك؟ غير الاعتراف بفضلك والمحافظة على إرثك، تحت راية خليفتك.

أرجو ممّن لا يخيب من رجاهُ راجٍ أن يكون إخراجُ هذا السفر وتحقيقه بهذه الحلّة باعثاً لابتهاج وسرور الروح الطاهرة والمُقدَّسة لإمامنا الراحل ﻗﺪّﺱ ﺳﺮّﻩ، ونَتَضَرَّعُ إلى المولى سبحانه وتعالى كي يتقبّل منّا هذا الجهد المتواضع ويُثَبتَ أسماءنا في سجل خَدَمَةِ القرآن الكريم، وأن يُوفقنا لوصله، وأن يحول بيننا وبين هجره، وأن يُقَدِّرَ لنا الاغتنام من ألطافه وعلومه كما الإمام العظيم ﻗﺪّﺱ ﺳﺮّﻩ، وأن يَزِيْدَ في علو درجاته، ويحشره مع أجداده الطاهرين ﻋﻠﻴﻬﻢ ﺍﻟﺴﻼﻡ، ويجزيه عن الإسلام والمسلمين خير جزاء المُحسنين بحقّ بقيّة الله في الأرضين ـ روحي وأرواحُ العالمين لتراب مقدمه الفداء ـ إنَّهُ سميعٌ مُجيب.

والحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

السيد أحمد صولي الحسيني العاملي

ahmadsouli@hotmail.com

٣٠/ صفر/ ١٤٣٣هـ/ ق

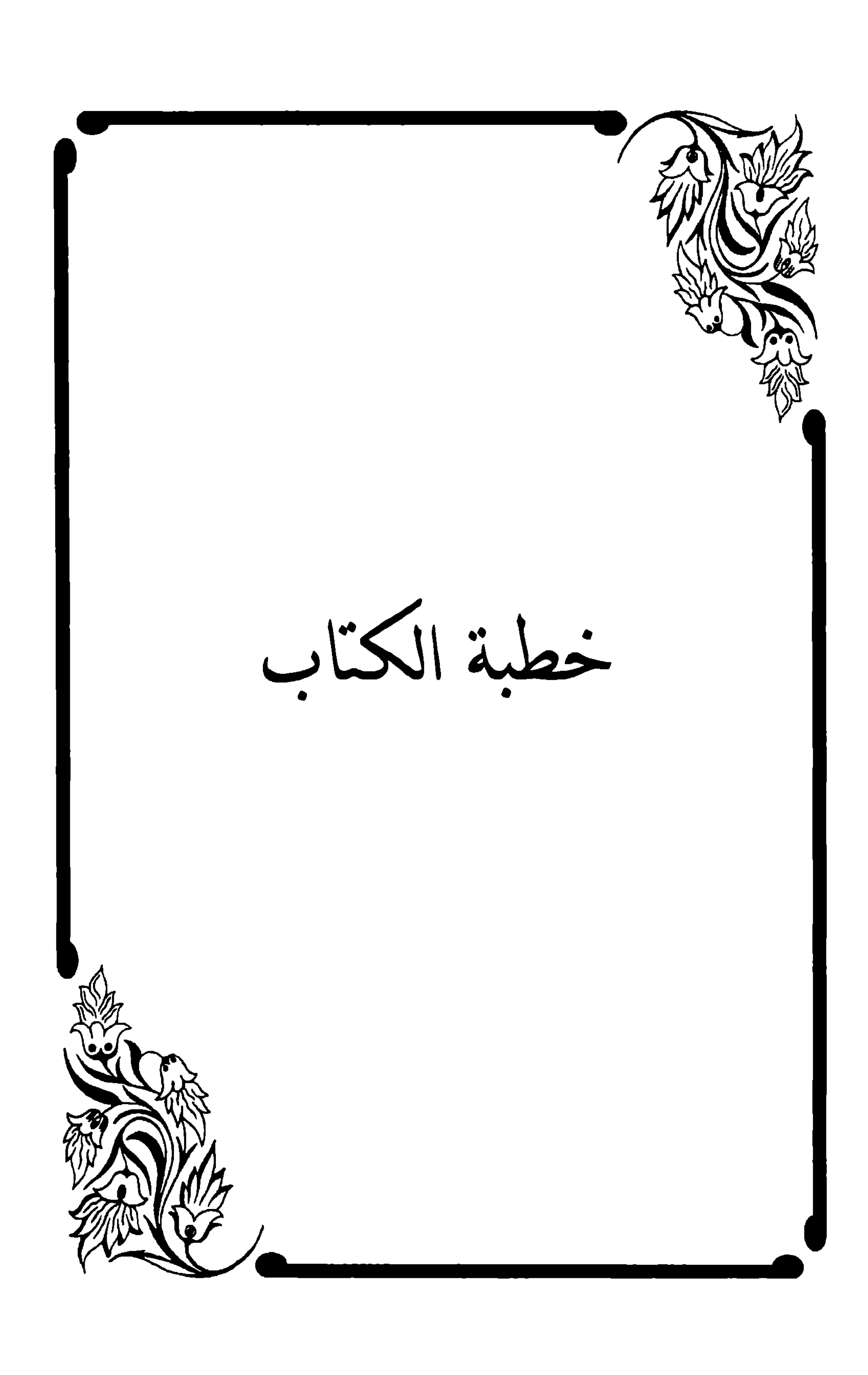
ذكرى شهادة ثامن أئمّة الهدى ﻋﻠﻴﻬﻢ ﺍﻟﺴﻼﻡ

أنيس النفوس المدفون بأرض طوس

المولى علي بن موسى الرضا ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ

الموافق لـ ٢٤/ كانون الثاني/ ٢٠١٢م

(قم المقدّسة)



خطبة الكتاب

[خطبةُ الكتاب][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله المُستكنّ في حجاب العماء والمستتر في غيب الصفات والأسماء، الباطن المختفي بعزّ جلاله، والظاهر غير المحتجب بنور جماله، المُتجلّي بالبطون فظهر، والمُتجلّي بالظهور فبطن واستتر، بادئ بدو سلسلة الوجود، وخاتم ختم الغيب والشهود، الذي بقهر كبريائه محجوبٌ عن قلوب الأولياء، وبظهور سنائه يظهر في مرائي الخلفاء، الباسط ببهائه على سكّان الملك والملكوت، والساطعُ بسنائه على قطان الجبروت واللاهوت. تجلى من غيب الهوية بجماله الأجمل، ولا حجاب له إلا جلاله؛ واختفى في ظهوره الأظهر، ولا ظهور لشيءٍ إلا جماله. ظهر بذاته من عين الجمع في مجالي صفاته، وبصفاته من الكنزية المخفية في ملابس آياته، وعنده مفاتح غيب الأرواح، وشهود الأشباح.

والصلاةُ والسلامُ على أصل الأنوار ومحرم سرّ الأسرار، المُستغرق في غيب الهويّة والمُنمحى عنه التعيُّنات السوائيّة، أصل أصول حقيقة الخلافة وروح أرواح منصب الولاية، المُستتر في حجاب عزّ الجلال، والمخمّر

---

(١) مقتبسةٌ من بعض الخطب التي افتتح الإمامُ الراحل ﷺ بعض كتبه بها، راجع: مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، ص١١، التعليقة على الفوائد الرضويّة، ص٣٧، شرح دعاء السَّحَر، ص٣. (بتصرف).

بيدي الجلال والجمال، كاشف رموز الأحديّة بجملتها، ومُظهر حقائق الإلهيّة برمّتها، مفتاح الوجود، والرابط بين الشاهد والمشهود، باب الأبواب لغيب الهوية، المُتردّي برداء العمائية، الحافظ للحضرات الخمس الإلهية، الذي تدلّى وافتقر، واستقام بأمره كما أمر، مفتاح الدائرة ومختمها، ومؤخر السلسلة ومقدمها، المرآة الأتمّ الأمجد، سيّدنا أبي القاسم محمّد ﷺ.

والصلاةُ والسلامُ على خليفته، القائم مقامه في المُلك والملكوت، المُتّحد بحقيقته في حضرة الجبروت واللاهوت، أصل «شجرة طوبى» وحقيقة «سدرة المنتهى»، «الرفيق الأعلى» في مقام «أَوْ أَدْنى»، مُعلّمُ الروحانيّين ومؤيّد الأنبياء والمرسلين، عليٍّ أمير المؤمنين، عليه صلوات الله وملائكته ورسله أجمعين، وعلى الشموس الطالعة من فلك الخلافة الأحمديّة، الآيات التامّات والأنوار الباهرات، والبدور المُنيرة من أفق الولاية العلويّة، المُصطفين من الله، الذين بهم فتح الله، وبمعرفتهم عُرِف الله، الأسبابُ المُتصلة بين سماء الإلهيّة وأراضي الخلقيّة، الظاهرُ فيهم الولاية، والباطنُ فيهم النبوة والرسالة، الهادين بالهداية التكوينيّة سراً والتشريعيّة جهراً.

واللعنُ على اعدائهم، مظاهر الشيطان والبهائم على هيكل الإنسان، سيَّما أصل الشجرة الخبيثة إلى يوم يُحشَرون على صورٍ تحسن عندها القردةُ جزاءً بما كانوا يعملون.

وبعد، يقولُ المُفتخرُ بالانتساب إلى المبعوث إلى الثقلين، والمتمسّك بعروة وثقى الثقلين، السيّد روح الله بن العالم المقتول، السيّد مصطفى الموسوي الخميني، القاطن بقم الشريف، أحسن الله حالهما وأصلح مآلهما :



القسم الأوّل

هويّة القرآن

الفصل الأوّل: منزلة القرآن

الفصل الثاني: مقاصد ومطالب القرآن المهمة

الفصل الثالث: جامعيّة القرآن

الفصل الرابع: دعوة القرآن

الفصل الخامس: إعجاز القرآن

الفصل السادس: تحريف القرآن





الفَصْلُ الأوَّلُ

منزلة القرآن



القرآن جامعٌ لكُلِّ الكمالات

القرآن أكبر مظهرٍ لرحمة الحق

﴿ هذا القرآن، الكتاب الإلهي العظيم، المُنْزَل من عالم الغيب الإلهي والقرب الربوبي في صورة الألفاظ والكلمات بما ينفعنا نحن المتخلفين، وبما يساهم بتحريرنا نحن الرازحين في سجن الطبيعة، المغلولين بسلاسل هوى النفس وآمالها، إنَّما هو من أعظم مظاهر الرحمة الإلهيّة المطلقة، إلا أنَّنا - نحن العمي الصمّ - لم ولن ننتفع منه أبداً.﴾[1].

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، ص١٠٣، المقالة الثانيّة، مقدّمات الصلاة وبعض آدابها القلبيّة، المقصد الأوّل، الطهارة، الفصل الرابع، الطهور. وقد صنَّفَ الإمام الراحل ﷺ هذا الكتاب عام ١٣٦١هـ/ق بعيد تأليفه كتاب «سرّ الصلاة»، وكتب ﷺ في أوّل الكتاب: «قبل فترةٍ قُمتُ بتحرير رسالةٍ... ولأنَّ الرسالة لا تناسب حال العامّة قررتُ تأليف رسالةٍ أُخرى لشرح الآداب القلبيّة لهذا المعراج الروحاني»، فالكتابُ إذن مُفَصلٌ لآداب الصلاة وأسرارها المعنويّة، حافلٌ بالموضوعات الأخلاقيّة والعرفانيّة، وقد كتبه ﷺ باللغة الفارسيّة، وقام السيّد أحمد الفهري بترجمته إلى العربية، وله ترجمةٌ أخرى نامت بأعبائها مؤسسة حفظ ونشر آثار الإمام الخميني ﷺ. وصدرت مؤخراً عن بيت الكاتب للطباعة والنشر (مركز باء للدراسات) ترجمةٌ ثالثةٌ للكتاب للسيّد عباس نور الدين.

القرآن تجلٍّ للجمال والجلال

﴿ وهذا الكتاب قد صدر ـ كما يرى أهل المعرفة ـ عن الحق تعالى بمبدئيّة جميع الشؤون الذاتيّة والصفاتيّة والأفعاليّة، وبجميع التجلّيات الجماليّة والجلاليّة، وهو بهذا أرفع من سائر الكتب السماويّة.﴾[١].

القرآن صورةُ الإسم الأعظم

﴿ الحق تعالى ـ وبجميع شؤونه الأسمائيّة والصفاتيّة ـ هو مبدأ هذا الكتاب الكريم، ولهذا كان هذا الكتاب الشريف صورةَ أحديّةٍ جمع جميع الأسماء والصفات، ومُعَرّفاً للمقام المُقدَّس للحق بكافة الشؤون والتجلّيات.

بعبارةٍ أخرى: إنَّ هذه الصحيفة النورانيّة هي صورة «الإسم الأعظم» مثلما أنَّ الإنسان الكامل صورة الإسم الأعظم أيضاً، بل لعلَّ حقيقتهما ـ في حضرة الغيب ـ واحدةٌ، وإنَّهما مفترقان عن بعضهما في عالم التفرقة بحسب الظاهر، لكنهما ـ بحسب المعنى ـ لا يفترقان. وهذا هو أحد معاني **«لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»**[٢]. تماماً كما أنَّ الحق تعالى قد خمَّر

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الأوّل، آداب التعظيم، ص٢٦٩.

(٢) إشارة إلى حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين، راجع: أصول الكافي، للشيخ الكليني ﷺ، ج١، ص٢٠٩، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله ﷺ من الكون مع الأئمة ﷺ، الحديث ٦. وكذلك راجع: وسائل الشيعة، ج٢٧، باب تحريم الحكم بغير الكتاب والسنة، ص٣٤، الحديث٩. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «إني أوشك أن أدعى، فأجيب، وإني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله ﷻ وعترتي، كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض،=

طينة آدم الأوّل والإنسان الكامل بيد الجمال والجلال، وكما أنزل الكتاب الكامل والقرآن الجامع بيدي الجمال والجلال أيضاً. ولعلَّ هذه هي العلّة في تسمية هذا الكتاب بـ «القرآن»، فمقام الأحديّة هو الجمع بين الوحدة والكثرة، لذا كان هذا الكتاب غير قابلٍ للنسخ والانقطاع؛ فالإسم الأعظم ومظاهره أزليّة وأبديّة، وإنَّ جميع الشرائع إنَّما دعت لهذه الشريعة والولاية المحمديّة.»[1].

إقتران القرآن الناطق بالقرآن النازل

«وأنا أقول: إنَّ الكتاب التكويني الإلهي والقرآن الناطق الربّاني أيضاً نازلٌ من عالم الغيب والخزينة المكنونة الإلهيّة، مع سبعين ألف حجابٍ لحمل هذا الكتاب التدويني الإلهي، وخلاص النفوس المنكوسة المسجونة من سجن الطبيعة وجهانمها، وهداية غرباء هذه الديار الموحشة إلى أوطانها، وإلا فإنَّ تجلّي هذا الكتاب المقدَّس والمكتوب السبحاني الأقدس بإشارةٍ من إشاراته وغمزةٍ من غمزاته برفع بعض الحجب النوريّة للسماوات والأرضين لاحترقت أركانها أو للملائكة المقربين لاندكت إنّيّاتها.

وَنِعمَ ما قيل:

=وعترتي أهل بيتي، وإنَّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما». وقد ورد الحديث في الصحاح والمسانيد بطرقٍ وألفاظٍ مختلفةٍ وعديدةٍ تفيد عين المعنى من أنَّ التمسك بالثقلين العظيمين أمانٌ للناس من الضلالة أبداً وإلى يوم الورود، سقانا الله فيه من كأس النبي ﷺ على حوض الكوثر بيد الولي الأعظم عليه السلام ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ«الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل السابع، نفحةٌ من تفسير سورة القدر المباركة بما يناسب هذه الرسالة، ص٤٥٢.

أحـمـد ار بـگـشـايـد آن پـرّ جـلـيـل تـا أبـد مـدهـوش مـانـد جـبـرائـيـل[١]

فهذا الكتاب التكويني الإلهي وأوليائه، الذين كلهم كتب سماوية، نازلون من لدن حكيم عليم، وحاملون للقرآن التدويني. ولم يكن أحدٌ حاملاً له بظاهره وباطنه إلا هؤلاء الأولياء المرضيين، كما ورد من طريقهم عليهم السلام.

فمن طريق الكافي عن أبي جعفر عليه السلام أنَّهُ قال: «ما يستطيع أحدٌ أن يدَّعي أنَّ عنده جميع القرآن كلِّه، ظاهره وباطنه غير الأوصياء.»[٢].

ومن طريق الكافي أيضاً عن جابر قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «ما ادَّعى أحدٌ من الناس أنَّهُ جمع القرآن كلَّه كما أُنزل إلا كذّاب. وما

---

(١) بيتٌ من الشعر للشاعر العارف جلال الدين الرومي، ترجمتُهُ: «لو أبدى أحمد صلى الله عليه وآله وسلم قدراته الجليلة/ لاندهش جبرائيل إلى الأبد»، فإنَّ للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قدرات ومقامات لا يدانيه فيها جبرائيل عليه السلام وسائر الملائكة وحملة العرش، فإنَّهم جميعاً دون هذه المرتبة، وهذا على قاعدة حادثة المعراج، حيث إنَّهُ لما بلغ جبرائيل عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى سدرة المنتهى انتهى إلى الحجب فقال عليه السلام: «تقدم يا رسول الله ليس لي أجوز هذا المكان ولو دنوت أنملةً لاحترقت».
والشاعرُ هو جلال الدين محمد بن بهاء الدين سلطان العلماء محمد بن الحسين بن أحمد بن بكر البلخي القونوي (٦٠٤ ـ ٦٧٢هـ) المعروف بـ«مولوي» شاعرٌ وصوفيٌ كبيرٌ. تلمذ عند أبيه ثم الشيخ برهان الدين المُحقق الترمذي. قعد للدرس والوعظ بعد أبيه إلى أن اتفق أن لاقى الشمس التبريزي، فترك بالمرة مزاولة علوم الظاهر واشتغل بتهذيب النفس ومراقبة الباطن. أسّس الطريقة المولويّة وجعل للموسيقى عند احتفالاتها مكاناً. من آثاره: ديوانُ شعره المثنوي المعروف بـ«مثنوي معنوي» منظومٌ فارسي مشهور في مُجلدٍ في الحِكَم والأمثال والحقائق، ديوان غزلياته المشهور بـ«ديوان كبير وكليات شمس تبريزى» و«لب اللباب فارس» و«فيه ما فيه» وغيرها من المكتوبات والمجالس.

(٢) أصول الكافي، ج١، ص٢٢٨، ح٢، «كتاب الحجة»، باب أنَّه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنَّهم يعلمون علمه كله.

جمعه وحفظه كما أنزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، والأئمة من بعده عليهم السلام.»[1]. ومنه أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّهُ قال: «وعندنا ـ والله ـ علم الكتاب كلّه.»[2].»[3].

مراتب السرّ وتنزّل القرآن

« القرآنُ سرٌّ، وسرُّ السرّ، وسرٌّ مُسْتَسِرٌ بِسِرّ، وسرٌّ مُقَنَّعٌ بِسِرّ[4]، ويجب أنْ يَتَنَزَّلَ وينزل إلى الأسفل، وَيَتَنَزَّلَ حتى يصل إلى هذه المراتب النازلة.»[5].

(١) أصول الكافي، ج١، ص٢٢٨، ح١، «كتاب الحجة»، باب أنَّه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنَّهم يعلمون علمه كله.

(٢) أصول الكافي، ج١، ص٢٢٩، ح٥، «كتاب الحجة»، باب أنَّه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنَّهم يعلمون علمه كله.

(٣) راجع: شرح دعاء السَّحَر، للإمام الخميني قدس سره، ص٥٨ ـ ٥٩، شرح قوله عليه السلام: «اللهم إني أسألك من كلماتك بأتَمّها...». والكتاب من أعمق الكتب العرفانيّة والفلسفيّة والكلاميّة التي كتبها الإمام الراحل قدس سره باللغة العربيّة عام ١٣٤٧هـ/ق، وقد اعتمد قدس سره فيه على الآيات القرآنية وروايات أهل بيت العصمة عليهم السلام في شرح دعاء المُباهلة والمعروف بـ «دعاء السَّحَر».

(٤) إشارةٌ إلى ما رُوي عن صادق أهل البيت عليه السلام: «إنَّ أَمْرَنا سِرٌّ في سِرٍّ وسِرٌّ مُسْتَسِرٌ وَسِرٌّ لا يُفيدُ إلا سرّ وَسِرٌّ على سِرٍّ وَسِرٌّ مُقَنَّعٌ بِسِرّ». راجع: بصائر الدرجات، ص٤٨، بابٌ نادرٌ في أنَّ أمرهم صعبٌ مُستصعَبٌ. بحار الأنوار، ج٢، ص٧١، الباب (١٣) في النهي عن كتمان العلم والخيانة وجواز الكتمان عن غير أهله، الحديث (٣١).

(٥) تفسير سورة الحمد، للإمام الخميني قدس سره، الفصل الثالث، الدرس الرابع من الدروس التفسيريّة المعرفيّة، ص٢٨١. والكتاب تفسيرٌ عرفانيٌّ لفاتحة الكتاب قامت مؤسسةُ تنظيم وحفظ ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره بإعداده وجمعه باللغة الفارسيّة من مؤلفات وخطابات الإمام الراحل قدس سره، وقد وفقني الله عز وجل لإعداده وجمعه وتحقيقه ونشره باللغة العربيّة.

القرآن التجلّي التامّ للأسماء والصفات

«رسول الله ﷺ إنسانٌ كاملٌ على رأس هرم هذا العالم. الذات المقدَّسةُ للحق تعالى والتي هي غيبٌ ولكنها ظاهرةٌ في الوقت ذاته، تجمع كُلَّ الكمال بنحوٍ لا نهائي، متجلّيّة في الرسول الأكرم ﷺ بكُلِّ الأسماء والصفات، ومتجلّيّة في القرآن بكُلِّ الأسماء والصفات.»[١].

القرآن سرٌّ بين الحقّ تعالى والرسول الأكرم ﷺ

«القرآن ليس من مستوانا ليس من مستوى البشر، والقرآن سر بين الحق والوليّ الأعظم الذي هو رسول الله وهو ينزل متتالياً حتى يصل إلى الحد الذي يظهر فيه بصورة حروف وكلمات مكتوبة فيؤلف كتاباً بحيث نستفيد منه نحن.»[٢].

القرآن صورةٌ كتبيّةٌ لحضرة الغيب

«الحمد لله على آلائه... ونُقَدِّمُ له آلاف التحية والثناء إذ جعلنا من

---

(١) من خطابٍ كان الإمام ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه مدراء صناديق قرض الحسنة. راجع: صحيفة الإمام ﷺ والتي تحتوي على خطاباته وبياناته، والصادرة عن مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ﷺ، ج١٢، ص٣٣٩.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة عيد الفطر السعيد، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي ﷺ، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس الوزراء وأعضاء المجلس، رئيس وأعضاء مجلس الشورى، علماء الدين، كبار مسؤولي الدولة من مدنيين وعسكريين، السفراء والقائمين بالأعمال للدول الإسلاميّة في طهران، أسرة الشهيد چمران. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٩، ص٢٥٤.

أمّة خاتم النبيين محمد المصطفى ﷺ أفضل وأشرف الموجودات، ومن أتباع القرآن المجيد أشرف الكتب المقدَّسة الذي حُفِظَت صورتُهُ المَكتُوبَةُ الحاويَةُ لكُلِّ الكمالات وصينت من تلاعب شياطين الإنس والجنّ، فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.[1]»[2].

القرآن مُبَيِّنٌ للإنسان الكامل

«القرآنُ الكريم كاشفٌ عن رسول الله ﷺ، كما إنَّ الرسول الأمين ﷺ والإمام الصادق عليه السلام وولي الله الأعظم عليه السلام مَظْهَرٌ تَامٌّ للحقّ تعالى، كذلك القرآنُ مظهرٌ تَامٌّ للحقّ تعالى، أي تجلّى بجميع أسمائه وصفاته، وحقّق وليُّ الله الأعظم عليه السلام والرسول الأكرم ﷺ ذلك التجلّي لكافَّة الصفات والأسماء بالإشراقات التي لم نتمكن من إدراكها؛ [وكذلك وليّ الله الأكرم حضرة الإمام الصادق عليه السلام وسائر الأئمة عليهم السلام، فإنَّ القرآن هو المُعرِّف عنهم والمُبيِّن لهم]، وكُلُّ من تَصَفَّحَ المصحف الشريف وتأمَّل في ألفاظه ومعانيه يدرك عَظَمَةَ من جاء به.»[3].

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) من نداءٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد توجّه به من حسينيّة جماران في «طهران»، إلى مسلمي إيران والعالم وزائري بيت الله الحرام، بمناسبة إقامة مناسك الحج ومراسم البراءة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢٠، ص٢٥٧.

(٣) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ميلاد النبي الأكرم ﷺ وحفيده الإمام الصادق عليه السلام، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس الوزراء وأعضاء المجلس، رئيس مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء المجلس، المسؤولين العسكريين والإداريين والشخصيات العلمائية، أعضاء لجنة إسناد الحرب. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢٠، ص٣٢٩.

رشحاتٌ من عظمة القرآن

حقيقة القرآن

﴿ [إنَّ] فهم عظمة أيّ أمرٍ [متوقفٌ] على إدراك حقيقته، وحقيقة القرآن الإلهي المجيد قبل تنزُّله إلى المنازل الخلقيّة وارتدائه أردية الفعليّة من الشؤون الذاتيّة والحقائق العلميّة في «الحضرة الواحديّة» وتلك حقيقة «الكلام النفسي» المتمثلة في «المقارعة الذاتيّة» في «الحضرات الأسمائيّة»، وهي حقيقة لا يحصل عليها أحدٌ بالعلوم المتعارفة ولا بالمعارف القلبيّة ولا بالمكاشفة الغيبيّة، عدا ما حصل بالمكاشفة الإلهيّة التامّة للذات المباركة للنبي الخاتم ﷺ في محفل أنس **«قاب قوسين»** بل في محل خلوة سرّ مقام **«أو أدنى»**.

وآمال الأسرة الإنسانيّة قاصرةٌ عن بلوغ ذلك باستثناء الخلّص من أولياء الله عليهم السلام الذين اشتركوا في روحانيّة ذات النبي الخاتم ﷺ بحسب الأنوار المعنويّة والحقائق الإلهيّة، وفنوا في تلك الحضرة بالتبعيّة التامّة، فهم يتلقُّون علوم المكاشفة بالوراثة عنه ﷺ، فانعكست حقيقة القرآن في قلوبهم بنفس تلك النورانيّة والكمال الذين تجلّت حقيقة القرآن بهما في قلبه المبارك ﷺ دون أن تتنزّل بالمنازل أو ترتدي أردية الأطوار، وهذا هو

القرآن الخالص من التحريف والتغيير، المأخوذ مباشرةً من كتاب الوحي الإلهي.

وإنَّ من يستطيع تحمّل هذا القرآن هو الوجود الشريف لوليّ الله المطلق علي بن أبي طالب عليه السلام والآخرون لا يقدرون على الحصول على هذه الحقيقة إلّا بعد تنزّلها من مقام الغيب إلى الشهادة ومرورها عبر الأطوار الملكيّة والاكتساء بكسوة الألفاظ والحروف الدنيويّة.»[1].

« إنَّ فهم عظمة القرآن خارجٌ عن نطاق الإدراك، وبشكلٍ إجماليٍّ [نشير] إلى عظمة هذا الكتاب المنزّل والموجود في متناول الناس جميعاً، فإنَّ في ذلك فوائد جمَّة:

إعلم أيّها العزيز أنَّ عظمة [كُلّ] كلامٍ وكتاب تنشأ إما عن عظمة قائله وكاتبه وإما عن عظمة المُرسَل إليه وحامله، وإما عن عظمة حافظه وحارسه، وإما عن عظمة شارحه ومفسره، وإما عن عظمة الوقت الذي أُرسل فيه وكيفيته.

فبعضُ هذه الأمور لها دورٌ في تشكيل تلك العظمة ذاتاً وجوهراً، وبعضها الآخر عَرَضَاً أو بالواسطة (بشكلٍ مباشر وغير مباشر)، وبعضها يلعب دور الكاشف لتلك العظمة، وهي ـ بعد ذلك ـ متحققةٌ على أتمّ وجه وأوفاه في القرآن الكريم ـ هذه الصحيفة النورانيّة ـ بل هي من مختصاته لا

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الأوّل، أدب التعظيم.

يشاركه فيها كتابٌ آخر إما بشكلٍ مطلق، أو أنَّهُ لا يشاركه فيها بجميع المراتب.

عظمة الناطق بالوحي

أمّا عظمة القرآن بلحاظ قائله ومُنشئه وصاحبه، فهو تعالى العظيم المطلق، وكُلُّ ما يُمكنُ تصوره من أشكال العظمة في الملك والملكوت وجميع القدرات المنزلة في الغيب والشهادة، كُلُّها لا تُمثل سوى رشحات من تجلّيات عظمة فعله جلَّ وعلا. والحقُّ تعالى لا يمكن أن يتجلّى لأحدٍ بتجلياته وعظمته إلا بعد آلاف الحجب والستائر، كما في الحديث الشريف: «**إن لله سبعين ألف حجاب [من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سُبحات وجهه مَنْ دُوْنَهُ]**»[1]...

(١) راجع: بحار الأنوار، ج٥٥، ص٤٥، بيانٌ في وجود الحجب والسرادقات. والكتاب للعلامة الشيخ محمد باقر بن المولى محمد تقي المجلسي ﷺ، مُحققٌ مُدقق، ثقةٌ أمينٌ، غواص بحار الأنوار ومُستخرج لآلي الأخبار، من أكابر الرجال في علوم الدين والشريعة العقليّة والنقليّة، في الفقه وأصوله والحديث ورجاله والكلام والعقائد والأدب، أقام فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر بصلابة. له مؤلفات باهرة ومُصنفات زاهرة، كثيرةٌ ومُفيدة بالعربيّة والفارسيّة، أشهرها: «بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار» و«مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول» وهو شرحٌ لكتاب الكافي، و«ملاذ الأخيار في شرح تهذيب الأخبار»، و«شرح الأربعين»، و«الفوائد الطريفة في شرح الصحيفة»، و«الوجيزة في الرجال»، والعديد من الرسائل في مختلف أنواع العلوم. عاش ﷺ ٧٣ سنةً قضاها في العلم والعمل وتوفي ﷺ في السابع والعشرين من شهر رمضان المُبارك لعام ١١١١ للهجرة، ودُفن في أصبهان في الباب القبلي من جامعه العتيق في القبة التي دُفن فيها أبوه ﷺ، وفيها مدفنُ عدّةٍ من العُلماء الأمجاد.

عظمة رسول الوحي

أمّا عظمته بلحاظ رسول الوحي وواسطة الإيصال فهو جبرائيل الأمين والروح الأعظم الذي يتصل به الرسول الأكرم ﷺ بعد خروجه عن جلباب البشريّة وتوجيهه شَطْرَ قلبه إلى حضرة الجبروت. وجبرائيل أحد أركان دار التحقق الأربعة[1]، وهو أعظمها وأشرف أنواعها؛ إذ إنَّهُ ـ وهو الذات الشريفة النورانيّة ـ الملك الموكل بالعلم والحكمة وصاحب الأرزاق المعنويّة والأطعمة الروحانيّة، ونظرة إلى ما ورد في كتاب الله وفي الأحاديث الشريفة تكفي لإدراك مدى الإجلال والتعظيم الذي حُبي به جبرائيل وكيف أنَّهُ مُقَدَّمٌ على سائر الملائكة[2].

عظمة مُتَحَمِّل الوحي

وأمّا عظمة القرآن بلحاظ عظمة المرسل إليه والحامل له، فهو القلب التقيُّ، النقيُّ، الأحمديُّ، الأحديُّ، الجمعيُّ، المحمّديُّ، الذي تجلّى فيه الحقّ تعالى بجميع الشؤون الذاتيّة والصفاتيّة والأسمائيّة والأفعاليّة،

---

(١) دار التحقق هو عالم الوجود الخاضع لهيمنة الباري ﷻ، والأركان الأربعة هي الحياة والموت والرزق والعلم، والله تبارك وتعالى هو المحيي والمميت والرازق والهادي، لكن المباشرين الموكلين أربعة من الملائكة هم: إسرافيل للإحياء، وعزرائيل للإماتة، وميكائيل لمقادير الأرزاق ومكائيلها، وجبرائيل للهداية والعلم.

(٢) قال تبارك وتعالى في مدح جبرائيل ؑ ووصف حاله ومكانته، في سورة الشعراء، الآية ١٩٣: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾، وقال في سورة التكوير: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾. وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «أفضل الملائكة جبرائيل»، وقال ﷺ: «بلغني أنَّ جبرائيل إمام أهل السماء». راجع: بحار الأنوار، ج٥٦، ص٢٥٨، «كتاب السماء والعالم»، «أبواب الملائكة»، «باب آخر في وصف الملائكة المقربين»، ح٢٣، ٢٤.

وهو ﷺ صاحب ختم النبوة والولاية المطلقة، وأكرم البريّة، وأعظم الخليقة، وخلاصة الكون، وجوهرة الوجود، وعصارة دار التحقق، واللبنة الأخيرة، وصاحب «البرزخيّة» الكبرى والخلافة العظمى.

عظمة حافظ الوحي

وأما عظمته بلحاظ حافظه وحارسه، فهو الذات المقدَّسة للحقّ جلّ جلاله، كما يقول في الآية الكريمة المباركة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

عظمة شارح الوحي

وأمّا عظمته بلحاظ شارحه ومبينه فهم المعصومون المطهرون بدءاً برسول الله ﷺ وانتهاءً بحجّة العصر ﷺ، وهم مفاتيح الوجود، ومخازن الكبرياء، ومعادن الحكمة والوحي، وأصول المعارف والعوارف، وأصحاب مقام الجمع والتفصيل.

عظمة زمان الوحي

وأمّا وقت الوحي، فليلة القدر، وهي أعظم الليالي، فهي ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[2]، وأشدُّ الأزمنة نورانيّة، وفي الحقيقة فهي وقت وصول الوليّ المطلق والرسول الخاتم ﷺ.»[3].

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) القدر: ٣.

(٣) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح=

جامعيّة القرآن

﴿ القرآن الشريف بالإضافة إلى أنَّهُ جامعٌ لمختلف المعارف، ولحقائق الأسماء والصّفات، حيث لم يُعَرَّف أيٌّ من الكتب السماويّة وغيرها ذات الله تعالى وصفاته كما عرَّفها القرآن، فهو أيضاً جامعٌ للأخلاق والدَّعوة إلى المبدأ والمعاد والزُّهد في الدنيا، ورفض الطبيعة والتقلل من عالمها، والسير إلى منزل الحقيقة على نحوٍ لا يُتصور مثله في غيره من الكتب. ومع ذلك لم يشتمل كسائر الكتب المُصنَّفة على الأبواب والفصول والمُقدِّمة والخاتمة، وهذه من القدرة الفاعلة لمنشئه، حيث لم يحتج لهذه الوسائل والوسائط في إلقاء غرضه، ولهذا نرى أنَّهُ أحياناً في نصف سطرٍ بصورةٍ غير مشابهةٍ للبرهان يُبيّن برهاناً بيَّنه الحكماء بمقدِّمات كثيرة.﴾[1].



=الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الأوّل، أدب التعظيم، من ص٢٦٨ إلى ص٢١٧.

(١) راجع: جنود العقل والجهل، المقالة الخامسة، نكتةٌ، ص٤٩ ـ ٥٠. والكتاب من تأليف الإمام الراحل ﷺ في علم الأخلاق، شرح فيه حديث «جنود العقل والجهل» وضمنَّهُ آراءه الكلاميّة والأخلاقيّة والعرفانيّة بأسلوبٍ واضحٍ، وقد كتبه الإمام ﷺ بالفارسيّة وقام السيّد أحمد الفهري ﷺ بترجمته إلى العربيّة وقد صدر عن مؤسسة الأعلمي في بيروت، وهناك ترجمةٌ أخرى عن الأصل الفارسي الصادر عن مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ﷺ قامت بأعبائها لجنة الترجمة في مؤسسة أم القرى في قم المقدّسة وطبعت في دار المحجّة البيضاء في بيروت.



الفصل الثاني

مقاصد ومطالب القرآن المهمة



القرآن صانعُ الإنسان

المقصد من نزول القرآن

﴿إنَّ علينا ـ فضلاً عن البحث العقلي البرهاني الذي يوصلنا إلى فهم الهدف من التنزيل ـ أن نستلّ هذا الهدف من الكتاب ذاته، فَمُصَنِّفُ الكتاب أعرفُ بأهدافه ومقاصده، فلنتأمل قليلاً الآن فيما يقوله المصنف بما يرتبط بشؤون القرآن.

يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1] فقد وصفه بأنَّه كتاب هداية. ويقول تعالى في سورةٍ قصيرة: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[2].

ويقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

ويقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[4] إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي يطول ذكرها.﴾[5].

---

(١) البقرة: ٢.

(٢) القمر: ١٧.

(٣) النحل: ٤٤.

(٤) ص: ٢٩.

(٥) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني=

القرآن موصلُ الإنسان إلى مقام القرب

﴿ إعلم أنَّ هذا الكتاب الشريف ـ كما هو جليٌّ من تصريحاته ـ كتابُ الهداية، وموجّه السلوك الإنساني، ومربي النفوس، وشفاءٌ للأمراض القلبيّة، ونبراسُ السير إلى اللّه تعالى.

وعموماً، فإنَّ الله تبارك وتعالى وبناءً على سعة رحمته بعباده قد نَزَّلَ هذا الكتاب الشريف من مقام قربه وقدسه ـ بما يناسب العوالم المختلفة ـ حتى وصل إلى سجن الطبيعة في العالم الظلماني هذا، واكتسى بقوالب الألفاظ وأُطُرِ الحروف، سعياً في تخليص المسجونين في سجن الدنيا المظلم هذا، وتحرير المُكَبَّلين بسلاسل الآمال والأماني من أغلالهم، ورفعهم من حضيض النقص والضعف والحيوانية إلى ذروة الكمال والقوّة الإنسانيّة، ومن مجاورة الشيطان إلى مرافقة الملكوتيّين، بل للوصول بهم إلى مقام القرب وتحقيق مرتبة «لقاء الله» التي تمثّل أعظم المقاصد والمطالب عند أهل الله.

وعليه فإنَّ هذا الكتاب، كتاب الدعوة إلى الحقّ والسعادة، والمتكفّل ببيان منهج بلوغ هذا المقام. وعلى الإجمال فإنَّ محتوياته تتمثّل في كُلِّ ما له أثرٌ في هذا السير والسلوك الإلهي أو كُلّ ما يُعِينُ السالك والمسافر إلى الله.﴾[1].

=الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الثالث، القرآن كتاب تعليم وإفادة، ص٢٨٥.

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الثاني، بيان مقاصد ومطالب ومحتويات الكتاب الإلهي الكريم على نحو الإجمال، ص٢٧٣.

القرآنُ هادٍ إلى سُبُلِ السلامة

﴿ إنَّ مقصد القرآن ـ كما تصرِّح الصحيفة الإلهيّة ذاتها به ـ هو الهداية إلى سُبُل السلام، والخروج من كافَّة مراتب الظلمات إلى عالم النور، وهداية الطريق المستقيم، فعلى الإنسان أن يعرف من خلال التفكّر في الآيات الكريمة مراتب السلام بدءاً من مرتبته الدنيا المرتبطة بالقوى الملكيّة وانتهاءً إلى منتهى نهايته المتمثلة في حقيقة القلب السليم وفق التفسير الوارد عن أهل البيت وهو ملاقاة الحق وليس في القلب غيرُهُ.[1]. كما يجب أن تكون سلامة القوى الملكيّة والملكوتيّة هي ضالّة القارئ للقرآن، والتي يجب أن يبحث عنها في هذا الكتاب السماوي للعثور عليها «بالتفكّر».﴾[2].

القرآنُ يهدي إلى الأهداف السامية

﴿ لا تتوجهوا صوب هذه الجهة أو تلك فلا شيء أفضل من القرآن.

---

(١) روى الشيخ الكليني رحمه الله في أصول الكافي، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص، ح٥، ص١٦، قال: سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، قال: القلب السليم الذي يلقى ربه وليس فيه أحدٌ سواه. والكتاب كما هو معروفٌ ومشهورٌ لثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكُليني الرازي رحمه الله، شيخ مشايخ حديث الإماميّة ومن أكابر علمائهم. كان غايةً في الحفظ والضبط، ألّفَ أول كتب الشيعة الأربعة وهو كتاب «الكافي» الذي جمعه من شتات ما كتبه الأولون، ورتبه على ثلاثة أقسام: الأُصول والفروع والروضة. من سائر كتبه: كتاب الرجال ورسائل الأئمة.

(٢) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ«الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الخامس، التفكّر، ص٢٩٧.

ليس هناك مدرسة أسمى من القرآن. القرآنُ يهدينا إلى الأهداف السامية التي تتطلع إليها ذواتنا ولكنّنا لا نعلم بذلك.﴾[١].

القرآنُ عاكسٌ للمعنويّات في الماديّات

﴿ إنَّ اتصال المعنوي بالمادي وانعكاس المعنوي في مختلف الأبعاد المادية، إنَّما هو من خصوصيّات القرآن ومن إفاضاته. فالقرآن وفي ذات الوقت الذي هو كتابٌ معنويٌّ عرفانيٌّ [لا يمكن لنا ولا لخيالنا ولا حتى لخيال جبرائيل الأمين الوصول إليه]، فإنَّهُ أيضاً كتابٌ لتهذيب الأخلاق، ويبرهن على موضوعاته بالاستدلال، [ويدعو إلى الحكومة]، ويوصي بالوحدة وبالقتال، وكُلُّ ذلك من خصائص كتابنا السماوي الذي يفتح باب المعرفة بما يتناسب مع فهم الإنسان واستيعابه. [كذلك فإنَّهُ يفتح الباب على الماديّات، وعلى اتصال الماديّات بالمعنويّات، وعلى باب الحكومة، والخلافة، ومختلف الأشياء].﴾[٢].

القرآنُ مائدةٌ إلهيّةٌ واسعة

﴿ إنَّ القرآن والكتاب الإلهي مائدةٌ واسعةٌ يستفيد منها الجميع، غاية

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه ضباط ورتباء القوّة البحريّة لجيش الجمهوريّة الإسلاميّة. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٢، ص٤١٠.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه رؤساء السلطات الثلاث، وكبار المسؤولين من العسكريين والمدنيين، وجمعاً من الشخصيات السياسيّة والعلميّة والفكريّة، ورؤساء المراكز والمؤسسات الرسميّة والأهليّة، بمناسبة ذكرى المبعث النبوي الشريف. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٧، ص٣٥٤.

الأمر أنَّ كُلَّ شخصٍ يستفيد منها بشكلٍ من الأشكال، والهدفُ الأساس للكتاب الإلهي والأنبياء العظام ﷺ هو نشر المعرفة وتطويرها.»[1].

القرآنُ نقطة جمع كُلِّ المسلمين

«الكتاب [أي القرآن الكريم] الذي تنزّل من مقام الأحديّة الشامخ إلى مقام الكشف المحمدي التامّ لارشاد العالمين، ليكون نقطة الجمع لكُلِّ المسلمين، بل للعائلة البشريّة جمعاء، هادفاً إيصالها إلى ما يليق بها، وتحرير وليدة «علم الأسماء» من شرّ الشياطين والطواغيت، وإقامة القسط والعدل في العالم، وتفويض أولياء الله المعصومين (عليهم صلوات الأولين والآخرين) أمر الحكومة يسلمونها بدورهم لمن يرون فيه صلاح البشريّة.»[2].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ميلاد النبي الأكرم ﷺ وحفيده الإمام الصادق عليه السلام، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس الوزراء وأعضاء المجلس، رئيس مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء المجلس، المسؤولين العسكريين والإداريين. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٩، ص١٠٧.

(٢) من الوصية السياسيّة الإلهيّة والتي خاطب الإمام الراحل قدس سره بها الشعب الإيراني، والمسلمين، وشعوب العالم، والأجيال القادمة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢١، ص٣٥٧.

القرآن مفتاح معرفة الله ﷻ

القرآنُ داعٍ إلى معرفة الله ﷻ

﴿ عموماً فإنَّ أحد الأهداف الرئيسة لهذا الكتاب هو الدعوة إلى معرفة الله وبيان المعارف الإلهيّة من شؤونٍ ذاتيّةٍ وأسمائيّةٍ وصفاتيّةٍ وأفعاليّة. وأهم من هذا كُلِّهِ فإنَّهُ وفي سبيل تحقيق هذا الهدف يسعى لإيجاد توحيد الذات والأسماء والأفعال، فقد ذُكِرَ بعضُها فيه صراحةً، في حين ذُكر البعض الآخر على نحو الإشارة التي تحتاج للتقصي والتتبع.﴾[1].

القرآنُ مُعَرِّفٌ بالحقّ تعالى

﴿ إنَّ مغزى نزول الكتب السماويّة لا سيَّما القرآن الكريم هو بلوغ هذا الهدف السامي، أي التعريف بالباري جل وعلا بكُلٍّ ما له من أسماء وصفات.﴾[2].

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الثاني، بيان مقاصد ومطالب ومحتويات الكتاب الإلهي الكريم على نحو الإجمال، ص٢٧٤.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ميلاد=

القرآنُ ناشرُ التوحيد والمعارف

﴿ إنَّ مقصد الأنبياء العظام أساساً، والمراد من تشريع الشرائع وسنّ الأحكام ونزول الكتب السماويّة ـ خصوصاً القرآن المجيد، الكتاب الجامع الذي فُوِّض وكوشف به النور المُطَهَّر للرسول الخاتم ﷺ ـ إنَّما هو نشرُ التوحيد والمعارف الإلهيّة واستئصال جذور الكفر والشرك والازدواجيّة في النظرة والعبادة.

فالسرُّ الساري والجاري في جميع العبادات القلبيّة والقالبيّة، إنَّما هو التوحيد والتجريد.﴾[1].

القرآنُ حاوٍ للعلم بالذات والصفات

﴿ النظر في ذات الله لغرض إثبات وجوده وتوحيده وتنزيهه وتقديسه، هو الغاية من إرسال الأنبياء والمقصد لآمال العرفاء. والقرآنُ الكريم والأحاديث الشريفة مشحونةٌ بالأخبار حول العلم بذات الله وكمالاته وأسمائه. [لقد استخف الملحدون بأسماء الحقّ تعالى، وليس هناك أيُّ كتابٍ من كتب الحكماء والمتكلّمين تتعمق في إثبات ذات الله وأسمائه

=النبي الأكرم ﷺ وحفيده الإمام الصادق ؑ، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس الوزراء وأعضاء المجلس، رئيس مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء المجلس، المسؤولين العسكريين والإداريين والشخصيات العلمائية، أعضاء لجنة إسناد الحرب. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢٠، ص٣٢٩.

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الثاني، القيام، موعظةٌ حسنةٌ، ص٢٢٨.

وصفاته أكثر من الكتاب الإلهي الكريم وكتب الأخبار المعتبرة، مثل «الكافي»[١] و«توحيد» الشيخ الصدوق[٢]].﴾[٣].

(١) كتاب الكافي الشريف، أول كتب الشيعة الأربعة، لثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكُليني الرازي ﷺ، شيخ مشايخ حديث الإماميّة ومن أكابر علمائهم الأقدمين. كان غايةً في الحفظ والضبط، وقد جمع كتابه من شتات ما كتبه الأولون، ورتبه على ثلاثة أقسام: الأصول والفروع والروضة. وهو يشمل ٣٤ كتاباً، و٣٢٦ باباً، وقد أحصوا أحاديثه إلى ستة عشر ألف حديث. من سائر كتبه ﷺ: كتاب الرجال ورسائل الأئمة ﷺ.

(٢) كتاب التوحيد، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القُمي ﷺ، وُلد بدعوة الإمام صاحب العصر والزمان ﷺ، وجهُ الطائفة وفقيهها، مُحَدثٌ ورجاليٌ جليلُ القدر، لم يُرَ في القُميين مثله في الحفظ وكثرة العلم والتأليف والتصنيف، له نحوٌ من ثلاثمائة مُصنّف أهمها كتاب «من لا يحضره الفقيه» و«التوحيد» و«الإعتقادات» و«الأمالي» و«معاني الأخبار» و«فضائل الشيعة»، وغيرها الكثير الكثير مما لم يصلنا وقد جاء ذكرها في فهرست كتبه. توفي في الريّ سنة ٣٨١هـ وقبرُهُ فيها بالقرب من قبر السيّد عبد العظيم الحسني ﷺ، وهو مزارٌ يرده الناس ويتبركون به.

(٣) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني ﷺ، ص٢٢١، الحديث الثاني عشر «التفكر»، في بيان التفكر الممنوع والمرغوب في ذات الحقّ. والكتابُ أحد آثار الإمام الراحل ﷺ الأخلاقيّة والعرفانيّة النفيسة، كتبه ﷺ باللغة الفارسيّة عام ١٣٥٨هـ/ق، وقد قام السيّد محمّد الغروي بترجمته إلى العربيّة. ضمَّ الكتابُ أربعين حديثاً من أحاديث الأئمة الأطهار ﷺ وردت في الكافي الشريف، وقد تمَّ شرحها بصورةٍ مُبسَّطةٍ وبأسلوبٍ أدبيٍّ مؤثر. وهنا لا بُدَّ من إشارةٍ لطيفةٍ ومهمة في الوقت نفسه وهو أنَّ الإمام الخميني ﷺ كان قد انتهى من تأليفه لهذا لكتاب عام ١٣٥٨ للهجرة ـ كما تقدَّم ـ وهو ما يوافق لـ ١٩٣٩م، وقد كان انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران عام ١٩٧٩م، أي ما بين تأليف «الأربعون» وانتصار الثورة أربعون سنة تقريباً، ولعلّه من أسرار العدد ـ الأربعون ـ الذي لا تخفى خصائصه على ذي كياسة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ...﴾، وقال: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، وقال: ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ﴾، فإنَّ تكرار إيراد هذا العدد في كلام الباري جلا وعلا، وفي العديد من الروايات الواردة عن النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته

القرآنُ مُوَصِّفٌ للحقّ تعالى

﴿ ارجعوا قليلاً إلى كتاب الله، وإلى خطب رسول الله ﷺ، وأخبار خلفائه المعصومين ﷺ، وقارنوا لتروا مَن مِن الحكماء والعارفين جاء ببياناتٍ أجلى وأوضح مما جاء بها أولئك في كُلِّ موضوعٍ من مواضيع المعارف؟ إنَّ أقوالهم مشحونةٌ بوصف الحقّ والاستدلال على ذات الله وصفاته المقدَّسة، بحيث إنَّ كُلَّ طائفةٍ تحظى على قدر سعتها وإدراكها. ﴾[1].

القرآنُ عاملٌ في التطور المعنوي والعرفاني

﴿ إنَّ التطور المعنوي والعرفاني الذي ظهر من خلال القرآن يفوق جميع المسائل، وإنَّ البشر نظروا إلى القرآن كُلٌّ من زاوية خاصّة. فهناك من نظر إلى البعد الظاهري، والبعض الآخر نظر إلى البعد الاجتماعي، وآخرون نظروا إلى البعد السياسي، وكذلك نظر البعضُ إلى البعد الفلسفي، وآخرون إلى البعد العرفاني أو المعرفي. ولكنَّ البعد الحقيقي الكامن بين المُحب والمحبوب، والسرّ الموجود بين الله ﷻ والرسول الأكرم ﷺ ليس أمراً هيّناً نستطيع نحن إدراكه، وقد روي عن الإمام الباقر ﷺ أنَّهُ قال: «**إنَّني أستطيع استخراج جميع الأحكام والشرائع من لفظة (الصمد)**»[2].

الطاهرين ﷺ يُشعرنا بأنَّ لها أهميّة خاصّة، وإلا لما خُصَّ بتكرار الذكر دون غيره من الأرقام والأعداد. وهذا يسري أيضاً على ما ماثله من الأعداد التي تكرر إيرادها ولا ندَّعي تفرده بالأهميّة والخصوصيّة.

(١) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، ص٢٢٣، الحديث الثاني عشر «التفكر»، في بيان التفكر الممنوع والمرغوب في ذات الحقّ.

(٢) جاء في بحار الأنوار، ج٣، كتاب التوحيد، الباب٦، التوحيد ونفي الشرك، ومعنى الواحد=

إنَّ هذا موضوعٌ مهم. طبعاً نستطيع نحن أيضاً إدراك أصول المعارف من «الصمد»، لكنَّهُ عليه السلام يقول أشياءَ أكبر من ذلك.

على أيّ حال من المؤسف للبشر أنّهم لا يريدون أن يعرفوا، لم يسلكوا طريق المعرفة. لم يسلكوا طريق معرفة كتاب الله عزّ وجلّ. لم يقيموا علاقةً مع مصدر الوحي حتى يُفَسِّر الأمرَ لهم من مصدر الوحي.﴾[1].

معرفة الحقّ تعالى الهدف الأصلي للوحي

﴿ فالهدف الأصلي للوحي هو إيجاد المعرفة لدى البشر، فمعرفة الحقّ تعالى تقع على رأس أمور هذا المعنى.

التعليم والتزكية سبيلُ الوصول إلى حقائق الوجود، وإنَّما تذكر التزكية

=والأحد والصمد، ح١٥، ص٢٢٥، عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنَّهُ قال في حديثٍ طويل: «لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عزّ وجلّ حملةً لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد، وكيف لي بذلك ولم يجد جدي أمير المؤمنين عليه السلام حملةً لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ويقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني فإنَّ بين الجوانح مني علماً جمّاً، هاه هاه، ألا لا أجد من يحمله، ألا وإني عليكم من الله الحجة البالغة، ف﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ ٱلْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾».

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ميلاد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وحفيده الإمام الصادق عليه السلام، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس الوزراء وأعضاء المجلس، رئيس مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء المجلس، المسؤولين العسكريين والإداريين والشخصيات العلمائية، وفئات شعبيّة مختلفة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٨، ص٢١٥ ـ ٢١٦.

أوّلا ويُذكر التعليم بعدها لأنَّ النفوس إذا لم تُزَكَّ فإنَّها لن تتمكّن من الوصول.﴾[١].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ذكرى البعثة النبوية الشريفة ويوم الجيش، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي ﷺ، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس الوزراء وأعضاء المجلس، رئيس مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء المجلس، وأعضاء مجلس صيانة الدستور، وأعضاء المجلس الأعلى للقضاء، المسؤولين والشخصيات العسكريّة والمدنّية، علماء الدين، نواب مجلس الشورى الإسلامي، السفراء والقائمين بأعمال الدول الإسلاميّة في طهران. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٩، ص٢٠٠ ـ ٢٠١.

مطالب القرآن المهمّة

أحوال الكفّار والمعاندين

﴿ ومن الموضوعات الأخرى التي زخرت بها هذه الصحيفة النورانيّة، بيان أحوال الكفار والجاحدين وأعداء الحقّ والحقيقة والمعاندين للأنبياء والأولياء ﷺ، واستعراض عواقب أمورهم وما يتعرضون له من البوارِ والهلاك، كما في قصة فرعون وقارون والنمرود وشدّاد[1] وأصحاب الفيل وغيرهم من الكفّار والفجّار، إذ إنَّ في كُلِّ واحدةٍ من تلك القصص مواعظ وحِكماً، بل معارف لأهلها لا تحصى. ويدخل في هذا الباب قصص إبليس الملعون.

جهاد أصحاب النبي ﷺ

وكذلك ـ ولعلّه بابٌ مستقل ـ غزوات رسول الله ﷺ، الباب الذي ينطوي على مطالب سامية، أحدها: استعراض أساليب أصحاب رسول الله ﷺ في الجهاد، وذلك بهدف إيقاظ سائرالمسلمين من نوم الغفلة

---

(١) شدّاد أحد ملوك اليمن المتجبّرين والمستبدّين والظالمين، قام بإنشاء بستانٍ كبيرٍ أسماه (جنَّة إرَم) وجعله في قبال جنَّة الباري ﷻ، على أنَّهُ الجنَّةُ الموعودة.

وتحريضهم على النهوض والجهاد في سبيل الله ﷻ وإحياء كلمة الحقّ وإماتة الباطل.

القوانين والآداب والسنن

ومن الموضوعات الأخرى التي تصدّى لها القرآن الكريم، بيان الأحكام الخاصّة بظاهر الشريعة، وتوضيح الآداب والسنن الإلهيّة؛ فقد تصدى القرآن الكريم، الكتاب النوراني، لذكر أساسيّاتها. والأصل في هذا القسم، الدعوة إلى أمهات المطالب والضوابط، كالصلاة، والزكاة، والخمس، والحج، والصوم، والجهاد، والنكاح، والإرث، والقصاص، والحدود، والتجارة وأمثالها، ولما كان النفع المتأتي من هذا القسم ـ وهو علم ظاهر الشريعة ـ يعمُّ الجميع، وإنَّهُ قد جُعل لإعمار الدنيا والآخرة لجميع الطبقات، وأُريد به تحقيق النفع للجميع وكلٌّ على قدره، فقد وردت الدعوة إليه بكثرةٍ في كتاب الله، كما عرضت الكثير من خصوصيّاته وتفصيلاته في الأحاديث والأخبار والروايات. وبالتالي صارت تصانيف علماء الشريعة في هذا الباب أوفر منها في الأبواب الأخرى.

أحوال المعاد والثواب والعقاب

ومن الموضوعات الأخرى التي عُرضت في القرآن الكريم، أحوال المعاد والأدلّة عليه، وأشكال العذاب والعقاب، والجزاء والثواب الموافقة فيه، والتفاصيل المتعلّقة بالجنَّة والنار، والتعذيب والتنعيم. ويتصدى هذا الباب لذكر درجات وحالات أهل السعادة من أصحاب المعرفة والمقرَّبين، ومن أهل الرياضة والسالكين، ومن أهل العبادة والناسكين، وحالات ودرجات أهل الشقاء من الكفّار، والمحجوبين، والمنافقين، والجاحدين،

وأهل المعصية، والفاسقين، ولكن بأسلوبين، فما كان فيه نفعٌ عامّ، ذُكر بكثرةٍ وبلغةٍ أكثر صراحةً، وأما ما ينفع فئةً بذاتها فقد ذُكر على نحو الرمز والإشارة. فمثلاً يتوجه قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1]، وغيره من الآيات التي تتحدَّث عن لقاء الله إلى هذه الطائفة، في حين إنَّ قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[2] يتوجه إلى الطائفة الأخرى.»[3].

كيفيّة استدلالات القرآن الكريم

«ومن الموضوعات الأخرى الواردة في هذه الصحيفة الإلهيّة المباركة، أساليب الاحتجاجات والبراهين التي يقيمها الحقّ تعالى لإثبات المطالب الحقّة والمعارف الإلهيّة، كإثبات وجود الحقّ تعالى، والتدليل على التنزيه والعلم والقدرة وسائر صفاته الكماليّة.

وهنا أيضاً تارةً تطرح براهين دقيقة ينتفع منها أهل المعرفة تماماً، كما في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[4]، وتارةً تطرح براهين يستفيد منها الحكماء والعلماء بنحوٍ خاصٍ وأهل الظاهر وعامّة الناس بنحوٍ آخر كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[5] أو قوله

---

(١) التوبة: ٧٢.

(٢) المطففين: ١٥.

(٣) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، الفصل الثاني، بيان مقاصد ومطالب ومحتويات الكتاب الإلهي الكريم على نحو الإجمال، ص٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٤) آل عمران: ١٨.

(٥) الأنبياء: ٢٢.

تعالى: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾[1]، أو كما في قوله تعالى في الفواتح من سورة الحديد، وفي آيات سورة التوحيد المباركة وغيرها.

أو عند الاحتجاج على إثبات المعاد ورجوع الأرواح وإنشاء النشأة الأخرى، أو الاحتجاج على اثبات وجود ملائكة الله ﷻ، وعلى نبوّة الأنبياء العظام ﷺ التي وردت في مواضع مختلفةٍ من هذا الكتاب الشريف.

هذا بالنسبة لما احتج به الحقّ تعالى بذاته، إلا أنَّهُ تعالى احياناً ينقل براهين الأنبياء والعلماء في إثبات المعارف، كاحتجاجات خليل الرحمن ﷺ وغيرها.»[2].

تهذيب النفس

«ومن مقاصد القرآن المجيد وأهدافه الأخرى، تهذيب النفوس وتطهير البواطن من أرجاس الطبيعة وتحصيل السعادة، وتوضيح كيفيّة السير والسلوك إلى الله إجمالاً؛ الأمرُ العظيم الذي ينقسم إلى قسمين هامّين:

الأوّل: التقوى بجميع مراتبها بضمنها التقوى عن غير الحقّ والإعراض المطلق عما سواه.

والثاني: الإيمان بكافّة المراتب والشؤون المدرجة فيه من الإقبال على

---

(١) المؤمنون: ٩١.

(٢) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، الفصل الثاني، بيان مقاصد ومطالب ومحتويات الكتاب الإلهي الكريم على نحو الإجمال، ص٢٧٥.

الحقّ، والرجوع والإنابة إلى تلك الذات المقدَّسة. وهذا من المقاصد المهمّة لهذا الكتاب الشريف، وإليه ترجع أكثر المطالب بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشر.

قصص الأنبياء والأولياء عليهم السلام

ومن المطالب الأخرى في هذه الصحيفة الإلهيّة، قصص الأنبياء والأولياء والحكماء، وكيفيّة تربية الحقّ لهم، وكيفيّة تربيتهم للخلق، وفي ذلك من الفوائد ما لا يحصى ومن التوجيهات ما لا يُعَدُّ.

فقد ورد في هذه القصص من المعارف الإلهيّة والتعاليم وأشكال الأساليب الإلهيّة التربويّة ـ تصريحاً وتلويحاً ـ ما يحار العقل فيه.»[1].



(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، الفصل الثاني، بيان مقاصد ومطالب ومحتويات الكتاب الإلهي الكريم على نحو الإجمال، ص٢٧٥.



الفصل الثالث

جامعيّة القرآن



شموليّة قوانين القرآن لكُلِّ العالم والأزمنة

القرآن والإسلام شرعٌ لجميع البشر

لدينا دليلٌ من العقل على أنَّ الإسلام هو شرعُ جميع البشر في هذا الزمان أيضاً، والجميع مضطرّون للالتجاء إليه، فبعد أن اتضح لزوم أن يكون للبشر قانون، بحكم العقل، وأنَّ العالم والعالَمين محتاجون إلى دستورٍ، وأنَّ البلاد لا يُمكن أن تُدار بلا قانون.

نقول: هل لله حقٌّ في التشريع للبشر أم لا؟ إن قلتم لا فبالإضافة إلى أنَّهُ كلامٌ على خلاف حكم العقل، وإنَّ هذا عدم اعتناء بالله، نقول:

لماذا إذن أنزل في القرآن وسائر الكتب السماويّة تشريعاً للبشر وقام بما هو ليس من صلاحياته؟! فلا محيص من القول إنَّ لله حقّ التشريع، وحينئذٍ هل يتمكن أفضل من البشر في مجال التشريع؟ أم البشر أفضل؟ لا بُدَّ من القول هو الأقدر.

وحينئذٍ هل أنَّ التشريع الذي وضعه في الإسلام عمليٌّ بالنسبة إلى جميع البشر وفي هذا الزمان أم لا؟

إن لم يكن عمليّاً فلماذا بيَّن للناس تكاليفهم في الأزمنة السابقة وتركهم لأنفسهم في هذا الزمان؟ فما هي هذه المحبّة لأهل الزمان السابق، وأي عداوةٍ له معنا حتى يرسل لأولئك قرآناً بما فيه من التشريعات الكبرى،

وحدَّد لهم تكاليفهم في جميع شؤون حياتهم، أما نحن فَيَكِلُنا إلى أنفسنا حتى نفعل كُلَّ ما نشاء ونذهب في أي طريقٍ نريد؟! هل أنَّ علم الله في هذا الزمان قليل والأوروبيون ومجالس النواب أقدر على صياغة القانون فتركهم لأنفسهم؟! أم أنَّهُ عاند البشر ولم يرَ نفسه مسؤولاً عن التشريع وإعطاء الحكم؟!»[1].

---

(١) راجع: كشف الأسرار، للإمام الخميني ﷺ، المقالة السادسة: الحديث، ص٢٧٧، تحت عنوان: (دليل العقل على هذا القول). والكتاب كتابٌ سياسيٌ عقائديٌ اجتماعيٌ، كتبه الإمام الراحل ﷺ باللغة الفارسيّة عام ١٣٦٤هـ/ق (١٩٤٣م)، وكان ﷺ حينها في العقد الثالث من العمر، بعد عامين من عزل رضاخان عن السلطة، ردّاً على كتاب «أسرار هزار ساله» أي «أسرار الألف سنة»، لعلي أكبر حكمي زاده ـ وهو إبن أحد العلماء وقد انحرف عن الصواب ـ يدعو في ظاهره إلى الوهابيّة ولكنَّهُ يبطن أيضاً الدعوة إلى الملكيّة تأييداً لرضا خان، وعمد فيه إلى إثارة التهم الباطلة ضد الدين والعلماء، وقد ردّ الإمام ﷺ على هذا الكتاب بـ (كشف الأسرار) من خلال شرحه لأسس التشيع واستدلاله على صحّة هذا المذهب، وقد تناول فيه فكرة الحكومة الإسلاميّة وولاية الفقيه في عصر الغيبة، وفضح السياسات المعادية للإسلام، واستعرض ونقد فيه آراء الفلاسفة اليونانيين القدماء، وبعض الفلاسفة الإسلاميين والغربيين المعاصرين. اعتُبِر الكتابُ في ذلك الوقت ثورةً أبرزت رفعة شأن المقام العلمي لمؤلفه ﷺ فقد تضمَّن الكثير من الشواهد التي تعبر عن اطلاع الإمام ﷺ وثقافته الرفيعة بالإضافة إلى الأصالة المميزة التي انطلقت من عمق القرآن الكريم. ومما يجدر ذكره أنَّ سماحة الإمام ﷺ اضطر إلى توقيف دروسه كي يتمكن من إنجاز تأليفه هذا، وعلى إثر العناء الكثير الذي بذله على هذا الكتاب، تضرَّرت عينه الشريفة، وعند طباعة الكتاب في طبعاته الأولى رفض ﷺ أن يشير فيه إلى اسم المؤلف، وكان يقول: «لقد كتبت هذا الكتاب لأجل رضا الله فقط»، ولهذا نجد أنَّهُ قد طُبع ـ بالفارسيّة ـ مرات عديدة تحت عنوان: (كشف الأسرار تأليف السيّد كاشف الغطاء الموسوي). وحول هذا الأمر ننقل شهادة آية الله العظمى الآراكي ﷺ حيث يقول: «إنَّ هذا الرجل لهو الدين، الحاضرُ دوماً على أهبة الاستعداد، والمتهيئ حتى للقتل أيضاً، وإنَّ كتاب (كشف الأسرار) الذي كان قد كتبه بوحيٍ من عمق تديّنه، يصح أن نقسم بالله إنَّهُ ليس لهذا الرجل الصالح أيُّ غرضٍ فيه سوى ترويج الدين». يعتبر الكتاب أوّل كتابٍ سياسيٍّ للإمام=

القرآن حاوٍ للقوانين الكليّة الأساسيّة

«القوانين الكلّيّة الأساسيّة مثل قانون الأموال، وقانون القضاء، والعسكر، والزواج، والطلاق، والميراث، والمعاملات من قبيل التجارة والإجارة والصلح والهبة والمزارعة والشركة وأمثالها، وقانون الإسناد، وقانون العقوبات العامّة، مثل الحدود والقصاص، وقانون التبليغات، وقانون المنع من المنكرات مثل شرب المسكرات، والميسر، والطرب، والزنا، واللواط، والسرقة، والخيانة، والقتل، والسلب، وقانون التطهير، وقانون العبادات العامّة مثل الصلاة، والصوم، والحج، والوضوء، والغسل وأمثالها موجودةٌ بأجمعها في القرآن. وفي الحقيقة الأحاديث شارحةٌ موضحةٌ لهذه القوانين الكليّة التي ذكرت بشكلٍ عامّ في القرآن.»[1].

=الراحل ﷺ، وفي هذا المجال يقول آية الله الشهيد صدوقي ﷺ: «لعل البعض يتخيّل أنّ بداية نهوض الإمام ﷺ كانت في سنة ١٣٤١ (١٩٦٢م)، ولكنّ الأمر ليس كذلك، فإن تراجعوا كتاب «كشف الأسرار»، تروا أنّ الكلمات عينها التي أطلقها بعد الثورة، كانت هي نفسها قبل أربعين سنة». تعرّض الكتابُ لعملية قرصنةٍ واسعةٍ من خلال التحريف الكبير الذي طاله في ترجمةٍ أردنيّة انتشرت في مرحلةٍ من المراحل، ثم طُبع الكتاب في بيروت ونشر مع مقدّمةٍ تفضح التحريف في تلك الترجمة الأُردنية، دون ذكر اسم المُترجم أو الدار التي قامت بنشره. ولقد اعتمدنا في هذا الكتاب على هذه الطبعة بعد أن تحرّينا دقّة ترجمتها وذلك بعد الرجوع للأصل الفارسي ومقارنتها به، فوجدناها وافيةً بأداء المطالب. ومؤخّراً قامت مكتبة الفقيه في الكويت وبالاشتراك مع دار المحجة البيضاء في بيروت بإعادة طباعته ونشره بالأفست عن الطبعة البيروتيّة الأولى.

(١) راجع: كشف الأسرار، للإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، المقالة السادسة: الحديث، ص٢٨٣، تحت عنوان: (نظرةٌ إلى ما في الكتيب المُتعفن).

الاجتماعيّات والعباديّات في القرآن

﴿ ألفت نظركم إلى التفاوت الموجود بين القرآن وكتب الحديث والتي هي مصادر الأحكام والقوانين من جهة، وبين الرسائل العمليّة التي تكتب من قبل مجتهدي العصر ومراجع التقليد من جهةٍ أخرى من ناحية الجامعية والتأثير الذي يمكن أن تتركه في الحياة الاجتماعيّة. فنسبة الاجتماعيّات في القرآن للآيات العباديّة تتجاوز المئة مقابل واحد.﴾[١].

---

(١) راجع: كتاب «الحكومة الإسلاميّة» أو «ولاية الفقيه»، للإمام الخميني الراحل قدس سره، ص٢٠، المقدِّمة. والكتابُ في الأصل دروسٌ ألقاها الإمام قدس سره على طلبة العلوم الدينيّة في النجف الأشرف باللغة الفارسيّة عام ١٩٦٩م، ومن بعدها تُرجم إلى اللغة العربيّة والعديد من اللغات الأخرى. يشتمل الكتابُ على آراء الإمام قدس سره الاجتهادية حول مبدأ الحكومة الإسلاميّة، وعدم إمكانيّة الفصل بين الدين والسياسة، وولاية الفقيه في زمن الغيبة، ويعدّ الكتاب أساس تشكيل الحكومة الإسلاميّة في إيران. وتظهر من خلال هذا الكتاب الرؤية البارزة في نظرة الإمام الراحل قدس سره لمبدأ ولاية الفقيه، ألا وهي وجوب البحث عنها ضمن البحوث الكلاميّة والعقليّة لا حصر الكلام فيها من الجهة الفقهيّة فحسب. ولم يكتفِ الإمام قدس سره بذلك بل طرح وبشجاعة العالم المتمكن أنّ مسألة ولاية الفقيه بديهيّةٌ، وهذه أوّل فكرةٍ يطالعنا بها الإمام قدس سره في كتابه، ففي المقدمة يتحدَّث عن بداهة مبدأ ولاية الفقيه ودور الاستعمار في تحريف حقائق الإسلام والحكم الإسلامي، فيقول: ولاية الفقيه فكرةٌ واضحةٌ قد لا تحتاج إلى برهان بمعنى أنّ من عرَف الإسلام، أحكاماً وعقائد، يرى بداهتها ولكن وضع المجتمع الإسلامي، ووضع مجامعنا العلميّة على وجه الخصوص، يضع هذا الموضوع بعيداً عن الأذهان، حتّى لقد عاد اليوم بحاجة إلى برهان. ويتحدث في فصلٍ عن أدلة ضرورة تشكيل الحكومة، عقلاً وشرعاً وسيرةً. وفي الفصل التالي يتحدَّث عن نظام الحكم الإسلامي، امتيازه وشروط الحاكم. وفي الفصل الثالث يتحدث عن سبيل النضال من أجل تشكيل حكومة إسلامية، ودور العلماء في هذه الحركة وفي هذا النضال.

القرآن تبيانٌ لكُلِّ شيءٍ

﴿ القرآن الكريم والسنَّة الشريفة يشتملان على جميع القوانين والأحكام التي يحتاجها الإنسان لسعادته وكماله.

في كتاب الكافي فصلٌ تحت عنوان أن (ليس شيء من الحلال والحرام وجميع ما يحتاج الناس إليه ليس إلا وقد جاء فيه كتابٌ أو سُنَّةٌ)[١]، والكتاب ـ أيّ القرآن ـ تبيانُ كُلِّ شيء[٢]. ويُقْسِمُ الإمام عليه السلام ـ حسب الروايات ـ أنَّ كُلَّ ما يحتاج إليه الناس موجودٌ في الكتاب والسُنَّة، وهذا لا شك فيه[٣].﴾[٤].

القرآن والسُنَّةُ حاويان لجميع الاحتياجات

﴿ لقد بَيَّنَ لنا الأنبياء عليهم السلام الأمور التي تتعلّق بالروح، والتي تتعلّق بالمقامات العقليّة، والتي تتعلّق بالغيب. وبيَّن القرآنُ ذلك أيضاً، وأهلُهُ يعلمون، وقد بيَّنَت السُنَّةُ والكتابُ تلك الأمور التي هي من الوظائف

---

(١) راجع: أصول الكافي، ج١، ص٥٩ ـ ٦٢، كتاب «فضل العلم»، «باب الرد إلى الكتاب والسُنَّة وأنَّهُ ليس شيء من الحلال والحرام وجميع ما يحتاج الناس إليه ،ليس إلا وقد جاء فيه كتابٌ أو سُنَّةٌ».

(٢) إشارة إلى الآية ٨٩ من سورة النحل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾.

(٣) عن مرازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيانَ كُلِّ شيءٍ، حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبدٌ يقول: لو كان هذا انزل في القرآن؟ إلا وقد أنزله الله فيه. راجع: أصول الكافي، ج١، كتاب «فضل العلم»، «باب الرد إلى الكتاب والسُنَّة وأنَّهُ ليس شيء من الحلال والحرام وجميع ما يحتاج الناس إليه،ليس إلا وقد جاء فيه كتابٌ أو سُنَّةٌ»، ص٥٩، ح١.

(٤) راجع: كتاب «الحكومة الإسلاميّة» أو «ولاية الفقيه»، للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، ص٥٤، القسم الثاني، حقيقة قوانين الإسلام وكيفيّتها.

الخاصّة الداخلة في رقي الإنسان وتكامله، وبيَّنت الأمور المتعلقة بالمجتمع والأمور السياسيّة والأمور الاجتماعيّة وما يتعلق بتنظيم وتربية المجتمع.»[1].

القرآن شاملٌ لجميع المعارف

«... القرآن، يضم بين دفّتيه تمام المعارف والعلوم وكُلّ ما يحتاجه البشر.»[2].

القرآن مُرَبٌّ للإنسان

«القرآنُ كتابُ بناءٍ للإنسان، كتابُ الإنسان المتحرك، كتابُ الآدمي، الكتاب الذي يحوي كُلّ ما يتعلق بحركة الإنسان من هنا حتى آخر الدنيا، حتى آخر المراتب. إنَّهُ كتابٌ يبني معنويّات الإنسان، ويبني الحكومة أيضاً، وفيه كُلُّ شيءٍ.»[3].

«القرآنُ كتابٌ لبناء الإنسان، والعقيدةُ الإسلاميّة عقيدةٌ لبناء الإنسان

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في مسجد الشيخ الأنصاري رحمه الله في «النجف الأشرف»، خلال لقائه جمعاً من العلماء والطلبة والإيرانيين المقيمين في العراق، بمناسبة شهادة نجله السيّد مصطفى الخميني قدس سره. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٣، ص٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه جمعاً من مسؤولي الجمهوريّة الإسلاميّة، وفئات شعبيّة مختلفة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢٠، ص٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٣) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في مسجد الشيخ الأنصاري رحمه الله في «النجف الأشرف»، خلال لقائه علماء الدين وفئات الشعب المختلفة، بمناسبة ذكرى أربعينيّة شهداء قم المقدّسة الذين سقطوا بفعل جرائم أجهزة أمن السافاك في (١٩ دي). راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٣، ص٣٠٥.

بمختلف أبعاده، فهو لا يريد صياغة الإنسان من الناحية الماديّة فقط، ولا يريد صياغة الإنسان من الناحية الإلهيّة فقط، بل يهتم بالإنسان من كافّة جوانبه.»[١].

القرآن منهاجٌ لتربية الإنسان

«ينبغي عدم تصوّر أنَّ الإسلام جاء لإدارة هذه الدنيا، أو أنَّهُ جاء لمجرد توجيه الناس نحو الآخرة، أو أنَّهُ جاء ليعرِّف الناس بالمعارف الإلهيّة.

الاقتصارُ على جانبٍ واحدٍ من هذه الجوانب خلاف الحقيقة مهما كان. الإنسانُ غير محدودٍ ومربي الإنسان غيرُ محدودٍ، ومنهاجُ تربية الإنسان الذي هو القرآن غير محدودٍ، ليس محدوداً بعالم الطبيعة والمادّة، ولا بعالم الغيب، ولا بعالم التجرّد، بل هو كُلّ شيءٍ.»[٢].

القرآن مُعَلِّمٌ للإنسان

«الإسلام هو كُلُّ شيءٍ، القرآنُ هو كُلُّ شيءٍ، القرآن مدرسةُ الإنسان، كتابٌ لصياغة الإنسان، وكُلُّ شيءٍ موجودٌ في القرآن: السياسة، والفقه، والفلسفة، وكُلُّ شيءٍ. الإنسانُ هو كُلُّ شيءٍ، لذا يجب أن يُؤَمِّنَ القرآنُ كُلَّ احتياجاته، الإنسانُ معجزةُ هذا العالم، والقرآنُ معجزةٌ تصنع من الإنسان نموذجاً في كُلِّ المجالات.

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في المدرسة العلويّة في «طهران»، خلال لقائه جمعاً من علماء الدين. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٦، ص٤١.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه جمعاً من مدراء صناديق قرض الحسنة، بمناسبة مبعث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٢، ص٣٤٠.

ففي الوقت الذي يقوم القرآنُ بإعداد الفقيه، والفيلسوف، فإنَّهُ يقوم بإعداد المحارب والبطل من الإنسان نفسه.﴾[١].

الفرق بين أحكام الإسلام والقوانين الوضعيّة

﴿إن الفرق بين الإسلام وسائر القوانين الموجودة في هذا العالم ـ ولا نقصد القوانين السماويّة لأنَّ الموجود الآن منسوخٌ، والقوانين السماوية تشبه قوانين الإسلام ـ الفرق الأساسي بين الإسلام وما يتضمنه من أمور جاءت من الله ﷻ لتربية الإنسان مقارنةً بتلك القوانين التي وضعها البشر هو أنَّ القوانين الوضعيّة تلحظ نقاط الضعف لتقويتها، فالبشرُ وضع القوانين لاستتباب النظام، وضع القوانين للمعاشرة في هذه الدنيا وللسياسة الدنيوية غافلاً عن الأبعاد الأخرى التي تهم البشر.﴾[٢].

القرآن سعادة الدنيا والآخرة

﴿القرآن الكريم ضمن السعادة لكُلِّ البشر. القرآنُ الكريم يجعل كُلَّ من ينضوي تحت لوائه سعيداً في الدنيا والآخرة.﴾[٣].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في المدرسة الفيضيّة في «قم المقدّسة»، خلال لقائه ممثلي العلماء وطلاب العلوم الدينيّة وسائر الفئات الاجتماعيّة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٦، ص٢٢٩.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في المدرسة العلويّة في «طهران»، خلال لقائه جمعاً من علماء الدين. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٦، ص٤١.

(٣) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في المدرسة العلويّة في «طهران»، خلال لقائه جمعاً من منتسبي القوّتين الجويّة والبرية، في أوّل استعراضٍ للقوات الملتحقة بالثورة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٦، ص٨٦.

الماديّات والمعنويّات في القرآن

﴿ القرآنُ كتابُ بناء الإنسان جاء من أجل صناعة الإنسان، وليس كتاب صناعة الحيوان، ليس كتاب إعمار الماديّة، بل كُلّ شيءٍ، إنَّهُ يقوم بتربية الإنسان بجميع أبعاده، فهو يقبل الماديّات ولكن في ظلّ المعنويّات، يجعل الماديّات تبعاً للمعنويّات.﴾[1].

القرآن والاهتمام برفاهيّة الناس

﴿ الله ﷻ هو الذي خلق الإنسان ويريد تربيته في جميع أبعاده ولهذا لا فرق بين دينٍ وآخر في هذه المسألة؛ لأنَّها جميعها جاءت لتربية الإنسان.

إنَّ هذه الأمور التي أشرت إلى بعضها مطروحةٌ في الإسلام، في أحكامه، وفي القرآن، وتفيد الروايات أنَّ الإسلام يهتمّ كثيراً برفاهيّة الناس، براحة الناس، ولا يجعل فرقاً في هذه الأمور بين فئةٍ وأخرى.﴾[2].

القرآن جامعٌ لتمام المصالح الإنسانيّة

﴿ إنَّ لدينا كتاباً يتضمَّن القضايا الشخصيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، وتدبير المُلْكِ وجميع الأمور، وقد ورد في التفاسير بأنَّنا لا يحقّ لنا تفسير القرآن حسب رأينا؛ لأنَّهُ كما ورد في الروايات «إنَّما يَعْرِفُ القرآن مَنْ

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في المدرسة العلويّة في «طهران»، خلال لقائه جمعاً من نساء جنوب مدينة طهران، وحرس الثورة وأهالي (دشت مغان). راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٧، ص٣٧٨.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في قم المقدّسة، خلال لقائه جمعاً من أعضاء الطائفة اليهوديّة في إيران. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٧، ص٢١٩.

خُوطِبَ به»[1] وإنَّنا نأخذ القرآن عبر الوحي والمرتبطين بالوحي[2]، وإنَّنا نمتلك ثروات كبيرة في هذا المجال ولله الحمد.[3].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤٩، «تاريخ الإمام محمد الباقر عليه السلام»، الباب٢٠، الحديث٢.

(٢) للإمام الراحل قدس سره كلامٌ مبسوط في مسألة عدم أحقيّة الإنسان في أن يفسّر القرآن برأيه وفي أنَّهُ لا بُدَّ له ـ دائماً ـ من أن يرجع إلى منبع العلم وأصله، أي إلى المعصومين عليهم السلام الذين خوطبوا بكلام الوحي والعلوم الإلهيّة، وفي هذا المجال يقول قدس سره: «فالقرآنُ ليس ذاك الكتاب الذي نستطيعُ نحنُ أو غيرنا تصنيفَ تفسيرٍ جامعٍ له يحوي كافّةَ علومه كما هي، ففيه علومٌ هي فوق ما نفهم نحن. نحنُ نفهم ظاهراً منه ونُفَسِّرُ غطاءً منه والباقي يحتاجُ إلى تفسير أهل العصمة وهم المُعَلَّمون بتعليمات رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد ظهر في الآونة الأخيرة أشخاصٌ ليس من أهل التفسير أصلاً أرادوا تحميل ما لديهم من أفكار على القرآن والسنة، حتى أن فئةً من اليساريين والشيوعيين عمدت إلى التستّر بالقرآن أيضاً لعرض بضائعهم، وهؤلاء لا علاقة لهم أصلاً بالتفسير ولا بالقرآن فما يريدونه هو خداع شبابنا بما يقدمونه لهم على أنَّهُ هو الإسلام. وعلى هذا فما أُريد التنبيه إليه هو أنَّهُ لا ينبغي للذين لم يصلوا بعد إلى المستويات العالية من النضوج العلمي أن يدخلوا مضمار التفسير، فلا ينبغي للشباب غير المطلع على المعارف الإسلاميّة اقتحام ميدان تفسير القرآن، وإذا حدث أنْ تطفَّل أمثالُ هؤلاء لغاياتٍ وأهدافٍ ما على ميدان التفسير، فلا ينبغي لشبابنا أنْ يولوا أهميةً أو يقيموا وزناً لمثل هذه التفاسير فقد ورد في الإسلام نهيٌ صريحٌ عن «التفسير بالرأي»، كأن يعمد أيّ كان إلى تلبيس آرائهِ على القرآن، فيُطبّقُ الماديُّ أفكاره على بعض الآيات القرآنية فيُفسّرُ القرآنَ وفق رأيه، أو أنْ يعمد أحدُ أصحاب الآراء المعنويّة والروحيّة إلى تأويل كُلّ ما في القرآن الكريم ويرجعه إلى ما يعتقد هو. إنَّ اللازم هو أن نجتنب كُلَّ ذلك فأيدينا ليست مطلقة العنان في هذا المضمار والبابُ ليس مفتوحاً على مصراعيه لكي يعمد الإنسان إلى تحميل كُلَّ ما يصله عقلُهُ على القرآن فيقول هذا ما يقوله القرآن. وحيث أني أتحدّث ببعض الكلمات حول بعض من آيات القرآن الكريم فلا أدّعي أنَّ ما أقوله هو المراد والمقصود فيها، فما أقوله هو على نحو الاحتمال لا الجزم ولن أقول بأن المراد هو هذا لا غير... وأُكَرِّرُ القولَ بأنَّ هذا التفسير ليس على نحو الجزم وليس أنَّهُ هو المراد لا غير، إذ إنَّ مثل ذلك هو من التفسير بالرأي، فما نعرضه هو ما يصله نظرنا، ما نفهمه فنقوله على نحو الاحتمال». راجع: تفسير سورة الحمد، للإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، خطبة الكتاب، ص٣٩.

(٣) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه إمام جمعة طهران ورئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله،=

القرآن كتابٌ لجميع الأعصار

﴿ الله ﷻ محيطٌ بكُلِّ شيءٍ في كُلِّ عصرٍ، والقرآنُ كتابُ كُلِّ عصر، وأحكامُ رسول الله ﷺ لكُلِّ زمان.﴾[١].

هداية القرآن لا تتعلّق بزمنٍ محدّد أو مكان معيّن

﴿ يجب أن نعلم أنَّ الحكمة تكمن في حفظ هذا الكتاب الخالد والأبدي النازل لهداية البشر بكُلِّ أصنافهم وأشكالهم، وأينما حَلّوا ووجدوا من الأقطار إلى قيام الساعة لتلك المسائل الحيويّة والمهمّة سواء من الناحية المعنويّة أم من الناحية العمليّة، فلا تختص مسائل هذا الكتاب بعصر ومكان معين. ولا يُظن أنَّ قصد إبراهيم وموسى ومحمد ـ عليهم وعلى آلهم السلام ـ يتعلق بزمنٍ محدَّدٍ.﴾[٢].



=والمشاركين في المؤتمر العالمي الثاني لأئمة الجمعة والجماعة في إيران والعالم). راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٨، ص٣٣٧.

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في قم المقدّسة، خلال لقائه جمعاً من العاملين في القوّة الجويّة. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٨، ص١٤٣.

(٢) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد توجه به من حسينيّة جماران في «طهران»، إلى مسلمي إيران والعالم أجمع، لا سيّما حجاج بيت الله الحرام لعام ١٤٠٦هـ/ق. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٢٠، ص٨٢.



الفصل الرابع

دعوة القرآن



أسلوب الدعوة في القرآن

التكرار وآثاره التربويّة

﴿العلّة في تكرار القصص القرآني ـ كقصة آدم وموسى وإبراهيم وسائر الأنبياء عليهم السلام ـ تكمن في أنَّ هذا الكتاب ليس كتاباً تاريخيّاً أو قصصيّاً، بل كتاب سيرٍ وسلوكٍ إلى الله، وكتاب توحيدٍ ومعارف ومواعظ وحِكَم، والتكرار في مثل هذه الأمور أمر لا غنى عنه، لضمان التأثير في النفوس القاسية وإيصال العِظَةِ إلى القلوب. وبعبارةٍ أخرى، فإنَّ على من يريد أن يُربّي ويُعلّم وينذر ويُبَشِّر، أن يُعَبِّرَ عن مراده بتعابير متنوعةٍ وبأشكالٍ من البيان شتى، فبالقصةِ والحكاية تارةً، وبالتاريخ والنقل تارةً أخرى، وبالتصريح المباشر مَرّةً، وبالتعريض والكناية والتلويح مَرَّةً أخرى كي يتحقّق للنفوس المختلفة والقلوب الشتى الانتفاع والاستفادة من ذلك.﴾[1].

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الأوّل، بيان مقاصد ومطالب ومحتويات الكتاب الإلهي الكريم على نحو الإجمال، ص٢٧٦.

بيان الأساليب التربويّة المتعددة في القرآن

✲ فهذا الكتاب المجيد يهدف لتحقيق السعادة لجميع الطبقات من أبناء البشر، ولما كان بنو الإنسان مختلفين في حالات قلوبهم وفي عاداتهم وأخلاقهم، تتباين أحوالهم بحسب الزمان والمكان، تعذّر تحقيق الهدف بدعوتهم جميعاً بأسلوبٍ واحدٍ، فَرُبَّ نفوسٍ لا يمكنها الاستجابة وأخذ التعاليم بالدعوة المباشرة الصريحة وبعرض المطلوب بشكلٍ مباشر، فهي عديمة التأثر بذلك، لذا وجب اللجوء إلى دعوة هذه النفوس وإفهامها المطلوب بطريقةٍ تتناسب وتركيبتها الذهنية.

في حين قد تكون هناك نفوسٌ لا تميل إلى القصص والحكايات والتواريخ، بل ترغب في عرض لبِّ المطالب ولُباب المقاصد المرادة من تلك القصص والحكايات، وهذه الطائفةُ لا يمكن معاملتها بأسلوبٍ مشابهٍ لما تُعامل به الطائفة الأولى.

وقد تكون بعض القلوب مما ينفعها الترهيب والإنذار، فيما يكون الترغيبُ والتبشيرُ مناسباً لقلوبٍ أخرى. ولكلِّ ذلك تجد أنَّ القرآن المجيد قد دعا الناس بأساليب مختلفةٍ مستخدماً فنوناً متعددة وأساليب متباينة.

والتكرار في كتابٍ كالقرآن المجيد أمرٌ حتميٌّ ضروريٌّ، والدعوةُ والموعظةُ تخرج عن حدّ البلاغة اذا خلت من التكرار والتفنن في العرض ولن يتحقق الهدف المطلوب منها وهو التأثير في النفوس. فضلاً عن كُلّ هذا فإنَّ الموضوعات المعروضة في هذا الكتاب الشريف جاءت بطريقةٍ تحول دون إصابة الإنسان بالضجر نتيجة تكرارها. ففي كُلّ مرّةٍ يتعرض القرآنُ لذكر الموضوع، يذكر جانباً وأموراً لا تكون مذكورةً عند تعرضه له

في موضعٍ آخر، فهو في كُلِّ مَرَّةٍ يتخذ من نكتةٍ عرفانيّةٍ أو أخلاقيَّةٍ هامّةٍ محوراً يدور الحديث حوله.

وبيان هذا الأمر يستلزم استقصاءً كاملاً للقصص القرآني لا يسعه هذا المختصر، وإنَّ لمن آمالي ـ أنا الضعيف العاجز ـ تصنيف كتابٍ بشأن القصص القرآني وحل اسرارها ـ بتوفيق الله ـ والإشارة إلى اساليبها في التعليم والتربية بالقدر الميسور، وإنْ كان القيام بهذا الأمر أمنيةً ساذجةً وخيالاً باطلاً لمن هو مثلي.

قصص الأنبياء عليهم السلام وآثارها التربويّة

على أيّة حال، فإنَّ ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام وطُرُقَ سيرهم وسلوكهم، وأساليب تربيتهم لعباد الله، وحكمهم، ومواعظهم، ومجادلاتهم بالتي هي أحسن يُمَثِّلُ باباً من أوسع أبواب المعارف والحِكَم، وأعظم مداخل السعادة والتعاليم التي فتحها الحقُّ تعالى وَجَلَّ مَجْدُهُ أَمَام عِبَادِهِ.

ولا غرو أن يكون ـ كما أنَّ لأرباب المعرفة وأصحاب السلوك والرياضة حظاً وافراً ونصيباً كافياً منها ـ للآخرين نصيبٌ وافٍ وحظٌّ عميمٌ منها أيضاً.

ففي حين يفهم أهل المعرفة من الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا...﴾ الآية[1] منهجَ إبراهيم عليه السلام في السلوك والسير، ويتعلمون منها طريق السلوك إلى الله والسير إلى حضرته تعالى، ويدركون منها حقيقة «السير الأنفسي» والسلوك المعنوي ـ من منتهى ظلمة الطبيعة المعبّر عنها في مسلكهم بـ (جنّ عليه الليل) إلى الإلقاء المطلق للإنّيّة والأنانيّة، والتخلّي عن النفس وعن العجب، وبلوغ المقام المقدّس، والدخول في محفل الأنس

(١) الأنعام: ٧٦.

المشار إليه في مسلكهم بـ ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[١] ـ نرى أنَّ الآخرين يفهمون منها «السير الآفاقي» وأسلوبَ خليل الرحمن عليه السلام في تربية أمّته وتعليمها.

وعلى هذا المنوال تختلف استفادات أهل المعارف والرياضات والمجاهدات عن استفادات الآخرين عند الاطلاع على سائر القصص والحكايات، كقصة آدم وإبراهيم وموسى ويوسف وعيسى عليهم السلام، ولقاء موسى والخضر عليهما السلام.

القرآن وبيان المعارف والمواعظ

ويدخل ضمن هذا القسم ـ أو إنَّهُ يُشَكِّلُ باباً مستقلاً ـ الحِكَمُ والمواعظ التي يعرضها الحقُّ تعالى، فيدعو عباده إليها ـ كُلَّما سنحت المناسبةُ ـ أو إلى المعارف الإلهيّة والتوحيد والتنزيه، كما في سورة التوحيد المباركة وأواخر سورة الحشر وأوائل سورة الحديد وسائر الموارد الأخرى في الكتاب الإلهي المجيد.

ولأصحاب القلوب والسابقين بالحسنى استفاداتٌ لا تحصى في هذا الباب. فمثلاً يستفيدُ أصحابُ المعارف من الآية الكريمة: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٢] قُرْبَ النافلة والفريضة، في حين يفهم الآخرون منها الخروج بدنيّاً والهجرة إلى مكّة أو المدينة.

أو يستفيدون من الآية الكريمة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن

---

(١) الأنعام: ٧٩.

(٢) النساء: ١٠٠.

دَسَّنٰهَا﴾[1] الدعوة إلى تهذيب النفوس وممارسة الرياضات الباطنيّة، أو الدعوة إلى العمل الصالح ـ كما هو معلوم ـ أو التحذير مما يقابل كُلَّ واحدٍ من تلك الأمور.

كما يَدْخُلُ في هذا الباب حِكَمُ لقمان وسائر العظماء والمؤمنين المذكورة في هذه الصحيفة الإلهيّة في موارد مختلفة، كقصة أصحاب الكهف وما تعرَّضوا له من أحداث.»[2].

التلقين وآثاره التربويّة

«تعلمون أنَّ القرآن كتابٌ معجزةٌ، وفي الوقت نفسه يحتوي على تكرارٍ كثيرٍ في بعض المسائل. وطبعاً هناك قضايا تطرح في كُلِّ تكرار. وبما أنَّ القرآن قد جاء لبناء الإنسان وهداية الناس فلا يمكن أن يذكر أمراً مرّةً واحدةً ويمضي. [يجب أن يلقنه الأمور مكرّراً، وأن تطرق سمعه بشكلٍ مكرّر. التلقينُ لا يكون دفعيّاً]، كما أنَّكم لو أردتم تربية الطفل فلا بُدَّ من طرح المسألة الواحدة عدَّة مرات، وبألفاظٍ متعددةٍ، وفي صيغٍ مختلفةٍ، [المطلبُ يكون واحداً إلا أنَّ طريقة البيان تكون متعددةً] لكي تنتقش في قلبه!.»[3].

---

(١) الشمس: ٩.

(٢) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الأوّل، بيان مقاصد ومطالب ومحتويات الكتاب الإلهي الكريم على نحو الإجمال، ص٢٧٦ ـ ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

(٣) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في قم المقدَّسة، خلال لقائه جمعاً من العاملين بحقل التربية والتعليم في طهران. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٠، ص٣٢.

لزوم التكرار وضرورة التلقين في عملية بناء الإنسان

﴿ هناك مسائل على قدرٍ من الأهميّة بحيث تحتاج معها لأن تتكرّر كثيراً، وهذا ما نلحظه في القرآن والكثير من كتب الأخلاق التي تهدف إلى بناء الإنسان والمجتمعات، حيث نلاحظ أنَّ التكرار فيها جاء متناسباً مع أهميّة الموضوع المتناول. فالتكرار في القرآن الكريم كثيرٌ جداً، وهناك من يتصوّر عدم فائدته، مع أنَّهُ في الحقيقة لازمٌ وضروريٌّ. ومن المسائل المفيدة في بناء الإنسان، هو أسلوب التلقين.

ويمكنُ للإنسان أن يطبق هذا الأسلوب على نفسه، إذا ما أراد أن يربي فيها بعض الخصال والأمور، وذلك من خلال تلقينه لنفسه هذه الأمور عن طريق التكرار، فالمطالبُ المراد لها التأثير في الإنسان تحتاج إلى التلقين والتكرار لتتعمق وتتجذر أكثر في نفس الإنسان، وهذا ما يفسر لنا تأكيد الإسلام على تكرار الأدعية والأذكار والصلاة كُلَّ يومٍ عدّة مرّاتٍ وبشكلٍ دائمٍ، إذ أنَّ في تكرار قراءتها تكراراً للنطق بها ولسماعها، وبالتالي تكراراً لاستحضار مضامينها الراقية والبنّاءة مما يزيد في تعميق هذه المضامين وترسيخها في النفس.﴾[1].

تأثير التكرار في تهذيب النفس

﴿ إنَّ القرآن كتابٌ لبناء الإنسان في جميع المراحل التي يعيشها. ففي

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه ممثله في الحرس الثوري، وجمعاً من قيادات الحرس الثوري، ومسؤولي دائرة التوجيه العقائدي والسياسي في جيش الجمهوريّة الإسلاميّة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٣، ص٣١١.

القرآن دعوةٌ لجميع المراحل وطريقٌ لها. فجميع القصص الواردة في القرآن التي تكرّرت أحياناً كانت لأهميّة المسأله، فهي كانت دليلَ الناس للتهذيب. ليس القرآن كتابَ الأحكام الفقهيّة، فقد ذكر كلّيّات أصول الأحكام، وحتى تلك ليست كاملة، فالقرآنُ كتابُ الدعوة وكتابُ إصلاح المجتمع.﴾[1].

مقاصد القصص القرآني

﴿إن الإنسان من الموضوعات المتكرّرة في القرآن؛ لأنَّهُ يريد أن يربي الإنسان. القرآنُ ليس تاريخاً، فلو كان تاريخاً فإنَّ التاريخ يتحدَّث عن الوقائع. غير أنَّ كتب الأخلاق تعيد وتكرّر الموضوعات. فالذين يتحدّثون للناس عن الأخلاق، عليهم أن يعيدوا ويكرّروا كي تترسخ في أذهان الناس. إذ أنَّ ذكر الموضوع مرّةً واحدةً لا يكفي.

ومن الملاحظات المهمّة بالنسبة للقرآن الكريم، هو هذا التكرار الذي ترونه أحياناً. لكنَّهُ في الحقيقة ليس تكراراً وإنَّما أسلوبٌ من أساليب بناء الإنسان. ففي كُلِّ صفحةٍ تفتحونها ترون القرآن يدعو إلى التقوى، يدعو إلى عمل الخير، وفي صفحةٍ أخرى تجدون قصّة موسى عليه السلام تذكر عدّة مرات، وهكذا قصّة إبراهيم عليه السلام. فالقرآنُ لا يريد أن يكرّر القصّة علينا، فذكر القصّة مرَّةً واحدة يكفي.

[أولئك الذين لا يعرفون القرآن، أولئك الأجانب الذين لا يفهمون ما هو القرآن، يقولون إنَّهُ من الجيد لو كان القرآنُ باباً باباً، يُذكرُ في كُلِّ بابٍ

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه أئمة الجمعة عن محافظتي «أصفهان» و«چهار محال وبختياري». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٥، ص٤٣١.

موضوعٌ مُغايرٌ! القرآنُ جاء لأجل بناء الإنسان، وبناءُ الإنسان لا يكون دفعةً واحدةً]. إنَّ معلم الأخلاق لا يستطيع أن يذكر الموضوع مرَّةً واحدةً وينتهي، بل ربَّما يكرّره في الجلسة الواحدة عشرات المرّات، يعيد ويكرّر حتى يستقرّ في الأذهان.»[1].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة عيد النوروز، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس الوزراء وأعضاء المجلس، رئيس مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء المجلس، أعضاء مجلس صيانة الدستور، رئيس هيئة الأركان المشتركة للجيش، المجلس الأعلى للحرس وممثلي الإمام قدس سره في الحرس الثوري، علماء الدين، كبار مسؤولي الدولة من مدنيين وعسكريين. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٧، ص٣٠٨ ـ ٣٠٩.

أهداف دعوة القرآن

إحياء قلوب الآدميين

﴿ إنَّ صاحب هذا الكتاب ليس «السكاكي»[1] أو «الشيخ»[2] ليكون هدفه فيه جوانب البلاغة والفصاحة، ولا هو «سيبويه»[3] أو «الخليل»[4]

---

(١) هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد الخوارزمي المعتزلي الحنفي الملقب بسراج الدين السكاكي، صاحب كتاب «مفتاح العلوم» الذي لخص القسم الثالث منه خطيب دمشق وشرحه التفتازاني بالمطول والمختصر. توفى سنة ٦٢٦هـ.

(٢) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي اللغوي، والمعروف في كتب البلاغة بـ «الشيخ»، مؤسس علم البيان، صاحب «أسرار البلاغة» و«دلائل الاعجاز» و«العوامل المائة» و«الإمامة». توفي سنة ٤٧١ هجرية.

(٣) هو أبو الحسن أو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البيضاوي العراقي البصري النحوي المعروف بـ «سيبويه»، المشتهر كلامُهُ وكتابه في الآفاق، الذي قال في حقه العلامة الطباطبائي بحر العلوم ﷺ: إنَّ المتقدّمين والمتأخرين وجميع الناس في النحو عيالٌ عليه، أخذ عن الخليل ويونس والأخفش الأول وغيرهم. له تصنيفات منها «الكتاب» وهو الذي مدحه العلماء ولهم عليه شروح وتعليقات. توفى في حدود سنة ١٨٠هـ وقبره في شيراز.

(٤) هو الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي البصري أبو عبد الرحمن، نسبة إلى فراهيد بطنٌ من الأزد. وقيل: أبو الصفا الفراهيدي، ويقال الفرهودي اليحمدي العتكي الأزدي، ويقال: الباهلي البصري النحوي العروضي، صاحب العربيّة والعروض، إمام النحويين، كان شيعياً. وقد نصّ على تشيّع الخليل الشيخ جمال الدين الحسن ابن يوسف بن المطهر، العلّامة الحلي=

ليكون هدفه النحو والصرف. كما إنَّهُ ليس «المسعودي»[١] أو «ابن خلّكان»[٢] ليكون بحثه في تاريخ العالم.

=إلى أن قال: ومن المنقول عنه في الاستدلال على تقدم عليّ عليه السلام في الإمامة قوله: «استغناؤه عن الكلّ واحتياج الكُلّ إليه دليلٌ على أنَّهُ إمامُ الكُلّ». وقال العلّامة رحمه الله في حقه: هو أفضل الناس في الأدب، وقوله حجّة فيه، واخترع علم العروض، وفضله أشهر من أن يذكر، وكان إمامي المذهب ـ انتهى ـ. وقال السيرافي: كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه، وهو أوّل من استخرج العروض وحصر أشعار العرب بها، وعمل أوّل كتاب العين المعروف والمشهور، . . . وقد كان من الزهّاد في الدنيا والمنقطعين إلى الله تعالى. وفي رياض العلماء: كان الخليل على ما قاله الأصحاب من أصحاب الصادق عليه السلام ويروي عنه، والخليل جليل القدر عظيم الشأن أفضل الناس في علم الأدب وكان إمامي المذهب، وكان في عصر مولانا الصادق عليه السلام بل الباقر عليه السلام، وكان إماماً في علم النحو واللغة. وقال الكفعمي من علمائنا إنَّ الخليل كان من أزهد الناس وأرفعهم نفساً، وكان الملوك يقصدونه ويبذلون له فلا يقبل، وكان يحجّ سنة ويغزو سنة حتى جاءه الموت. ويروى عنه أنَّهُ قال: إن لم تكن هذه الطائفة (أي الشيعة الإثنا عشريّة) أولياء فليس لله ولي. توفي رحمه الله سنة ١٦٠هـ وقيل ١٧٠ هـ، وله ٧٤ سنة.

(١) هو أبو الحسن الهذلي علي بن الحسين المسعودي صاحب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» في التواريخ وغيرها. له كتاب «المقالات في أصول الديانات» ذكره في «مروج الذهب» وذكر له النجاشي أيضاً «الإبانة في أصول الديانات». له مؤلفات في إثبات إمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، وفي «إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام». وقد نصَّ على تشيّعه الشيخ الطوسي رحمه الله والنجاشي رحمه الله وغيرهما، وقال ابن إدريس الحلي في حقه: وهذا الرجل من مصنّفي أصحابنا، معتقدٌ للحقّ.

(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلّكان البرمكي، قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس الإربلي، الشافعي، مؤلّف «وفيات الاعيان» كان فقيهاً، مؤرّخاً، أديباً ماهراً، شاعراً. وابن خلّكان بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام المكسورة، أو بضم الخاء وفتح اللام المشددة كما أسند إلى المشهور، أو بكسر الخاء واللام جميعاً، كما قد يوجد في بعض الكتب. وقد قيل في تسمية جده خلكان به بناءً على ضبطه الأوّل: أنَّهُ افتخر يوماً في مجلسٍ كان له على بعض قرنائه بمفاخر آبائه الذين هم آل البرامكة الوزراء المشهورون، فقيل له في ذلك: خلّ كان، بمعنى دع كان أبي كذا، وجدي كذا، ونسبي كذا، وحدثنا عما يكون في نفسك الآن، كما يقول في ذلك الشاعر:

(ليس الفتى من يقول كان أبي * إنَّ الفتى من يقول ها أنا ذا).

إنَّ هذا الكتاب ليس كعصا «موسى عليه السلام» ويده البيضاء، ولا كأنفاس «عيسى عليه السلام» الذي كان يحيي الموتى، فهو لم ينزّل ليكون معجزةً تدلّل على صدق النبي الأكرم ﷺ فقط، وإنّما هو كتابٌ لإحياء القلوب بحياة العلم والمعارف الإلهيّة السرمديّة. إنّهُ كتابُ الله جلَّ وعلا الداعي إلى الشؤون الإلهيّة.»[1].

الوصول بالإنسان إلى كمال الإنسانيّة

«إعلم أنَّ هذا الكتاب الشريف ـ كما هو جليٌّ من تصريحاته ـ كتابُ الهداية، وَمُوَجِّهُ السلوك الإنساني، ومربي النفوس، وشفاءٌ للأمراض القلبيّة، ونبراسُ السير إلى اللّه تعالى.

وعموماً، فإنَّ الله تبارك وتعالى وبناءً على سعة رحمته بعباده قد نَزَّلَ هذا الكتاب الشريف من مقام قربه وقدسه ـ بما يناسب العوالم المختلفة ـ حتى وصل إلى سجن الطبيعة في العالم الظلماني هذا، واكتسى بقوالب الألفاظ وأطر الحروف، سعياً في تخليص المسجونين في سجن الدنيا المظلم هذا، وتحرير المكبّلين بسلاسل الآمال والأماني من أغلالهم، ورفعهم من حضيض النقص والضعف والحيوانيّة إلى ذروة الكمال والقوّة الإنسانيّة، ومن مجاورة الشيطان إلى مرافقة الملكوتيين، بل للوصول بهم إلى مقام القرب وتحقيق مرتبة «لقاء الله» التي تمثّل أعظم المقاصد والمطالب عند أهل الله عزّ وجلّ.

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الثالث، القرآن كتاب تعليم وإفادة، ص٢٨٦.

وعليه فإنَّ هذا الكتاب، كتاب الدعوة إلىّ الحق والسعادة، والمتكفّل ببيان منهج بلوغ هذا المقام. وعلى الإجمال فإنَّ محتوياته تتمثّل في كُلِّ ما له أثرٌ في هذا السير والسلوك الإلهي أو كُلِّ ما يعين السالك والمسافر إلى الله ﷻ.

الدعوة إلى معرفة الله ﷻ

وعموماً فإنَّ أحد الأهداف الرئيسة لهذا الكتاب هو الدعوة إلى معرفة الله وبيان المعارف الإلهيّة من شؤونٍ ذاتيّة وأسمائيّة وصفاتيّة وأفعاليّة. وأهمّ من هذا كُلِّهِ فإنَّهُ وفي سبيل تحقيق هذا الهدف يسعى لإيجاد توحيد الذات والأسماء والأفعال، فقد ذكر بعضها فيه صراحةً، في حين ذُكر البعضُ الآخرُ على نحو الإشارة التي تحتاج للتقصّي والتتبّع.﴾[1].

تهذيب النفوس

﴿ومن مقاصد القرآن المجيد وأهدافه الأخرى، تهذيب النفوس وتطهير البواطن من أرجاس الطبيعة وتحصيل السعادة، وتوضيح كيفيّة السير والسلوك إلى الله إجمالاً.﴾[2].

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الثاني، بيان مقاصد ومطالب ومحتويات الكتاب الإلهي الكريم على نحو الإجمال، ص٢٧٣.

(٢) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الثاني، بيان مقاصد ومطالب ومحتويات الكتاب الإلهي الكريم على نحو الإجمال، ص٢٧٥.

إنجاء الإنسان من النفسانيّة

﴿ فهو الكتاب الهادف إلى بناء الإنسان بناءً صحيحاً، وهو يصنع الموجودَ الذي أوجده بنفسه، أوجده بالإسم الأعظم، وجعل فيه كُلَّ شيءٍ موجوداً بالله ولكن ليس بصورةٍ جَليّة.

القرآنُ يريد أنْ ينقل الإنسان من هذه المرتبة الناقصة إلى تلك المرتبة التي تَليقُ به، ولهذا الهدف تَنَزَّلَ القرآنُ، وكانت بعثةُ جميع الأنبياء ﷺ، حيث إنَّهُم بُعِثُوا ليأخذوا بيد الإنسان ويُنقذوهُ من هذه البئر العميقة التي سقط فيها، وأعمقها بئرُ «النفسانيّة»، ويهدوه إلى تجلّياتِ الحقّ لينمى ويذهل عن كُلِّ شيءٍ. وإن شاء اللهُ رزقنا جميعاً ذلك بمشيئته عزّ اسمه.﴾[١].

القرآن كتابُ بناء الإنسان

﴿ إنَّ القرآن الكريم الذي يتصدَّر الكتب السماويّة التي جاءت في الحقيقة ـ كالقرآن الكريم ـ لبناء هذا الإنسان، وتحويله من إنسانٍ بالقوّة إلى إنسانٍ بالفعل، وموجودٍ بالفعل، والأنبياء ﷺ بدعوتهم بعثوا لتحقيق هذا الغرض ـ حسب اختلاف مراتبهم طبعاً ـ وهو تحويل الإنسان إلى إنسانٍ حقيقيٍّ من (القوّة) إلى (الفعل) فجميع العلوم والعبادات والمعارف الإلهيّة والأحكام العباديّة وكُلُّ ما هو موجود، إنّما يُرادُ بها تحقيق هذا الأمر، ألا وهو تحويل الإنسان الناقص إلى إنسانٍ كاملٍ.

---

(١) تفسير سورة الحمد، للإمام الخميني ﷺ، الفصل الثالث، الدرس الأوّل من الدروس التفسيريّة المعرفيّة، ص٢٢١.

فالقرآنُ الكريم إذاً، كتابٌ لبناء الإنسان، وإذا ارتبط به الإنسانُ، وجده ضامناً لجميع المراتب الخاصّة بالإنسان، فكُلُّها فيه ومنه.﴾[1].

﴿الإسلام ينطوي على جميع تلك المعاني التي أشرنا إليها، فهو يضمّ الجوانب الماديّة والمعنويّة والغيبيّة والظاهرة؛ لأنَّ الإنسان ذاته ينطوي على جميع المراتب، والقرآن الكريم كتابٌ لبناء الإنسان.

ولأنَّ الإنسان ـ كما أشرنا ـ ينطوي على مختلف المراتب بالقوّة، فإنَّ كتاب الله ﷻ جاء ليجعل من هذا الإنسان بالقوّة إنساناً بالفعل، وبنفس الطريقة التي يقوم فيها الإنسان بإصلاح مجتمعه، يتكامل ذاتياً حتى يبلغ المرتبة السامية.﴾[2].

تربية الإنسان بجميع أبعاده الإنسانيّة

﴿[لا تختص دعوة الإسلام بالمعنويات فحسب، ولا بخصوص الماديّات فحسب، وإنّما جاء الإسلام بالأمرين معاً]، فقد جاء الإسلام والقرآن الكريم ليربي الإنسان بجميع أبعاده التي يمتلكها.﴾[3].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في مسجد الشيخ الأنصاري رحمه الله في «النجف الأشرف»، خلال لقائه جمعاً من علماء وطلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٣، ص٢١١.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في مسجد الشيخ الأنصاري رحمه الله في «النجف الأشرف»، خلال لقائه جمعاً من علماء وطلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٣، ص٢١٨.

(٣) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في نوفل لو شاتو في «باريس»، خلال لقائه جمعاً من الطلبة والإيرانيين المقيمين في الخارج. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٤، ص١٢٤.

إصلاح الفرد والمجتمع

﴿ إنَّ القرآن كتابُ تربية الإنسان، والأنبياء ﷺ بعثوا لتربية الناس. إنَّ الأنبياء العظام والأئمة الأطهار ﷺ كانوا يسعون لتربية الناس. لقد أرسل الله تبارك وتعالى الأنبياء ﷺ لتهذيب الناس، لإصلاح الناس. فإذا صلح الإنسان الذي يتولى زعامة المجتمع، العَالِمُ الموجود في مجتمع، إذا كان هذا العَالِم عالِماً صالحاً، فإنَّ المجتمع سيكون صالحاً؛ وذلك لأنَّ الجميع يتطلّعون إليه. إذا كانت هناك حكومةٌ صالحةٌ فإنَّ الناس ـ وحيث إنهم يتطلّعون إليها ـ سيصبحون صالحين أيضاً. ﴾[1].

التوجّه إلى جنبة الألوهيّة في كُلّ الأشياء

﴿ على كُلِّ حال جاء الأنبياء ﷺ ليجعلوا الناس كُلّهم بشراً أسوياء، فعِلْمُ الأنبياء ﷺ عِلْمُ صُنع الإنسان، والقرآنُ الكريم كتابُ هذا الصنع، وليس كتاب طب ولا فلسفة، وما هو بكتاب فقه ولا سائر العلوم، مع أنَّ فيه كُلَّ شيءٍ، ومن قرأ متدّبراً وجد البعد الإلهي لكُلِّ شيءٍ فيه. فكُلُّ ما ورد فيه جاء بِبُعْدِهِ الإلهي. فيه كُلُّ شيء، لكن بطابعه الإلهي. الإسلامُ جاء ابتغاء طاعة الله ﷻ، والأنبياء ﷺ خَدَمُ الله ﷻ جاؤوا له لِيوَجِّهُوا جميع الموجودات وكُلَّ الناس هنا إلى الله تبارك وتعالى. ﴾[2].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷻ قد ألقاه في «قم المقدَّسة»، خلال لقائه مجموعةً من نساء «طهران» ومنطقة «شاهزاده إبراهيم» في قم و«شهسوار». راجع: صحيفة الإمام ﷻ، مصدر سابق، ج٧، ص٢١٦.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷻ قد ألقاه في «قم المقدَّسة»، خلال لقائه أساتذة جامعة طهران. راجع: صحيفة الإمام ﷻ، مصدر سابق، ج٨، ص٣٣٠.

تربية الإنسان الإلهي وإعادته إلى الفطرة الإنسانيّة

﴿ إنَّ الجهود التي بذلها الأنبياء والرسل ﷺ، وجميع الكتب السماويّة التي أنزلت عليهم، [وجميع دعوات الأولياء والأنبياء ﷺ] وما تحويه من تعاليم وأحكام وإرشادات، تهدف إلى هداية الإنسان ودعوته إلى الصراط المستقيم، لتصنع منه موجوداً إلهياً، إنساناً إلهياً؛ لأنَّ هذا الموجود لو ترك ونفسه دون هداية أو إرشاد سيتحول إلى موجودٍ أضلّ من الحيوان، وأكثر شيطنةً من الشيطان. ولكن وعلى رغم حرص الأنبياء الشديد في هداية مجتمعاتهم، [إلا أنَّهم ﷺ لم يوفقوا(١) في جعل جميع الناس وفق إنسانيّتهم، فالعصاة والمتمردون كانوا كُثُر، والذين خرجوا عن الفطرة الإنسانيّة كانوا كثيرين وما زالوا كذلك]. ﴾(٢).

نجاة الإنسان من الحيوانيّة

﴿ ما من موجودٍ يُفسدُ ويعيثُ في الأرض فساداً بقدر ما يفعل الإنسان،

---

(١) أقول: المراد من قوله ﷺ: «إلا أنَّهم ﷺ لم يوفقوا» هو أنَّهم ﷺ لم يُوفَّقوا إلى مرادهم إلا بمقدار، لكن لا بالمقدار وبالشكل الذي كان يتطلّعون إليه، لا لتقصير منهم ـ والعياذُ بالله ـ فإنَّهم بذلوا ما بوسعهم وقاموا بأدوارهم وأدوا ما عليهم، وإنَّما لعقباتٍ كثيرة حالت دون ذلك، وبعبارةٍ أُخرى مختصرة: المشكلةُ لم تكن في الفاعل وإنَّما في القابل الخاضع للشهوات والنزوات والتسويلات النفسانيّة والشيطانيّة وحب الذات وعبادة الأنا وغيرها من الأمور التي يستحيلُ معها أن يكونَ مُطيعاً للأنبياء وتعاليم السماء. وهذا المعنى واضحٌ وظاهرٌ في العديد من كلمات الإمام الراحل ﷺ، ومن هنا لا ينبغي لمنصفٍ أن يتوهَّمَ نسبة الإمام الراحل ﷺ العجزَ والتقصير لأنبياء الله ﷺ.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه رئيس وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي، رئيس وأعضاء مجلس الوزراء، ومدراء مراكز البث الإذاعي في المحافظات. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٣، ص٢٢٣.

هذا الحيوان ذو القدمين، ولا يحتاج موجودٌ إلى التربية بقدر ما يحتاج إليها هذا الحيوان ذو القدمين.

لقد بُعِثَ جميع الأنبياء ﷺ من الأوّل حتى الآن، حتى الخاتم ﷺ، من آدم وحتى الرسول الأكرم ﷺ لغرضٍ واحدٍ هو تبديل هذا الحيوان إلى إنسان، هذا هو الهدف.

جميعُ الكتب التي أنزلت من السماء إلى الأنبياء ﷺ، والقرآنُ أعظمها، أنزلت لهذه الغاية، لنجاة هذا الإنسان الذي تحيط به الظلمات، غرقوا في الدنيا، لا يفكرون إلّا بأنفسهم، كُلٌّ ما يريدونه لأنفسهم، لا يفكّرون أبداً بأنَّ شيئاً آخر غيرهم موجود، إنَّهم يريدون نجاة هؤلاء من الظلمات، وإيصالهم إلى عالم النور.»[١].

الدعوة إلى الصراط المستقيم

«أنتم تقرأون في القرآن الكريم ـ في أوّل سورة من القرآن الكريم ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢] حيث تشير إلى كلمة رب، ومبدأ التربية في أوّل القرآن الكريم. وقد كُلِّفْنَا عدَّة مرات في اليوم والليلة أن نقرأها في الصلاة وأن ننتبه إلى أنَّ قضية التربية والربوبيّة ـ والتي تختص في درجتها العليا بالله تبارك وتعالى وتبعاً لذلك تنعكس في الأنبياء العظام ومن خلالهم إلى سائر الناس ـ هذه من الأهمية بمكان بحيث جاء بعد «الله»، «ربّ العالمين».

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في «قم المقدَّسة»، خلال لقائه منتسبي قسم الأخبار وجهاد البناء في الإذاعة والتلفزيون. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١١، ص٣٠٣.

(٢) الفاتحة: ١.

وأيضاً تقرأون في هذه السورة نفسها أنَّ غاية التربية هي الحركة في الصراط المستقيم. ومنتهى الصراط المستقيم هو الكمال المطلق وهو الله.

لقد دُعينا إلى أن نكون تحت تربية الأنبياء ﷺ وتحت تربية عظماء الأولياء ﷺ ليقوموا بهدايتنا إلى الطريق المستقيم. وأن نطلب يومياً عدّة مرات من الله تبارك وتعالى أن يهدينا إلى الصراط المستقيم، لا إلى اليسار ولا إلى اليمين: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[1] يجب أن ننتبه إلى هذا المعنى وهو أنَّ الإنسان موجودٌ إذا ترك لينشأ على رَسْلِهِ فإنَّهُ سيكون أسوأ الموجودات وأحطّ الموجودات، وإذا كنا خاضعين للتربية وطوينا الصراط المستقيم فإنّنا نصل إلى مكان لا نستطيع أن نتخيّله حيث بحر العظمة وبحر الكبرياء.[2].

القرآنُ كتابُ بناء الإنسان في جميع المراحل التي يعيشها

بقدر ما اهتم القرآن ـ وهو الكتاب الإلهي الحي ـ بتهذيب الناس لم يهتم بأي شيءٍ آخر، بل يمكن القول إنَّ القرآن نزل بهذا الهدف؛ لأنَّ البشر كانوا محتاجين إلى هذا الأمر أكثر من غيره.

إنَّ القرآن كتابٌ لبناء الإنسان في جميع المراحل التي يعيشها، ففي القرآن دعوةٌ لجميع المراحل وطريقٌ لها. فجميع القصص الواردة في القرآن

---

(١) الفاتحة: ٥.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران «طهران»، خلال لقائه أعضاء الاتحادات الإسلاميّة في وزراة الدفاع، ممثلين عن عناصر إدارة التوجيه المعنوي والسياسي للقوات البريّة في الجيش، ممثلين عن منظمة شباب جمعية الهلال الأحمر في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٤، ص١٢٤.

ـ والتي تكرّرت أحياناً ـ كانت لأهمية المسألة، فهي كانت دليلَ الناس للتهذيب.

ليس القرآن كتاب الأحكام الفقهيّة، فقد ذكر كلّيات أصول الأحكام، وحتى تلك ليست كاملةً، فالقرآن كتابُ الدعوة وكتابُ إصلاح المجتمع.»[1].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران «طهران»، خلال لقائه أئمة الجُمع عن محافظتي «أصفهان» و«چهار محال وبختياري». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٥، ص٤٣١.

الدعوة إلى تشكيل الحكومة وإقامة العدل

القرآن والدعوات الاجتماعيّة

﴿ إنَّ دعوة [القرآن] في مكّة المكرّمة والمدينة المشرَّفة لم تكن دعوةً شخصيّةً بين الفرد وربّه. ويمكن القول إنَّ دعوة الله ﷻ في جميع الحالات تضمَّنت المفاهيم الاجتماعيّة والسياسيّة حتى فيما يتعلّق بالواجبات الشخصيّة للأفراد، وفي علاقاتهم الفرديّة.﴾[1].

إقامة العدل بموازاة الدعوة إلى المعنويّات

﴿ لقد دعا القرآن إلى المعنويات بالقدر الذي يستطيع الإنسان تحقيقه. ومن ثم إقامة العدل. وكان النبي محمّد ﷺ، والذين كانوا لسان الوحي عليهم السلام، مهتمين بكلا الجانبين. وكانت سيرة الرسول ﷺ تدل على ذلك أيضاً، حيث عمل على تقوية المعنويات إلى ما قبل تشكيل الحكومة. وما أن تمكّن من تشكيل الحكومة حتى عمل على بسط العدل إضافةً إلى

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران «طهران»، خلال لقائه رئيس الجمهورية وإمام جمعة «طهران» ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، والمشاركين في المؤتمر العالمي الثاني لأئمة الجمعة والجماعة في إيران والعالم. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٨، ص٣٣٦.

المعنويات. فقد شَكَّلَ ﷺ الحكومة وأنقذ هؤلاء المحرومين من سلطة الظالمين بالقدر الذي تسنّى له ذلك.﴾[١].

الدعوة السياسيّة بموازاة الذكر والعبادة

﴿إنَّ القرآن الكريم الموجود لدى المسلمين ولم تتمّ زيادةٌ أو نقصانٌ فيه منذ صدر الإسلام وحتى يومنا هذا، عندما نتدبّر فيه فإنَّنا نشاهد أنَّ الدعوة لم تكن تهدف إلى جلوس الناس في منازلهم لذكر الله ومناجاته. كان ذلك موجوداً ولكن لم يقتصر الأمر عليه، فالمهم هو الدعوة إلى الاجتماع وإلى السياسة وتدبير شؤون الدولة وكُلُّها عبادة. كما أنَّ العبادات لم تكن بعيدةً عن السياسة والمصالح الاجتماعيّة. إنَّ جميع الأعمال التي دعا إليها الإسلام تُعَدُّ عبادةً.﴾[٢].

الدعوة العامّة إلى العدالة

﴿ليس الإسلام لبلدٍ واحدٍ، ولا لعدّة بلدان، أو لطائفةٍ، ولا للمسلمين

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷷ قد ألقاه في حسينيّة جماران «طهران»، بمناسبة عيد الفطر السعيد، خلال لقائه رؤساء السلطات الثلاث وعلى رأسهم رئيس الجمهورية - آنذاك - الإمام السيّد القائد علي الخامنئي ﷻ، وكبار المسؤولين من المدنيين والعسكريين وشرائح الشعب المختلفة. راجع: صحيفة الإمام ﷷ، مصدر سابق، ج١٧، ص٤٢٧.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷷ قد ألقاه في حسينيّة جماران «طهران»، خلال لقائه رئيس الجمهورية وإمام جمعة «طهران» - آنذاك - الإمام السيّد القائد علي الخامنئي ﷻ، والمشاركين في المؤتمر العالمي الثاني لأئمة الجمعة والجماعة في إيران والعالم. راجع: صحيفة الإمام ﷷ، مصدر سابق، ج١٨، ص٣٣٧.

فقط. الإسلامُ جاء للبشرية. خطابات الإسلام (يا أيّها الناس)، وأحياناً (يا أيّها المؤمنون). الإسلام يريد أن يشمل كُلَّ البشريّة بمظلّة عدله.»[1].



(١) من مقابلةٍ صحفيّة كان الإمام الراحل ﷺ قد التقى خلالها مع جمعٍ من المراسلين الصحفيين المسلمين البريطانيين في «قم المقدّسة». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١١، ص٢٤٣.

الدعوة إلى الوحدة والأخوّة

إتكاء القرآن الكريم على الوحدة

﴿ ما أريد قوله هو أنَّ الإسلام قد أتى بكُلِّ شيءٍ. لقد تمَّ الإصرار على [قضية الوحدة] في القرآن، وتمّ التذكير بها بتعابير مختلفة، والمهمّ هو أن يعمل المسلمون بالإسلام والقرآن. هذا هو واجبنا.

إنَّ كُلَّ شيءٍ موجودٌ في الإسلام، فكُلُّ القضايا التي تتعلّق بحياة البشر في هذه الدنيا [وهناك العالم الآخر]، وكُلُّ ما يرتبط [برشد] الإنسان وتربيته وقيمته، كُلُّ هذه الأشياء موجودةٌ في الإسلام، ففي المدارس البشريّة الموجودة الآن والمدارس المنحرفة كُلِّها لا يوجد الاهتمامُ الذي يوليه الإسلام بالأمور. فمثلًا قبل أن يحصل الزواج بين الرجل والمرأة توجد آدابٌ خاصّةٌ حوله كما توجد [آداب تختصّ بزمان الحمل] وحضانة الطفل وتربيته، كُلُّ هذه الأمور موجودةٌ في الإسلام بشكلٍ [وافٍ]. يجب ألا نقول إنَّ هناك أشياءَ غير موجودة في الإسلام ونحن وجدناها. فإذا رأينا أنَّنا [وفي وقتٍ ما] لا نجدها فالواجب أن نفتش لنعرف أين توجد. فالإسلام ليست به مشكلة، المشكلة في المسلمين، فالإسلام قد قال كُلَّ هذه الأشياء ولكن على المسلمين أن يتابعوها. فقضية الوحدة هذه التي ذكّرتمونا بها ونحن

الآن بحمد الله في أسبوع الوحدة بمناسبة ولادة هذا المولود السعيد ﷺ وحفيده الكريم الإمام الصادق (سلام الله عليه).

يمكن للبشر تحقيق آمالهم سواء في هذه الدنيا أو في الآخرة. إنَّ الوحدة أمرٌ أكَّدَهُ القرآن ودعا إليه. كما دعا إليه أئمة المسلمين عليهم السلام. إنَّ الدعوة إلى الإسلام في أساسها دعوةٌ إلى الوحدة بمعنى أن يكون الجميع متّفقين معاً في كلمة الإسلام، وأن يعيشوا في راحةٍ.»[١].

تآخي المؤمنين في الدنيا والآخرة

«إنَّ الأخوّة من الأمور التي أوصى بها القرآن الذي قال إنَّ المؤمنين أخوة في هذه الدنيا وأخوة في الجنّة على سُرُرٍ مُتقابلين[٢].»[٣].

أخوّة المؤمنين في القرآن الكريم

«لقد اعتبرنا القرآن نحن المسلمين والمؤمنين أخوة، فيجب على

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران «طهران»، خلال لقائه أئمة الجمعة والجماعة في محافظة «كيلان». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٥، ص٤١٣.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في الآية ٤٧ من سورة الحجر: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾.

(٣) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران «طهران»، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس الوزراء وأعضاء المجلس، رئيس مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء المجلس، رابطة مدرسي الحوزة العلميّة في قم المقدّسة، رابطة العلماء المجاهدين، حرس الثورة الإسلاميّة، لجنة الثورة المركزيّة والتعبئة، مسؤولي مؤسسات الثورة الإسلاميّة، أعضاء لجنة إقامة صلاة الجمعة في طهران، فئات الشعب المختلفة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٦، ص١١٠.

الأخوة أن يتعاملوا فيما بينهم بحسن النية ويَتَّحِدُوا ـ وهم كذلك ولله الحمد ـ ويجب أن نحافظ على هذه النعمة الإلهيّة الكبرى، وما دمنا نحافظ عليها، فنحن في أمانٍ من جميع الشياطين.﴾[١].

دعوة القرآن إلى مراعاة كافّة جوانب الأخوّة

﴿إنَّنا اليوم أمام مؤامرةٍ شريرةٍ يقودها بعض الأفراد ممّن يدَّعون الإسلام وهم في الحقيقة أعداء للإسلام، وهنا لا بُدَّ لي أن أخاطب هؤلاء الخونة قائلًا: كيف تدَّعون الإسلام من جهة وتثيرون الفتن وتدبرون المؤامرات؟... إنَّ إسلامكم الذي تدَّعونه والذي يمنحكم الحقّ في التآمر على الشعب والعمل لصالح الأعداء هو بعيدٌ كُلَّ البعد عن الإسلام المحمدي وعن التعاليم القرآنية، فالإسلام المحمدي وكما ورد في القرآن هو الأساس. هذا الأساس مبنيٌّ على الأخوّة والمحبّة، المؤمن أخو المؤمن، وهو حُكْمٌ منصوصٌ عليه في القرآن[٢]. إذاً فالمؤمنون في كُلِّ أنحاء العالم إخوة فيما بينهم وإذا تعرَّض أحدهم لخطرٍ أو مصيبةٍ فعلى الجميع أن يهبوا لمساعدته ونصرته، وإن لم يتمكنوا من القيام بذلك مباشرة فعليهم العمل على خلق الظروف المناسبة لرفع الظلم والخطر عنه... إنَّ من يدَّعي الإسلام ويزرع الفتن ويثير التفرقة بين المسلمين هو ليس بمسلم أبداً ولا يعرف عن الإسلام المحمدي أي شيءٍ. فالمسلم الحقيقي يعمل بما

---

(١) من حديثٍ كان الإمام الراحل (قده) قد ألقاه في حسينيّة جماران «طهران»، خلال لقائه الأمين العام لحزب (جمهوري إسلامي) رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي (دام ظله)، مسؤولي وأعضاء مكاتب الحزب في جميع أرجاء البلاد، أعضاء الجمعية الإسلاميّة لبنوك طهران. راجع: صحيفة الإمام (قده)، مصدر سابق، ج١٦، ص١٣٥.

(٢) قال تعالى في الآية ١٠ من سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

يأمر به القرآن الذي ينصّ على أنَّ المؤمنين إخوة وأنَّ كُلَّ مسلمٍ مكلّفٌ بمراعاة كافّة جوانب الأخوة ومستلزماتها. الأخوة تتطلب أن يهبّ جميع المسلمين لنصرة المسلم ومساعدته عند تعرضه للظلم والعدوان ومشاركته في الأفراح والأحزان.»[1].



(١) من حديثٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران «طهران»، خلال لقائه مجموعةً من علماء الدين في محافظة كردستان. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٣، ص١١٩ ـ ١٢٠ ـ ١٢١.



الفصل الخامس

إعجاز القرآن



المعجزات الجليّة للصحيفة الإلهيّة

حياة النبي ﷺ دليل إعجاز القرآن

﴿لمَّا كان إتقان خلق الكائنات وحسن تربيتها وتنظيمها دليلاً يهدينا إلى الاعتراف بوجود الخالق والمنظِّم الذي يحيط علمُهُ بكُلِّ الدقائق واللطائف والجلائل، كذلك يهدينا إتقانُ أحكام شريعة وحسن نظامها وتربيتها الكامل وكونها تتكفّل بكُلِّ الحاجات المعنويّة والماديّة، الدنيويّة والأخرويّة، الفردية والاجتماعيّة، إلى أنَّ مشرّعها ومنظمها عالمٌ محيطٌ بجميع حاجات العائلة البشريّة. وكما أنَّ العقل [وبداهةً] يهدينا إلى أنَّ عقل ذلك الإنسان، الذي كتب تاريخَهُ جميعُ المؤرخين من مختلف الأمم قائلين إنَّهُ كان أمّيّاً وعاش في محيطٍ خالٍ من الكمالات والمعارف، لا يمكن أن يكون قادراً على وضع مثل هذا الترتيب الكامل والنظام التامّ بنفسه. كذلك ندرك بالضرورة أنَّ هذه الشريعة قد شرعت في الغيب وفيما وراء الطبيعة، ونزلت عن طريق الوحي والإلهام على ذلك الإنسان العظيم.﴾[1].

---

(١) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ص٢٣١، الحديث الثاني عشر «التفكر»، في إلتفكر في أحوال النفس.

الأبعاد المختلفة لإعجاز القرآن

﴿ القرآن الكريم جامعٌ لِلَطائف التوحيد وأسراره ودقائقه إلى درجةٍ تحار بها عقول أهل المعرفة. وفي الحقيقة فإنَّ هذا هو الإعجاز الأكبر لهذه الصحيفة السماويّة النورانيّة، فإعجازه لا ينحصر في حسن التركيب ولطف البيان وغاية الفصاحة وذروة البلاغة فقط، أو في كيفيّة الدعوة والإخبار عن المغيّبات، ولا في إحكام الأحكام وإتقان تنظيم الأسرة وأمثال ذلك، مما يمثل ـ مستقلاً ـ إعجازاً يفوق الطاقة ويخرق العادة.

بل يمكن القول: إنَّ اشتهار القرآن الشريف بالفصاحة وذيوع إعجازه في هذا الجانب دون سائر جوانبه الإعجازيّة الأخرى، يرجع إلى أنَّ العرب في الصدر الأوّل كانوا خبراء بهذا الجانب البلاغي، فأدركوا هذا الجانب دون غيره، فهم لم يدركوا الجوانب الإعجازيّة الأخرى في القرآن والتي تزيد أهميّةً وسموّاً وتحتاج إلى مستوى إدراكيٍّ أرفع مما يحتاجه الجانب الإعجازيُّ البلاغي.

وفي عصرنا الحاضر أيضاً ترى أنَّ أولئك المشتركين مع عرب الجاهليّة في أفقهم الإدراكي لا يفهمون من هذه اللطيفة الإلهيّة سوى التركيبات اللفظيّة والمحسّنات البديعيّة والبيانيّة.

وأما العارفون بأسرار المعارف ودقائقها، العالمون بلطائف التوحيد والتجريد فإنَّ وجهة نظرهم في هذا الكتاب الإلهي وقبلة آمالهم في هذا الوحي السماوي، هي ذات هذه المعارف، ولا يهتمّون كثيراً بالجوانب الأخرى، وكُلُّ من ينظر في العرفان القرآني وفي عرفاء الإسلام الذين اكتسبوا معارفهم من القرآن، ثم يقارن بينهم وبين علماء سائر الأديان ومؤلفاتهم ومعارفهم يدرك الأصل في المعارف الإسلاميّة والقرآنيّة والتي

تمثّل أسّ أساس الدين والديانة والغاية القصوى لبعث الرسُل وإنزال الكتب.

وعندها لا يُحْتَاجُ إلى كبير جهدٍ لإدراك أنَّ هذا الكتاب هو وحيٌ إلهيٌّ وأنَّ هذه المعارف هي معارف إلهيّة.»[1].

القرآن الكريم والتحدّي الإعجازي

«لقد أعلن القرآن الكريم في عدّة مواضع عن إعجاز نفسه لتمام البشر في تمام العصور، وعن عجز البشر جميعاً، بل عالمَيْ الجن والإنس عن المجيء بمثله، واليوم تشهد ملّة الإسلام آية الله هذه بين يديها وهي تعلن لجميع البشر باطمئنانٍ كاملٍ أنَّ هذه علامة نبوة النور الطاهر محمّد ﷺ، فأي شخصٍ في الدنيا كثير الخوض في العلم والفكر يأتي بمثله فنسلّم له ونتراجع عن أقوالنا.

ففي سورة بني إسرائيل: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2].

وفي سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾[3].»[4].

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل الخامس، بيانٌ مجمل في تفسير سورة الحمد المباركة ونبذةٌ من آداب التحميد والقراءة، تنبيهٌ آخر، ص٣٧٧.

(٢) الإسراء: ٨٨.

(٣) هود: ١٣ ـ ١٤.

(٤) راجع: كشف الأسرار، للإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، المقالة الأولى: في التوحيد، ص٧٠، تحت عنوان: (أدلةٌ من القرآن).

العرفان أكبر معاجز القرآن

«لقد نزل هذا الكتاب العزيز في بيئةٍ وعصرٍ هو أكثر العصور ظُلمَةً، والأُناس الذين كانوا يعيشون فيه أكثر الناس تخلفاً، ونزل على قلب شخصٍ وعلى يد شخصٍ كان يواصل حياته في تلك البيئة، وفيه حقائق ومعارف لم يكن لها سابق عهدٍ في العالم آنذاك، فما بالك ببيئة نزوله، وهذه هي أسمى وأكبر معاجزه.

تلك المسائل العرفانيّة الكبيرة التي لم يكن لها سابق عهدٍ في اليونان وفلاسفتها وعجزت كتب أرسطو وأفلاطون الذين كانا أكبر فلاسفة تلك العصور عن الوصول إليها، وحتى فلاسفة الإسلام الذين نشأوا في مهد القرآن الكريم واستندوا إليه على مستوى واسع، فإنَّهم أولوا الآيات التي ذكرت صراحةً حياة جميع الكائنات في العالم، كما أنَّ جميع عرفاء الإسلام الكبار الذين ذكروها أخذوا من الإسلام ومن القرآن الكريم، فالمسائل العرفانيّة لا توجد في كتابٍ آخر على النحو الذي في القرآن الكريم.

وكُلُّ ذلك هو معجزةُ الرسول الأكرم ﷺ الذي يعرف مبدأ الوحي [تلك المعرفة] بحيث يخبره بأسرار الوجود، ويرى هو نفسه من خلال العروج إلى ذروة الكمال الإنساني الحقائقَ واضحةً ودون أي حجابٍ. وفي نفس الوقت فإنَّ له الحضور في جميع أبعاد الإنسانيّة ومراحل الوجود، والمظهر الأعلى لـ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[1].»[2].

---

(١) الحديد: ٣.

(٢) من رسالةٍ فيها مواعظ أخلاقيّة وعرفانيّة كان الإمام الراحل قدس سره قد كتبها مخاطباً فيها نجله السيّد أحمد رحمه الله. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٦، ص١٦٠.

أمّيّة النبي الأعظم ﷺ وإعجاز القرآن

﴿من المتعذّر على البشريّة أن تدرك مقدار المعارف التى فاح أريجها في أرجاء العالم ببركة المبعث النبوي الشريف. معجزةٌ فاقت الإدراك البشري حدثت على يد إنسانٍ وُلِدَ في الجاهليّة، ونشأ وترعرع في ظلماتها. لقد نشأ ﷺ في بيئةٍ تفتقر إلى أدنى مقوّمات المعارف والعلوم، وخلت تلك البيئة من الإلمام بشؤون العرفان والفلسفة وسائر الشؤون الدنيويّة أيضاً، وقد قضى النبي ﷺ تمام عمره الشريف في ذلك المكان. قام ﷺ بسفرةٍ قصيرةٍ استغرقت عدّة أيامٍ ثم عاد أدراجه اليها. ولما حان وقتُ البعثة يرى المرء أنَّهُ ﷺ أتى بمواضيع تتجاوز دائرة الإدارك البشري.

تمثل هذه المعجزة بنظر العلماء دليلاً على نبوّة الرسول ﷺ، وإلا لما تمكّن لو خلي وطبعه من القيام بذلك. لم يدرس على يد أحد، حتى أنَّهُ لا يتمكّن من الكتابة. فالقضية عظيمةٌ وليس بمقدورنا التحدث عنها، ولم تتّضح معالمها إلى الآن.

هنالك مسائل اجتماعيّة في الإسلام كما تعلمون، بالإضافة إلى المسائل الأخرى في المجالات المختلفة التي لايطيق امرء عاش في تلك البيئة أو بيئةٍ أخرى أن يقوم بها، فاستطاع ذلك النبي ﷺ القيام بها على أحسن وجه، وجاء بتعاليم لا تتنافى مع العقل في الماضي والحاضر والمستقبل. إنَّ هذه لمعجزةٌ، ولا يمكن أن تكون شيئاً أخر.﴾[١].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران «طهران»، بمناسبة المبعث النبوي الشريف، خلال لقائه عوائل شهداء المجتمع الطبي والفيلق السابع لولي العصر، فئات شعبيّة مختلفة، أفراد حرس الثورة في قاعدة الشهيد المطهري، طلاب العلوم الدينيّة الإيرانيين والأجانب في حوزة قم العلميّة، وجند الإسلام. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٢٠، ص١٩٧.



الفصل السادس

تحريف القرآن



دعوى التحريف اللفظي للقرآن[1]

فريةُ حذف آيات الإمامة

﴿ يقول ذلك الجاهل[2]: «يقولون: يخاف النبي أن يقول شيئاً في الإمامة ولا يقبل الناس، والحالُ أنَّ القرآن والتاريخ يدلّان على أنَّ النبي لم يكن عنده أي تحفظ تجاه أي عمل».

قد أثبتنا في بداية هذه المقالة أنَّ النبي ﷺ كان يخشى من أن يُضرب القرآن بعده إذا ذكر الإمام فيه بالاسم والرسم، أو أن يشتدّ الخلاف بين المسلمين بحيث يوجب القضاء على الإسلام بالكليّة، ونأتي هنا بدليلٍ من القرآن على أنَّ هناك تحفظاً من إظهار الإمامة بالاسم والرسم وأنَّهُ ﷺ كان يخشى من المنافقين. ففي سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن

---

(١) للمزيد من الفائدة حول موضوع نقد ورد أسطورة تحريف القرآن الكريم يرجع إلى: (حقائق هامّة حول القرآن الكريم) لسيّدنا العلّامة المحقّق السيّد جعفر مرتضى العاملي(حفظه الله)، و(صيانة القرآن عن التحريف) للعلّامة الشيخ محمّد هادي معرفة رحمه الله، و(التحقيق في نفي التحريف) للسيّد علي الحسيني الميلاني.

(٢) إشارة إلى علي أكبر حكمي زاده، مؤلف كتاب (أسرار الألف سنة) والذي نسب فيه ـ إفتراءً ـ إلى الشيعة وعلمائهم العديد من الأباطيل، فعمد الإمام قدس سره إلى إيراد كلماته والرد عليها في كتابه الشريف (كشف الأسرار).

رَبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[١]، وهذه الآية نزلت يوم غدير خم للتبليغ بإمامة علي بن أبي طالب باعتراف أهل السنّة ونقلهم ذلك بطرق معتبرة عن أبي سعيد وأبي رافع وأبي هريرة، وباتفاق الشيعة. وسورة المائدة آخر ما نزل من القرآن، وهذه الآية والآية الشريفة ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ. . .﴾[٢] نزلت في حجّة الوداع، آخر حجّة للنبي ﷺ، وبين نزول هذه الآية ووفاة النبي ﷺ شهران وعشرة أيام لا أكثر، ومعلومٌ أنَّ الرسول ﷺ حينذاك كان قد بلَّغ جميع الأحكام، كما بيَّن ذلك الرسول ﷺ في خطبة يوم غدير خم، يُعلمُ من ذلك أنَّ هذا التبليغ متعلقٌ بالإمامة، وقد وعده الله ﷻ أن يعصمه ويحفظه، وهذا دليلٌ على أنَّهُ سيبلّغ شيئاً من هذا القبيل، وإلا لم يكن عند الرسول ﷺ في تبليغ جميع الأحكام أي خشية أو تحفّظ. والحاصلُ أنَّ هذه الآية من خلال هذه القرائن والأحاديث الكثيرة تدلّ على أنَّ النبي ﷺ كان يخشى من الناس في أمر تبليغ الإمامة، وإذا راجع الإنسان التواريخ والأخبار يفهم أنَّ خشيته كانت في محلّها، إلا أنَّ الله ﷻ أمره بالتبليغ ووعده الحفظ، وقد بلَّغ ﷺ وسعى كُلَّ سعيه في ذلك حتى آخر نفس إلا أنَّ الحزب المخالف لم يدعوه يكمل العمل.

الإفتراء على الشيعة واتهامهم بالاعتقاد بتحريف القرآن

قال الكاتب: «ويقولون أيضاً: قد صرّح في القرآن كثيراً حول الإمامة إلا أنَّ أولئك حذفوه».

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) المائدة: ٣.

مع من تحدَّثتم في هذه المسألة وأجابكم بهذا الجواب؟! لعلَّكم رجعتم إلى بعض الكتب أو بعض الأخبار التي يظهر منها للوهلة الأولى وبالنظرة الساذجة ذلك المعنى من أنَّ القرآن حُذف منه شيءٌ. وهذا من عيوبكم، ترجعون إلى الأخبار مع هذا المستوى الذي لديكم في العلم والعقل، وتقرؤون الكتب العلميّة تريدون فهم الأخبار وكتب العلماء! هذه ليست قصصاً وحكايات يمكنكم مراجعتها وفهمها. إنَّ رجوعكم لتلك الكتب هي بالضبط كرجوع المزارع إلى الفلسفة العليا أو مطالعة الحمّامي للرياضيات العالية. إنَّ فهم الكتب العلميّة يحتاج إلى تخصّص، ولمّا دخلتم في عالم الأخبار على عماكم كانت هذه هي النتيجة أنَّ الإمامة مذكورةٌ في القرآن لكن حذفت آياتها!! إنَّ تلك الأخبار مرجعها إلى التفسير والتأويل، نحن نقول المراد بأُولي الأمر[١] في القرآن، وأهل الذِكرِ[٢] في آياتٍ كثيرة، وأهل البيت في آية التطهير[٣]، والصادقين في ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٤]، وحبل الله في آية الاعتصام بحبل الله[٥]، وصراط الله[٦]، والصراط المستقيم[٧]، والمؤمنين، في آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...﴾[٨]، والأمانة في آية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ...﴾[٩] ومئات الآيات، المراد الإمامة والأئمّة لا أنَّ

(١) النساء: ٥٩.

(٢) الأنبياء: ٧، والنحل: ٤٣.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) التوبة: ١١٩.

(٥) آل عمران: ١٠٣.

(٦) الشورى: ٥٣.

(٧) الفاتحة: ٦.

(٨) المائدة: ٥٥.

(٩) الأحزاب: ٧٢.

اسم الإمام قد ذكر في القرآن بخصوصه. وما نقوله ليس مستنداً فقط إلى أخبار الشيعة بل نقل أهل السنَّة ذلك أيضاً وهو مسطورٌ في كتبهم فليراجع من أراد ما كتب في هذا المجال، وكثيرٌ منها موجود في كتاب (غاية المرام)(١)، وإجمالُهُ موجودٌ في (المراجعات) تأليف العلامة الكبير السيّد شرف الدين العاملي(٢) المعاصر، فراجعوا.

نعم هنا شيءٌ هو أنَّ بعض الأخباريين والمُحَدِّثين من الشيعة والسنَّة لم

(١) كتاب (غاية المرام في معرفة الإمام) لمؤلفه الشهير السيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد بن علي بن سليمان بن ناصر الموسوي الكتكتاني التوبلي البحراني، كان ﵀ فاضلاً مُحَدِّثاً جامعاً متبعاً للأخبار، ربما لم يسبق له سابق سوى شيخنا المجلسي ﵀. قام بالقضاء في البلد وتولى الأمور الحسبيّة أحسن قيام وقمع أيدي الظلمة والحكام ونشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالغ في ذلك وأكثر ولم تأخذه لومة لائم في الدين، وكان من الأتقياء المتورّعين، شديداً على الملوك والسلاطين. صنَّفَ ما يزيد على ٧٥ مؤلفاً كلُّها في العلوم الدينيّة، ومنها: البرهان في تفسير القرآن، كتاب الهادي وضياء النادي في التفسير، ترتيب التهذيب، تنبيهات الأديب في رجال التهذيب، مدينة المعجزات في النص على الأئمة الهداة، معالم الزلفى في النشأة الأخرى، غاية المرام في معرفة الإمام، الإنصاف في النص على الأئمة الأشراف، وغيرها.

(٢) العلّامة السيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي ﵀، ولد في الكاظمية سنة ١٢٩٠هـ وتوفي في صور سنة ١٣٧٧هـ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف فدفن فيه. درس في النجف وفي سامراء على اعلامهما أمثال الطباطبائي والخراساني وشيخ الشريعة والشيخ محمد طه نجف. ثم عاد إلى جبل عامل وقد بلغ الثانية والثلاثين من عمره، فسكن في صور. وفي سنة ١٣٢٩هـ، زار مصر والتقى هناك الشيخ سليم البشري الذي تراسل معه في عدّة رسائل أنتجت كتاب المراجعات. حفلت حياته بالمواقف الجهادية في مواجهة الاستعمار الفرنسي فطورد ونُفي ونُهبت مكتبته وحرق قسمٌ منها، من مؤلفاته: المراجعات وقد انتشر انتشاراً واسعاً وطبع طبعات كثيرة، الفصول المهمة في تأليف الأمة، الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء، المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، أبو هريرة، النص والاجتهاد، فلسفة الميثاق والولاية، بغية الراغبين، وغير ذلك.

يعتنِ بشأنهم العلماء قد خُدِعُوا بظاهر بعض الأخبار وأظهروا مثل هذا الرأي ولكن ردهم العلماء ولم يعتنوا بكتابهم في المجتمع. . . وقد ذكرنا أنَّ ذكر اسم الإمام في القرآن لم يكن في صالح الدين أبداً.﴾[1].

ردّ أحاديث تحريف القرآن

﴿مقالة الأخباريّين[2] بالنسبة إلى ظواهر الكتاب المجيد، واستدلّوا على ذلك بوجوه:

منها: وقوع التحريف في الكتاب حسب أخبارٍ كثيرةٍ[3]، فلا يمكن التمسّك به لعروض الإجمال بواسطته عليه.

وهذا ممنوع بحسب الصغرى والكبرى:

أمّا الأولى: فلمنع وقوع التحريف فيه جدّاً، كما هو مذهب المحقّقين من علماء العامّة والخاصّة، والمُعْتَبَرين من الفريقين، وإن شئت شطراً من الكلام في هذا المقام فارجع إلى مقدّمة تفسير «آلاء الرحمن» للعلّامة البلاغيّ[4] المعاصر قدّس سرّه.

---

(١) راجع: كشف الأسرار، للإمام الخميني قدّس سرّه، مصدر سابق، المقالة الثانية: في الإمامة، ص١٣٤ ـ ١٣٥ ـ ١٣٦، تحت عنوان: (نظرةٌ أخرى في الإمامة) و(الدليل من الكتاب) و(أجوبةٌ ابتدعوها).

(٢) ينقل العلّامة الشيخ محمّد هادي معرفة رحمه الله في كتابه (صيانة القرآن من التحريف) ص٧٦، عن آية الله الشيخ السبحاني(حفظه الله) قوله إنَّ الإمام قدّس سرّه كان يذكر ويناقش مسألة الرد على مقولة التحريف في درسه بكُلِّ حماسةٍ وشدّةٍ، وكان قدّس سرّه شديد التغيّر على تلك الفئة الشاذة من الأخباريين في نسبتهم التحريف إلى الكتاب العزيز الحميد.

(٣) راجع: الكافي، ج٢: ص٦٣٤، باب النوادر من كتاب فضل القرآن.

(٤) هو العالم الجليل، مشيد أركان الدين، دافع شبه المُلحدين الشيخ محمّد الجواد بن الشيخ=

وأزيدك توضيحاً: أنَّهُ لو كان الأمر كما توهّم صاحب «فصل الخطاب»[1] الذي كان كَتَبَهُ لا يفيد علماً ولا عملًا، وإنّما هو إيرادُ رواياتٍ

=حسن البلاغي النجفي الربيعي ، ولد في النجف الأشرف سنة ١٢٨٢هـ، حضر الأبحاث العالية عند الشيخ الآخوند والشيخ آقا الهمداني وغيرهما. له عدّة مؤلّفات منها: الهدى إلى دين المصطفى، الرحلة المدرسيّة، آلاء الرحمن، ردود على أهل الديانات المنحرفة، توفي سنة ١٣٥٢هـ.

(١) هو المحدّث الشهير وخاتمة المُحَدّثين في الأعصار المُتأخّرة الشيخ حسين بن الميرزا محمّد تقي النوري الطبرسي ، ولد في طبرستان (١٢٥٤هـ). سافر الميرزا النوري في بداية شبابه إلى طهران ليستفيد من علمائها، وحضر عند العالم الجليل الشيخ عبد الرحيم البروجردي واستفاد منه كثيراً. ثم سافر إلى النجف وكان عمره ١٩ عاماً، فأقام في الحوزة العلميّة في النجف الأشرف ليستفيد من مجالس علمائها الكبار، فحضر عند العالم الكبير عبد الحسين الطهراني المشهور بـ «شيخ العراقين» وعند الشيخ الأنصاري ولكنّه لم يحظ سوى بشهور عدّة حيث توفي الشيخ الأنصاري سنة ١٢٨١هـ، ثم التزم درس السيّد المُجدد الشيرازي . نذر نفسه لخدمة العلم ولم يكن يهمه غير البحث والتنقيب والفحص والتتبع وجمع شتات الأخبار وشذرات الحديث ونظم متفرقات الآثار، فقد ترك العديد من المؤلفات منها: (مستدرك الوسائل)، و(دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام) و(جنّة المأوى فيمن فاز بلقاء الحجة) و(النجم الثاقب في أحوال إمام الزمان الغائب) وغيرها الكثير من المُصنفات والرسائل القيمة، ولعلّ أكثر كتبه شهرةً وانتقاداً وعرضةً للردود كان كتابه (فصل الخطاب)، ويا ليته لم يصنف ذلك الكتاب، ومع أنَّهُ ليس أوّل مقالٍ مُستنكرٍ حول تحريف القرآن ولم يكن أوّل قارورةٍ كسرت في الإسلام أو أوّل ثلمٍ يُثلمُهُ، إلا أنَّ الضوضاء والصخب والأصداء العارمة التي أحاطت به منذ خروجه إلى حيّز الوجود ـ وحبذا لو بقي في غياهب العدم وسراديب اللاوجود ـ لم يسبق أن أُشيع مثلها لمثيله من كتبٍ ومقالاتٍ حول هذا الموضوع المستنكر، وهذا ما لم يتوقعه وما لم يستنظره أكثر المتفائلين والمتشائمين على حدّ سواء، ويُمكنني أن أدّعي أنَّ الشيخ النوري نفسه لم يكن يتوقع أو حتى ليحلم بما سيلقى ذلك الكتاب من ردود فعل، وبما سيلقاه من عواصف عاتية حول مزاعمه التي لملم لها شتات الأخبار وضعاف الروايات في ذاك الكتاب. فالشيعةُ أنكروا عليه وهاجموه لرفضهم ما ادّعى، ولغرابة مقولته عن عقيدتهم ومبتنياتهم الدينيّة والفكريّة حول قداسة القرآن الكريم وعلوّ شأنه، وغيرُهُم=

ضعاف أعرض عنها الأصحاب، وتنزه عنها أولو الألباب من قدماء أصحابنا كالمحمّدين الثلاثة المتقدّمين[(١)] رحمهم الله. . .

وبالجملة: لو كان الأمر كما ذكره هذا وأشباهه، من كون الكتاب الإلهيّ مشحوناً بذكر أهل البيت وفضلهم، وذكر أمير المؤمنين وإثبات وصايته وإمامته، فَلِمَ لم يحتجّ بواحدٍ من تلك الآيات النازلة والبراهين القاطعة من الكتاب الإلهيّ أميرُ المؤمنين، وفاطمة، والحسن، والحسين ﷺ، وسلمان، وأبو ذرّ، ومقداد، وعمّار[(٢)]، وسائر الأصحاب الذين لا يزالون يحتجّون على خلافته ﷺ؟!

=استغلّ الموقف للتشنيع على التشيّع وأهله، وتحميله وإياهم ما لا يحتملون، وقد لعبت السياسة دورها الخبيث في إذكاء تلك الفتنة وتسعيرها. توفي ﷺ بعد عودته إلى النجف من زيارة كربلاء في ليلة الأربعاء ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ هـ، ودفن ﷺ في الصحن المطهر لأمير المؤمنين ﷺ.

(١) الأوّل: ثقة الإسلام، رئيس المحدّثين الشيخ الحافظ الإمام أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، قال فيه النجاشي: شيخ أصحابنا في وقته بالري ووجههم، وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم، توفي سنة ٣٢٩ هـ ودفن ببغداد، له عدّة مؤلّفات أشهرها كتاب الكافي الذي يُعتبر من أجلّ كتب الشيعة وهو أحد الكتب والأصول الأربعة. والثاني: الشيخ الأجل رئيس المحدثين أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه الصدوق القمي، ولد بقم حدود سنة ٣٠٦ هـ، وصفه الإمام ﷺ في التوقيع الخارج عن الناحية المقدّسة بأنّهُ فقيهٌ مبارك ينفعُ اللهُ به، له عدّة كتب منها: من لا يحضره الفقيه وهو أحد الكتب الأصول الأربعة، والتوحيد، ومعاني الأخبار وغيرها. توفي سنة ٣٨١ هـ، وقبره الشريف في بلدة (الري) بالقرب من السيّد عبد العظيم. والثالث: هو رئيس الطائفة، شيخ الإماميّة، مؤسس الحوزة العلميّة في النجف الأشرف الشيخ محمّد بن الحسن بن علي الطوسي ﷺ، ولد في طوس سنة ٣٨٥هـ في شهر رمضان المبارك، هاجر إلى بغداد مدينة العلم آنذاك سنة ٤٠٨ هـ فحضر عند زعيمَي المذهب وعَلَمَيْ الشيعة الشيخ المفيد والسيّد المرتضى، توفي في النجف الأشرف سنة ٤٦٠هـ ودفن فيها، له عدّة كتب منها التهذيب، والاستبصار وهما من الكتب الأصول الأربعة، التبيان، المبسوط، الفهرست، وغيرها.

(٢) سلمان: هو كبير الصحابة أبو عبد الله سلمان الفارسي، ويعرف بسلمان الخير مولى=

ولِمَ تشبّث عليه السلام بالأحاديث النبويّة، والقرآنُ بين أظهرهم؟! ولو كان القرآن مشحوناً باسم أمير المؤمنين وأولاده المعصومين وفضائلهم وإثبات خلافتهم، فبأيّ وجه خاف النبيّ صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع آخرَ سنين عمره الشريف وأخيرةَ نُزولِ الوحي الإلهيّ من تبليغ آية واحدة مربوطة بالتبليغ، حتّى ورد ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ...﴾[1]؟! ولِمَ احتاج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى دواةٍ وقلم حين موته للتصريح باسم عليّ عليه السلام[2]؟! فهل رأى أنّ لكلامه أثراً فوق أثر الوحي الإلهيّ؟!

وبالجملة: نفساد هذا القول الفظيع والرأي الشنيع أوضح من أن يخفى على ذي مسكة، إلّا أنّ هذا الفساد قد شاع على رغم علماء الإسلام وحفّاظ شريعة سيّد الأنام.»[3].

=رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قال فيه صلى الله عليه وآله: سلمان منّا أهل البيت، والأحاديث في فضله كثيرة مشهورة، توفي سنة ٣٥ هـ، وقيل ٣٦هـ. أما أبو ذر: فهو الصحابي الكبير جندب بن جنادة بن سفيان الغفاري، بايع النبي صلى الله عليه وآله على أن لا تأخذه في الله لومة لائم، وعلى أن يقول الحق وإن كان مُرّاً، وقال فيه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: ما أظلت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر، توفي بالربذة سنة ٣٢ هـ. والمقداد: هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة، المعروف بالمقداد بن الأسود، وهو أوّل من أظهر الإسلام بمكّة، شهد المشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ومدحه النبي صلى الله عليه وآله بقوله: إنّ الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنّه يحبهم، قيل يا رسول الله سمهم لنا؛ قال: عليٌّ منهم: يقول ذلك ثلاثاً، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان. توفي بالمدينة في خلافة عثمان. وأمّا عمّار: هو أبو اليقظان عمّار بن ياسر حليف مخزوم، كان أحد الخمسة الذين تشتاق إليهم الجنة، وهو من أصفياء أصحاب الإمام علي عليه السلام، وهو الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وآله: عمّار مع الحق والحق مع عمّار حيث كان، عمّار جلدةٌ بين عيني وأنفي، تقتله الفئة الباغية. استشهد يوم صفين سنة ٣٧هـ.

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) انظر: صحيح البخاري ٩: ٧٧٤/ ٢١٦٩ كتاب الاعتصام بالسنّة، باب كراهية الخلاف.

(٣) راجع: أنوار الهداية في التعليقة على الكفاية، للإمام الخميني قدس سره، ج١، ص٢٤٣ إلى ٢٤٧،=

«إنَّ الواقف على عناية المسلمين على جمع الكتاب وحفظه وضبطه ـ قراءةً وكتابةً ـ يقف على بطلان تلك المزعمة، وأنّه لا ينبغي أن يركن إليه ذو مسكة. وما وردت فيه من الأخبار بين ضعيف لا يستدلّ به، إلى مجعول يلوح منها أمارات الجعل، إلى غريب يقضى منه العجب، إلى صحيح يدلّ على أنَّ مضمونه تأويل الكتاب وتفسيره، إلى غير ذلك من الأقسام التي يحتاج بيان المراد منها إلى تأليف كتاب حافل.

ولولا خوف الخروج عن طور الكتاب لأرخينا عنان البيان إلى بيان تأريخ القرآن وما جرى عليه طيلة تلك القرون، وأوضحنا عليك أنّ الكتاب هو عين ما بين الدفّتين، والاختلافات الناشئة بين القرّاء ليس إلّا أمراً حديثاً لا ربط له بما نزل به الروح الأمين على قلب سيّد المرسلين.»[1].

=والكتاب في مجلدين يتناول المباحث العقليّة في علم أصول الفقه، كتبه الإمام باللغة العربية عام ١٣٦٨هـ/ق بصورة حاشية على كتاب كفاية الأصول للأخوند الخراساني رحمه الله.

(١) راجع: تهذيب الأصول، للإمام الخميني قدس سره، تقرير آية الله الشيخ جعفر السبحاني، ج٢، ص٤١٧، حجيّة الظواهر، مقالة الأخباريين في عدم حجيّة ظواهر الكتاب. والكتاب في مجلدات ثلاثة، قدَّم المقرّر من خلالها مجمّل ما أفاض به الإمام الراحل قدس سره من أبحاث على طلبة علم الأصول ضمن دورةٍ أصوليّة كاملة في مرحلة بحث الخارج، وكان قدس سره قد ابتدء بتدريس مباحث هذه الدورة في شهر شوال عام ١٣٧٠ هـ / ق، وفرغ منها عام ١٣٧٧ هـ / ق. والكتاب من أقدم الكتب المنتشرة من قبل مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره في المباحث العلميّة، وقد ظلَّ الكتاب لعدّة عقود المرجع الوحيد في معرفة آراء الإمام قدس سره الأصوليّة. وكفى في اعتبار التقرير وفضيلة المصنّف ما قرّظه الإمام الراحل عند الطبعة الاولى للكتاب، حيث كتب قدس سره في حق المؤلّف والمؤلّف: (بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين. وبعد: فممّا منّ الله تعالى على هذا العبد اتفاق صحابة جمّ من الأفاضل وعدّة من الأعلام أيّدهم الله تعالى منهم العالم العلَم التقي صاحب الفكر الثاقب والنظر الصائب الآغا ميرزا جعفر السبحاني التبريزي وفّقه الله تعالى لمرضاته وكثّر الله أمثاله، ولقد جدّ واجتهد في تنقيح مباحث الألفاظ من بحث=

وجود القرآن بخطّ الأئمة عليهم السلام

﴿ كتابنا بحمد الله محفوظٌ لحدّ الآن، حتى أنَّهُ يوجد الآن قرآنٌ بخطّ أمير المؤمنين علي عليه السلام أو الإمام السجّاد علي بن الحسين عليه السلام، الذي هو نفس هذا القرآن ولم يتغير قطّ.﴾[١].

عدم وقوع أي تغيير في القرآن

﴿ إنَّ القرآن الكريم الموجود لدى المسلمين ولم تتمّ زيادةٌ أو نقصانٌ فيه منذ صدر الإسلام وحتى يومنا هذا، عندما نتدبّر فيه فإنّنا نشاهد أنَّ الدعوة لم تكن تهدف إلى جلوس الناس في منازلهم لذكر الله ومناجاته [والاختلاء معه]. كان ذلك موجوداً ولكن لم يقتصر الأمر عليه. فالمهم هو الدعوة إلى

=هذا الفقير بحسن سليقته وتوضيحها بجودة قريحته فصار بحمد الله وله المنّة صحيفة كافلة لمهمّات المسائل، فأسأل الله تعالى توفيقه لاتمام ساير المباحث وتأييده لبذل الجهد في طريق الحقّ وسبيل الهدى). إضافةً إلى ذلك فقد صحّح الإمام قدس سره الطبعة الأولى بقلمه الشريف. ولا يخفى على ذي مسكة أنّه علامة الاعتماد والاعتقاد بصحّة انتساب المتن إلى نفسه. ولعلّ لهذا الاعتماد والانتساب لم يتصدَ الإمام قدس سره بطبع ما صنّفه بيده الشريفة طيلة عمره المبارك الذي قد نشر بعد ارتحاله باسم «مناهج الوصول إلى علم الأصول» و«أنوار الهداية في التعليقة على الكفاية»؛ فإنّ مباحث كتاب «تهذيب الأصول» مطابق لهما مع مزية وهي أنّهما تتعلّقان بالدورة الأولى من دروس علم الأصول والتهذيب يتعلّق بالدورة الأولى والثانية. ومن مزايا هذا التقرير على سائر التقريرات ـ غير ما ذكر ـ أنّ المصنّف لشدّة علاقته وارتباطه بالإمام قدس سره كثيراً ما كان يتردّد إلى بيت الاستاذ، وكان يستفيد من مصنّفاته الخطّية وتوضيحاته الشفهيّة حتى يستكمل التصنيف تحت إشراف الإمام قدس سره ومثل هذا الكمال قلّما يتّفق للتلامذة طول تحصيلهم.

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في نوفل لو شاتو في «باريس»، خلال لقائه جمعاً من الطلبة والإيرانيين المقيمين في الخارج. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٤، ص١٢٨.

الاجتماع وإلى السياسة وتدبير شؤون الدولة وكُلُّها عبادة، كما أنَّ العبادات لم تكن بعيدةً عن السياسة والمصالح الاجتماعيّة.

إنَّ جميع الأعمال التي دعا إليها الإسلام تُعَدُّ عبادةً. فحتى العمل في المصانع والمزارع والتعليم والتربية في المدارس كُلُّها إسلامية وتعدّ عبادة.

لقد تركت هذه الأمور منذ صدر الإسلام ولم يُعمل بها مثلما دعا إليها القرآن الكريم؛ لأنَّها كانت تخالف حكوماتهم. فمنذ البداية قاموا بتأويل غير صحيح لكُلّ ما ورد في القرآن الكريم مما يخالف مصالحهم؛ لأنَّهم لايستطيعون حذفه من القرآن، فقد كانوا يجبرون رجال الدين التابعين لهم بتأويله تأويلاً غير صحيح. ولكنَّ القرآن بقي عند المسلمين ولم يتمكنوا من تحريفه، فهم لا يستطيعون ذلك وإلّا لفعلوا. وعندما أراد أحدهم حذف نصٍّ من القرآن سَلَّ أحد العرب سيفه قائلاً: إننا نرد عليك بالسيف. فقد منعوا تحريف القرآن الكريم وهو اليوم مثلما كان في عهد رسول الله ﷺ.»[1].

نظرةٌ حِكَميّة ـ عرفانيّة في معاني ومراتب مختلفة للتحريف

«إنَّ من يستطيع تحمّل هذا القرآن هو الوجود الشريف لوليّ الله المطلق علي بن أبي طالب عليه السلام، والآخرون لا يقدرون على الحصول على هذه الحقيقة إلا بعد تنزّلها من مقام الغيب إلى الشهادة ومرورها عبر الأطوار الملكيّة والاكتساء بكسوة الألفاظ والحروف الدنيويّة، الأمر الذي يمثّل

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه إمام جمعة طهران ورئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، والمشاركين في المؤتمر العالمي الثاني لأئمة الجمعة والجماعة في إيران والعالم). راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٨، ص٣٣٧.

واحداً من معاني «التحريف» الواقع في جميع الكتب الإلهيّة وفي القرآن الشريف.

فالآيات الكريمة بتمامها وُضِعَت في متناول البشر وهي تنطوي على بعض التحريفات، بل تنطوي على تحريفات كثيرة تتناسب مع المنازل والمراحل التي طوتها في سيرها من حضرة الأسماء حتى أدنى موضعٍ لها في عوالم الشهادة والملك.

ومراتب التحريف تنطبق مع مراتب بطون القرآن الكريم ـ حذو النعل بالنعل ـ مع فارق أنَّ التحريف: تَنَزَّلَ من الغيب المطلق إلى الشهادات المطلقة وبحسب مراتب العوالم، في حين إنَّ البطون: رجوعٌ من الشهادات المطلقة إلى الغيب المطلق.

وعليه فمبدأ التحريف ومبدأ البطون متعاكسان في الاتجاه، والسالك إلى الله يتخلّص ـ بوصوله كُلَّ مرتبةٍ من البطون ـ من مرتبةٍ من التحريف، حتى إذا وصل البطن المطلق ـ وهو البطن السابع بحسب المراتب العامّة ـ تخلّص من التحريف تماماً.

إذن، فقد يكون القرآن الكريم ـ بالنسبة لشخصٍ ما ـ محرّفاً بجميع أنواع التحريف، وببعض مراتب التحريف بالنسبة لآخر، وليس محرفاً أصلاً بالنسبة لثالث وهكذا.»[1].



(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الأوّل، آداب التعظيم، ص٢٦٨.



القسم الثاني

علوم القرآن

الفصل الأوّل: نزول القرآن

الفصل الثاني: تلاوة القرآن

الفصل الثالث: فهم القرآن

الفصل الرابع: تفسير القرآن





الفَصلُ الأَوّلُ

نزول القرآن



بعثة النبي ﷺ ونزول القرآن

نزول القرآن غاية البعثة

«إنَّ غاية البعثة هي ما قاله الله تبارك وتعالى في سورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(1).

فغاية البعثة هي ما ذكره تعالى في هذه الآية الشريفة، فهو يقول إنَّهُ بعث من بينكم رسولاً، لكي يبلّغ بعض الأمور من قبل الله ﷻ. فالقرآنُ آياتٌ إلهيّةٌ وغايةُ البعثة هي هذا الكتاب العظيم وهو الآيةُ الإلهيّةُ العظيمةُ وتلاوته. مع أنَّ كُلَّ العالم من آيات الحقّ تعالى، لكنَّ القرآن الكريم نسخةٌ تتضمّن كُلَّ شيءٍ من الخلق الإلهي والتي يجب أن تنجز في البعثة.

القرآنُ الكريم هو مائدةٌ بسطها الله تبارك وتعالى بواسطة النبي الأكرم ﷺ بين البشر لكي يستفيد منها البشر كُلٌّ بحسب استعداده.»(2).

---

(1) الجمعة: ٢.

(2) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ذكرى المبعث النبوي الشريف، خلال لقائه فئات مختلفة من أهالي «تبريز». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٤، ص٣٠٥.

التزكية غاية تلاوة القرآن

﴿ وغاية البعثة هي أن نبسط هذه المائدة بين البشر من زمان النزول إلى النهاية. هذه إحدى غايات الكتاب وغاية البعثة. بعث إليكم رسولاً يتلو عليكم القرآن والآيات الإلهيّة، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فهذا هو ربما غاية التلاوة، يتلو من أجل التزكية ومن أجل التعليم ومن أجل التعليم الجماعي، تعليم هذا الكتاب وتعليم الحكمة التي هي من نفس الكتاب.

إذاً غاية البعثة هي نزول الوحي ونزول القرآن وغاية تلاوة القرآن على البشر هي أن تحدث التزكية وتصفى النفوس من هذه الظلمات الموجودة فيها حتى تكون أرواحهم وأذهانهم بعد أن تُصَفَّى قادرةً على فهم الكتاب والحكمة. فالغاية هي التزكية من أجل فهم الكتاب والحكمة. ﴾[١].

الاستفادة من القرآن عامّةٌ للجميع

﴿ فقد كان دافع نزول هذا الكتاب المقدَّس وغاية بعثة النبي الأكرم ﷺ من أجل أن يكون هذا الكتاب في أيدي الجميع ويستفيد منه الجميع بمقدار سعة وجودهم وفكرهم. ﴾[٢].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ذكرى المبعث النبوي الشريف، خلال لقائه فئات مختلفة من أهالي «تبريز». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٤، ص٣٠٦ ـ ٣٠٧.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ذكرى المبعث النبوي الشريف، خلال لقائه فئات مختلفة من أهالي «تبريز». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٤، ص٣٠٦.

ظهور أبعاد القرآن من خلال تنزّله

﴿ القرآن ذو أبعاد لم تتضح لأحد من الكائنات ـ الملك والملكوت ـ قبل أن يبعث الرسول الأكرم ﷺ وقبل أن يتنزّل القرآن من مقام الغيب ويتجلّى بمظهره النزولي على قلب رسول الله ﷺ.

فبعد أن اتصل المقام النبوي المقدّس للولي الأعظم بمبدأ الفيض ـ بالمقدار الذي كان قابلاً للاتصال ـ اكتسب القرآنُ مرتبة النازل المُنَزَّل وتجلّى في قلبه المبارك، ومع نزوله إلى المراتب السبع جرى على لسانه المبارك. وإنَّ القرآن الموجود في أيدينا هو النازلة السابعة للقرآن وهو من بركات البعثة. ﴾[١].

البعثة استبدلت الفلسفة اليونانيّة بالعرفان الشهودي

﴿ لقد أوجدت البعثة تحولاً علميّاً ـ عرفانيّاً في العالم بحيث تحوّلت الفلسفة اليونانيّة التي أنجزها اليونانيّون وكانت ذات قيمة أيضاً، إلى عرفانٍ عينيٍّ وشهودٍ واقعيٍّ لأرباب الشهود. وإنَّ البعد القرآني هذا لم يتجلَّ لأحدٍ حتى هذه اللحظة إلا لمن خوطب به. كما أنَّ بعض أبعاده لم تنكشف حتى لمن خوطب به، واقتصر علمها على ذات الجلالة جلَّت عظمتها.

فإذا ما جال أحدٌ في فلسفات ما قبل الإسلام وما بعده لا سيّما القرون الأخيرة، والعرفان الذي كان قبل الإسلام مما كان في الهند وأمثالها،

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ذكرى المبعث النبوي الشريف، خلال لقائه رؤساء السلطات الثلاث وكبار المسؤولين من العسكريين والمدنيين وجمعاً من الشخصيّات السياسيّة والعلميّة والفكريّة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٧، ص٣٥١ ـ ٣٥٢.

وقارن ذلك مع نتاج العرفاء المسلمين ممن خاضوا في تعاليم الإسلام، يدرك أي تحولٍ عظيمٍ حصل في هذا المجال.[١].

تحوّل وتطوّر المعارف البشريّة في رحاب البعثة

لا بُدَّ لي من القول إنَّ. . . بعثة النبي ﷺ ونزول الوحي من عند الله تبارك وتعالى على قلب رسول الله ﷺ، لا زالت مجهولةً للبشريّة. إنَّ ما كان يتطلّع إليه القرآن الكريم لم يزل مجهولاً حتى بالنسبة للمتبحّرين في آخر الزمان ولم يُدْرَك كما كان ينبغي. وإنَّ ما عرف منه حتى اليوم عندما يقارن مع ما كانت عليه المعارف البشريّة والفلسفة والعدالة الاجتماعيّة قبل الإسلام يدل على تطوّرٍ عظيمٍ في العالم ليس له مثيل من قبل ومن بعد. وفي مسار المعرفة الإلهيّة إذا نظرتم لوجدتم ما كان عليه العالم قبل الإسلام وإلى أين وصل بعد الإسلام بفضل تعاليم الإسلام المقدّس والقرآن الكريم.[٢].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ذكرى المبعث النبوي الشريف، خلال لقائه رؤساء السلطات الثلاث وكبار المسؤولين من العسكريين والمدنيين وجمعاً من الشخصيّات السياسيّة والعلميّة والفكريّة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٧، ص٣٥١.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ذكرى مولد النبي الأكرم ﷺ وحفيده الإمام الصادق عليه السلام، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس وأعضاء مجلس الوزراء، رئيس وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي، علماء الدين، كبار مسؤولي الدولة من مدنيين وعسكريين، فئات شعبيّة مختلفة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٨، ص٢١٤ ـ ٢١٥.

قصور التصوّر الإنساني عن إدراك أسرار البعثة

﴿ إنَّ القضايا المرتبطة بالمبعث النبوي وأبعاده المختلفة لا يمكن إيضاح القليل الذي أدركناه منها في مثل هذه العجالة. فما هو أصل البعثة؟ وما معنى نزول الوحي؟ وكيف تمّ نزول الوحي؟ إنَّها أمورٌ تبقى مستعصية على الفهم دوماً. إنَّ ما ندركه من البعثة هو البركات الحاصلة منها.﴾[1].

وظيفة البشر الاقتراب من طموحات الوحي

﴿ إنَّ بعض أبعاد مسألة بعثة الرسول ﷺ لم تتضح حقيقتها لأحد غير الرسول الأكرم ﷺ فماذا كانت المسألة؟ وأيّ نوعٍ من الضغط هذا الذي ألقاه الروح الكبير عليه؟ وأيُّ حالٍ حصلت له في هذا المجال؟ وكيف كان نزول الوحي والروح الأعظم على رسول الله ﷺ؟ فهذا ما قَصُرَت عقولنا عن إدراكه ونحن نسمع شيئاً من بعيد جداً ولا نستطيع إدراكه. والاعتراف بالعجز هو مسألةٌ في حدّ ذاته، وبعد أن قصرت عقولنا عن الوصول إلى قمّة حقيقة الوحي، فعلينا نحن الضعفاء أنْ نسعى بمقدار وسعنا لنقترب من هذا الأمر، نقترب من هذا الهدف الذي كان لدى الأنبياء عموماً ورسول الله ﷺ خصوصاً، والاقتراب من طموح الوحي وظيفة البشر وعندما يعجز عن إدراك ماهيّة الوحي فعليه الاقتراب من طموحاته، فإنْ قدرنا على ذلك فهو كمالٌ

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ذكرى المبعث النبوي الشريف، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي ﷺ، رئيس الوزراء وأعضاء المجلس، رئيس وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي، علماء الدين، كبار مسؤولي الدولة. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٨، ص٣٢٨.

كثيرٌ جدّاً، فالهدف الأصلي للوحي هو إيجاد المعرفة لدى البشر، فمعرفة الحقّ تعالى تقع على رأس أمور هذا المعنى.»[١].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ذكرى المبعث النبوي الشريف، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي حفظه الله، رئيس الوزراء وأعضاء المجلس، رئيس وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي، علماء الدين، كبار مسؤولي الدولة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٩، ص٢٠٠.

كيفيّة نزول الوحي

﴿ وهذا من لطائف المعارف الإلهيّة ومن أسرار الحقائق الدينيّة التي قلَّ أن يستطيع أحدٌ الاطلاع على نفحةٍ منها بالطريق العلمي عدا الكُمَّل من الأولياء وعلى رأسهم الوجود المبارك للرسول الخاتم ﷺ ثم الأولياء وأهل المعارف من بعده وبتسديده، والذين يستطيعون وحدهم وعن طريق الكشف والشهود إدراك هذه اللطيفة الإلهيّة. فمشاهدة الحقيقة لا تكون إلا عن طريق الوصول إلى عالم الوحي والخروج من حدود العوالم الامكانيّة. وستوضح هذه الحقيقة هاهنا بطريق الرمز والإشارة.

إعلم أنَّ القلوب السائرة إلى الله ﷻ بالسلوك المعنوي والسفر الباطني وبالمهاجرة من بيت النفس المظلم وبيت الإنّيّة والأنانيّة، هي طائفتان عموماً:

إدراك الوحي بالخروج من عالم الإمكان

الأولى: أولئك الذين يدركون موتهم بعد إتمام السفر إلى الله ﷻ فيبقون في حالة الجذبة والفناء والموت تلك، وأجر أصحاب هذه القلوب على الله، وهو تعالى أجرهم.

وهؤلاء هم المحبوبون الفانون تحت «قباب الله» لا أحد يعرفهم أو يرتبط

بهم، كما لا يعرفون هم كذلك أحداً سوى الحقّ تعالى: «**أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري**»[1].

الثانية: أولئك المؤهّلون للرجوع إلى أنفسهم وتحقّق حالة الصحو لهم، بعد إتمام السير إلى الله وفي الله.

وهؤلاء هم الذين تمَّ تقدير استعدادهم ـ بحسب التجلّي بالفيض الأقدس وهو «سرُّ القدر» ـ واختارهم الحقّ تعالى لتكميل العباد وإعمار البلاد.

وهؤلاء يكشفون ـ بعد الاتّصال بالحضرة العلميّة والرجوع إلى حقائق الأعيان ـ سيرَ الأعيان واتصالها بحضرة القدس وسفرها إلى الله وإلى السعادة. وهم المُكتسون بكسوة النبوّة، وهذا هو كشف الوحي الإلهي قبل التنزّل إلى عالم الوحي الجبرائيلي.

ثم إنَّهم يكشفون ـ بعد توجههم من هذا العالم إلى العوالم النازلة ـ ما في الأقلام العالية والألواح القدسيّة بمقدار إحاطتهم العلميّة ونشأتهم الكماليّة التابعة للحضرات الأسمائيّة، ومن هنا كان التفاوت بين الشرائع والنبوّات، بل لعلّ هذا هو أصل جميع الفروقات.

مراتب إدراك الوحي الإلهي

وفي هذا المقام، قد يكون تنزل هذه الحقيقة الغيبيّة والسريرة القدسيّة المشهودة في الحضرة العلميّة والأقلام والألواح العالية، عن طريق غيب نفوسهم وسرِّ أرواحهم الشريفة بواسطة ملك الوحي حضرة جبرائيل عليه السلام الذي قد يتمثّل لهم «تمثّلاً مثاليّاً» في حضرة المثال، أو بـ «تمثّل ملكي»،

---

(١) حديث قدسي، راجع إحياء علوم الدين: ج٤، ص٢٥٦.

فيظهر من مكمن الغيب ـ بواسطة تلك الحقيقة ـ إلى مشهد عالم الشهادة ويُنَزِّل تلك اللطيفة الإلهيّة، فيدركها صاحبُ الوحي ويشاهدها في كُلّ نشأةٍ من النشآت على نحوٍ خاص:

ففي الحضرة العلميّة على نحوٍ معين.

وفي حضرة الأعيان على نحوٍ آخر.

وفي حضرات الأقلام على نحوٍ ثالثٍ.

وفي حضرات الألواح على نحوٍ مختلفٍ.

وفي حضرة المثال على نحوٍ آخر.

وفي الحسّ المشترك على نحوٍ ثانٍ.

وفي الشهادات المطلقة على نحوٍ آخر.

وهي مراتب سبعة من التنزّل، ولعلَّ ما ورد بشأن نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف[1] هو هذا المعنى، وهو ـ كما هو واضحٌ ـ لا يتنافى مع

(١) روى الشيخ الصدوق ﷺ في كتابه الخصال، ص٣٨٥، نزول القرآن على سبعة أحرف، عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «أتاني آتٍ من الله فقال: إنَّ الله ﷻ يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفٍ واحدٍ، فقلت: يا رب وسّع على أمتي، فقال: إنَّ الله ﷻ يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفٍ واحد، فقلت: يا رب وسّع على أمتي، فقال: إنَّ الله ﷻ يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفٍ واحد، فقلت: يا ربّ وسّع على أمتي، فقال: إنَّ الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف». وفي روايةٍ أخرى زيادةٌ فيها: «فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا». وقد حمل العلماء هذا الأمر على القراءات السبع ولغاتٍ سبع من لغات العرب كلغة قريش ولغة هذيل ولغة هوازن ولغة اليمن وغيرها. وقيل: اللغات السبع كُلُّها من مضر وهم سبع قبائل هذيل وكنانة وقيس وضبة وتيم الرباب وأسد بن خزيمة وقريش. وقال أبو حاتم السجستاني: نزل القرآن بلغة هذيل وقريش وتيم الرباب والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر. وقال ابن قتيبة اللغات السبع كُلُّها في بطون قريش واحتجّ بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾، والنبي ﷺ كان قرشياً=

قول المعصوم عليه السلام: «قرآنٌ واحدٌ من عند واحد»[1]. وفي الموضوع تفصيلٌ لا يناسب المقام.﴾[2].

﴿ وقضية إيحاء الوحي وإنزال الكتب إلى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام من العلوم العالية الربّانيّة التي قلّما يتّفق لبشر أن يكشف مغزاها كتكلّمه تعالى مع موسى عليه السلام، ولقد أشار إلى بعض أسرارها قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[5] إلى آخره.

=وبذلك جزم أبو علي الأهوازي ونقل أبو اسامة عن بعض شيوخهم أنّهُ نزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من الفصحاء ثم أبيح للعرب أن يقرأوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على خلافهم في الألفاظ والإعراب ولم يكلف أحد منهم الإنتقال من لغةٍ إلى لغة أخرى للمشقّة ولما كان فيهم من الحمية.

(١) جاء في الكافي الشريف، ج٢، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح١٢، ص٦٣٠، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنَّ القرآن واحدٌ نزل من عند واحد ولكنَّ الاختلاف يجيئ من قبل الرواة».

(٢) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل السابع، نفحةٌ من تفسير سورة القدر المباركة بما يناسب هذه الرسالة، ص٤٥٢ ـ ٤٥٣ ـ ٤٥٤.

(٣) الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٤) الواقعة: ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩.

(٥) النجم: من الآية ٤ إلى الآية ١١.

القرآن الكريم والإشارة إلى أسرار الوحي

فأشار إلى كيفيّة الوحي ونزول الكتاب بوجهٍ موافقٍ للبرهان، غير منافٍ لتنزيهه تعالى عن شوب التغيّر، ووصمة الحدوث.

ولعمري إنَّ الأسرار المودعة في هذا الكلام الإلهي المشير إلى كيفيّة الوحي، ودنوّ روحانيّة رسول الله ﷺ إلى مقام «التدلّي»، والمقام المعبّر عنه بـ «قاب قوسين»، وما يشار إليه بقوله «أَوْ أَدْنى»[١]، ثمّ تحقّق الوحي ممّا لم يصل إليه فكر البشر إلّا الأوحدي الراسخ في العلم بقوّة البرهان المشفوع إلى الرياضات ونور الإيمان.«[٢].

إختصاص الأولياء بفهم كيفيّة الوحي

» إنَّ كيفيّة الوحي هي من الأمور التي ليس بوسع أحد أن يفهمها غير رسول الله ﷺ ومن كانوا معه في خلوته، أو الذين استلهموا منه كيفيّة نزول الوحي. ولهذا فكلما أرادوا أن يعرفوا ذلك قاموا بتعريفه على قدر فهمنا

---

(١) النجم: ٩.

(٢) راجع: كتاب «الطلب والإرادة»، للإمام الخميني الراحل ، المقدّمة، فساد قول المعتزلة، ص١٤ ـ ١٥. والكتاب أصوليٌّ فلسفيٌّ عرفانيٌّ، كتبه الإمامُ الراحل باللغة العربيّة عام ١٣٧١هـ/ق، وذلك بعد أن وصل في بحثه في تدريس أصول الفقه إلى مسألة الطلب والإرادة المنتهية إلى مسألة الجبر والتفويض، فأفرد لها بحثاً مستقلاً في رسالةٍ خصّصها لبحث هذه المسألة. وقد فُقدت النسخة الأصليّة من الكتاب لكن ـ ولله الحمد ـ كان بعض تلامذة الإمام قد استنسخوها عن النسخة الأصليّة، فقامت مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ـ مشكورةً ـ بمقابلة تلك النسخ وخرجت بنسخةٍ مصحّحةٍ محقّقةٍ وقدّمتها إلى محبّي الإمام الراحل وطلّاب العلوم الدينيّة الأفاضل لينهلوا من معين ما ورد في تلك الصفحات من لآلئ الحكمة والفلسفة والعرفان في بيان مسألةٍ من أهمّ المسائل الكلاميّة والمباحث الفلسفيّة ذات الجنبة العقائديّة أعني مسألة الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين.

نحن العوام. مثلما يعرّف الله تبارك وتعالى نفسه للناس على قدر فهمهم من خلال ذكره للإبل[١] والسماء والأرض والخلق، إلى غير ذلك.﴾[٢].

الإبهام في حقيقة النزول والروح الأمين

﴿ حدثت في شهر رمضان المبارك قضيةٌ تبقى ماهيتها وأبعادها غامضةً بالنسبة لنا إلى الأبد ألا وهي نزول القرآن. نزول القرآن على قلب رسول الله ﷺ في ليلة القدر. فما هي قضية نزول القرآن، وكيفيّة نزول الروح الأمين على قلب النبي الأكرم ﷺ من قبل الله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[٣]؟ ما هي كيفيّة هذا النزول على قلب الرسول ﷺ في ليلة القدر؟.

لا بُدَّ لي من القول إنَّ هذه القضية تبقى غامضةً ومبهمةً بالنسبة للجميع فيما عدا الرسول الأكرم ﷺ والذين نشؤوا في أحضانه وكانوا موضع ألطاف الله تبارك وتعالى والعناية الخاصّة للنبي محمد ﷺ.

كيف نزل الروح الأمين بالقرآن على قلب رسول الله ﷺ؟ وما هي ليلة القدر؟ هذه قضايا تبدو في الوهلة الأولى موضوعات بسيطة وربما تناولها البعض بالبحث والتمحيص، ولكن أقول لكم إنَّ كيفيّة نزول القرآن تبقى

---

(١) الغاشية: ١٧.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ذكرى المبعث النبوي الشريف، خلال لقائه رؤساء السلطات الثلاث وكبار المسؤولين من العسكريين والمدنيين وجمعاً من الشخصيّات السياسيّة والعلميّة والفكريّة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٧، ص٣٥٣.

(٣) القدر: ١.

غامضةً بالنسبة لأمثالنا. تبقى كيفيّة نزول ملائكة الله تعالى في ليلة القدر وماهيّة ليلة القدر غامضة ومبهمة بالنسبة لأمثالنا.»[١].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك، خلال لقائه ممثل الإمام ﷺ والمشرف على الروضة الرضويّة، أئمة الجمعة والجماعات في محافظة «خراسان»، طلبة العلوم الدينية، اللجنة المشرفة على الطلبة الأجانب المقيمين في قم، مسؤولي مكتب تمثيل الإمام ﷺ في حرس الثورة وعلماء الدين. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٧، ص٣٩٥.

الملائكة وسائط الوحي

عظمة جبرائيل الأمين عليه السلام

﴿ أمّا عظمته بلحاظ رسول الوحي وواسطة الإيصال فهو جبرائيل الأمين والروح الأعظم الذي يتّصل به الرسول الأكرم ﷺ بعد خروجه عن جلباب البشريّة وتوجيهه شَطْرَ قلبه إلى حضرة الجبروت. وجبرائيل أحد أركان دار التحقّق الأربعة[1]، وهو أعظمها وأشرف أنواعها؛ إذ إنَّهُ ـ وهو الذات الشريفة النورانيّة ـ الملك الموكل بالعلم والحكمة وصاحب الأرزاق المعنويّة والأطعمة الروحانيّة، ونظرة إلى ما ورد في كتاب الله وفي الأحاديث الشريفة تكفي لإدراك مدى الإجلال والتعظيم الذي حُبيَ به جبرائيل وكيف أنَّهُ مُقَدَّمٌ على سائر الملائكة[2].﴾[3].

---

(١) دار التحقّق هو عالم الوجود الخاضع لهيمنة الباري عز وجل، والأركان الأربعة هي الحياة والموت والرزق والعلم، والله تبارك وتعالى هو المحيي والمميت والرازق والهادي، لكن المباشرين الموكلين أربعة من الملائكة هم: إسرافيل للإحياء، وعزرائيل للإماتة، وميكائيل لمقادير الأرزاق ومكائيلها، وجبرائيل للهداية والعلم.

(٢) قال تبارك وتعالى في مدح جبرائيل عليه السلام ووصف حاله ومكانته، في سورة الشعراء، الآية ١٩٣: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾، وقال في سورة التكوير: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ * مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾. وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «أفضل الملائكة جبرائيل»، وقال ﷺ: «بلغني أنَّ جبرائيل إمام أهل السماء». راجع: بحار الأنوار، ج٥٦، ص٢٥٨، «كتاب السماء والعالم»، «أبواب الملائكة»، «باب آخر في وصف الملائكة المقربين»، ح٢٣، ٢٤.

(٣) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني=

﴿ أولئك الذين جعلهم الله تعالى وسائط رحمة وجوده، هم مبادئ سلسلة الوجود وغاية أشواقها، وتسمّى هذه الطائفة بـ «أهل الجبروت» ورئيسها ورأسها «الروح الأعظم» ولعلّ في الآية الكريمة: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾[1] إشارة إلى هذه الطائفة من الملائكة. وتخصيص «الروح» بالذكر مع أنَّهُ من الملائكة إنَّما هو لعظمته، كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[2].

كذلك وبناءً على اعتبار آخر فإنَّ البعض يسمي «الروح» بـ «القلم الأعلى» أيضاً، كما في قوله ﷺ: «أوّل ما خلق الله القلم»[3].

في حين يسمّون «الروح» وبناءً على اعتبار آخر «العقل الأوّل» كما في قوله ﷺ: «أوّل ما خلق الله العقل»[4].

وقد اعتبر بعضٌ أنَّ «الروح» هو جبرائيل، والفلاسفة يعتبرون جبرائيل آخر الملائكة «الكروبيين»[5] وأنَّهُ «روح القدس» وأنَّ «الروح» هو أوّل الملائكة الكروبيين.

=الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الأوّل، أدب التعظيم، ص٢٧٠.

(١) القدر: ٤.

(٢) النبأ: ٣٨.

(٣) بحار الأنوار، ج٥٧، الباب٣١، ص٩٣، ح٢٥، عن ابن عيس عن النبي الأكرم ﷺ. ومثله في البحار ج٥٤، الباب٣، في اللوح المحفوظ والقلم، ص٣٦٦، ح١، عن هشام عن أبي عبد الله ﷺ.

(٤) بحار الانوار: ج١، ص٩٧.

(٥) الكروبيين: سادة الملائكة والمقرّبون منهم. جاء في بحار الأنوار، ج٢٦، الباب الثامن من أبواب علومهم ﷺ، ح١٢، ص٣٤٢، نقلاً عن بصائر الدرجات، عن أبي عبد الله ﷺ أنَّهُ قال: «الكروبيين قومٌ من شيعتنا من الخلق الأول، جعلهم الله خلف العرش، لو قسم نور واحدٍ=

وقد ذكرت بعض الروايات أنَّ «الروح» هو خلقٌ أعظم من جبرائيل. فعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[١]، قال ﷺ: «خلقٌ أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ وهو مع الأئمة وهو من الملكوت»[٢].

ولعلَّ القرآن والأخبار قد استخدما نوعين من الإطلاق لمفردة «الروح» كما أنَّ أهل الاصطلاح أيضاً استخدموها في عِدّة إطلاقاتٍ، منها:

الروح: صنفٌ من صنوف الملائكة كما في قول الصادق ﷺ الذي مَرّ معنا حينما قال: وهو من الملكوت.

الروح: روح نفس حضرات الأولياء، وهي ليست من الملائكة، بل أعظم منهم.

وبناءً على ما تقدَّم ومع الأخذ بنظر الاعتبار التنزّل في ليلة القدر، يمكن أن تكون «الروح» الوارد ذكرها في سورة القدر الكريمة، تعبيراً عن «الروح الأمين» أو «الروح الأعظم»، ولعلَّها في الآية الكريمة ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾[٣] تعبير عن «الروح الإنسانيّة» التي تفوق في مرتبة كمالها جبرائيل وسائر الملائكة عظمةً، وهي «عالم الأمر» بل لعلّها تتّحد مع «المشيئة» التي تمثل «الأمر المطلق».[٤].

=منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثم قال إنَّ موسى ﷺ لما سأل ربَّه ما سأل، أمر رجلاً من الكروبيين، فتجلى للجبل، فجعله دكاً».

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) الأصول من الكافي، كتاب الحجة، باب الروح التي يسدد بها الأئمة ﷺ، ح٣، ص٢٧٣.

(٣) الإسراء: ٨٥.

(٤) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح=

التمثّل الملكوتي للروح الأمين

إعلم أنَّ «الروح الاعظم» ـ وهو خلقٌ أعظم من ملائكة الله ـ يعني أنَّهُ واقعٌ في المرتبة الأولى ضمن ملائكة الله وأنَّهُ أشرف وأعظم منها جميعاً، فملائكة الله مجرّدون و«قطان» عالم الجبروت، وهم لا يتجافون عن مقامهم، والنزول والصعود بالمعنى الموجود للأجسام مستحيلان بالنسبة لهم؛ لأنَّ المجرّد مبرّأٌ وَمُنَزَّهٌ عن لوازم الأجسام، وعلى هذا فَتَنَزُّل الملائكة ـ سواءٌ على قلب الولي أو صدره أو حسّه المشترك، أو في بقاع الأرض والكعبة، وحول قبر الرسول الأكرم ﷺ، أو في البيت المعمور ـ إنّما يتمُّ على نحو التمثيل الملكوتي أو الملكي، نظير ما يذكره الله تعالى في باب تنزّل «الروح الأمين» على مريم عليها السلام: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[1]، كما يمكن أن يكون للأولياء والكُمَّل أيضاً تمثّلٌ ملكوتيٌّ و«تروّحٌ» جبروتيٌّ.

فلملائكة الله قوّةٌ وقدرةٌ على الدخول في المسلك والملكوت على نحو «التمثيل»، ولكُمَّلِ الأولياء قدرةٌ على الدخول في الملكوت والجبروت على نحو «التروّح» والرجوع من الظاهر إلى الباطن.

وتصديق هذا المعنى سهلٌ على من فهم حقائق المجرّدات ـ سواءٌ المجرّد الملكوتي أو الجبروتي أو النفوس الناطقة، وهي من المجرّدات الجبروتيّة أو الملكوتيّة أيضاً ـ وتصوّرَ مراحل الوجود ومظاهرها ونسبةَ الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر.

ويجب أن لا يخفى، أنَّ من غير الممكن تمثّل «الجبروتيين»

=الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل السابع، نفحةٌ من تفسير سورة القدر المباركة بما يناسب هذه الرسالة، ص٤٧٥ ـ ٤٧٦.

(١) مريم: ١٧.

و«الملكوتيين» في قلب الإنسان وصدره وحسّه إلا بعد خروجه من جلباب إنسانيّته وتناسبه مع تلك العوالم، وإلا فما دامت النفس مشتغلةً بالتدبيرات الملكيّة غافلةً عن تلك العوالم، لا يمكن أن تحصل لها تلك المشاهدات أو التمثلات.

نعم، قد يحصل أحياناً أن تنصرف النفس ـ بإشارةٍ من أحد الأولياء ـ عن هذا العالم فتدرك شيئاً من عوالم الغيب وبقدر لياقتها ـ إدراكاً معنوياً أو صورياً ـ وقد يحدث أحياناً أن تنصرف النفس عن الطبيعة فتدرك نموذجاً لعالم الغيب وذلك بسبب وقوع بعض الأمور الخطيرة، نظير ما حصل لذلك الرجل البسيط الذي حصل على وثيقة البراءة من نار جهنم عندما كان حاجّاً لبيت الله الحرام، والتي ينقلها الشيخ الرئيس[١] كما ينقل الشيخ العارف محيي الدين[٢] شبيهاً ما يقرب منها.

---

(١) الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ﷺ، الحكيم المشهور، أحد فلاسفة المسلمين، ولد سنة ٣٧٠هـ بقرية من ضياع «بخارى»، نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه، لم يستكمل ثماني عشرة سنة من عمره إلا وقد فرغ من تحصيل العلوم بأسرها، صنَّفَ كتاب «الشفاء» و«النجاة» و«الإشارات والتنبيهات» و«القانون» و«النجاة من الغرق في بحر الضلالات» و«المبدأ والمعاد» وغير ذلك مما يقارب مائة مُصَنَّف، وله شِعْرٌ، توفي بهمدان يوم الجمعة من شهر رمضان ٤٢٨هـ ودفن فيها.

(٢) أبو بكر محيي الدين محمد بن علي المُلقّب بـ«الشيخ الأكبر» والمعروف بـ«ابن عربي». من أكبر وأشهر علماء الصوفيّة في عصور الإسلام، تعلّم علم القراءات والحديث والفقه والتصوف عند علماء اشبيلية، ثم زار كثيراً من البلدان وطار صيتُهُ في الأقطار الإسلاميّة. كان ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات. برع في علم التصوّف وكتب الكثير من الكتب والرسائل، وقد قيل إنَّ مصنفاته زادت على المئتين وقيل الأربعمائة، منها: «الفتوحات المكيّة»، «فصوص الحكم» وهو من المتون الدراسيّة المُهمّة في فنّ العرفان والتصوف، «التجليات الإلهيّة»، و«إنشاء الدوائر» وغيرها. توفي في دمشق وحُمل إلى قاسيون وبنى السلطان سليم مدرسةً عظيمةً بجوار ضريحه في صالحيّة دمشق.

فحصول ذلك إنَّما يتمّ بفعل انصراف النفوس عن عالم الملك وتوجهها نحو عالم الملكوت.

وقد يحدث أحياناً أن تصحو نفوس الأولياء الكُمَّل ـ نتيجة لقوّتها ـ بعد انسلاخها من العوالم ومشاهدتها «الروح الأعظم» أو سائر الملائكة، ثم تحفظ حضرات الغيب والشهادة، ففي هذه الحالة تشاهد حقائق الجبروتيين في كافّة النشآت في آنٍ واحد.

وقد يحدث أحياناً أخرى أن يكون تنزّل الملائكة نتيجةً لقدرة نفس الولي الكامل. والله العالم.»[1].

القرآن أكبر من خيال جبرائيل عليه السلام

«القرآن وفي ذات الوقت الذي هو كتابٌ معنويٌّ عرفانيٌّ [لا يمكن لنا ولا لخيالنا ولا حتى لخيال جبرائيل الأمين الوصول إليه]، فإنَّهُ أيضاً كتابٌ لتهذيب الأخلاق، ويبرهن على موضوعاته بالاستدلال، [ويدعو إلى الحكومة]، ويوصي بالوحدة وبالقتال.»[2].

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل السابع، نفحةٌ من تفسير سورة القدر المباركة بما يناسب هذه الرسالة، ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧ ـ ٤٧٨.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه رؤساء السلطات الثلاث، وكبار المسؤولين من العسكريين والمدنيين، وجمعاً من الشخصيات السياسيّة والعلميّة والفكريّة، ورؤساء المراكز والمؤسسات الرسميّة والأهليّة، بمناسبة ذكرى المبعث النبوي الشريف. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٧، ص٣٥٤.

عدم إدراك جبرائيل عليه السلام لحقيقة القرآن

﴿«لا يعرفه إلا من خوطب به»[١] يُقصَدُ به الرسول الأكرم ﷺ أي إنَّ من كان واسطة الوحي أي جبرائيل عليه السلام نفسه لا يستطيع فهمها. فلقد كان جبرائيل الأمين واسطةً لقراءة ما ورد من الغيب على الرسول ﷺ، وكان مكلّفاً بإيصاله ولكنَّهُ ليس مصداقاً لمن خوطب به. فمن خوطب به ينطبق على الرسول الأكرم ﷺ نفسه.﴾[٢].

كيفيّة وساطة جبرائيل عليه السلام

﴿الوسيط هو جبرائيل عليه السلام، ولكن أي وساطةٍ وواسطةٍ كان ينجزها جبرائيل عليه السلام؟ هل أنزله للنبّي ﷺ وبولايته نزل؟ هل نزل الوحي مع جبرائيل عليه السلام وقام جبرائيل عليه السلام بإبلاغه؟ هذه هي المسائل التي يدور الحديث حولها.﴾[٣].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤٩، «تاريخ الإمام محمد الباقر عليه السلام»، الباب٢٠، الحديث٢.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ميلاد النبي الأكرم ﷺ وحفيده الإمام الصادق عليه السلام، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس وأعضاء مجلس الوزراء، رئيس وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي المسؤولين العسكريين والإداريين والشخصيات العلمائية، وفئات شعبيّة مختلفة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٨، ص٢١٥.

(٣) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس وأعضاء مجلس الوزراء، رئيس وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي المسؤولين العسكريين والإداريين والشخصيات العلمائية، وفئات شعبيّة مختلفة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٩، ص٤٦.

التناسب بين نزول جبرائيل عليه السلام وروح الأنبياء عليهم السلام

﴿ مسألة نزول جبرائيل عليه السلام على أحدٍ ليست مسالةً بسيطةً. لا يتصوّر متصوّرٌ أنَّ جبرائيل عليه السلام يهبط على أيّ امرءٍ كان [أو أنَّهُ من الممكن أن يأتي لأي شخصٍ كان]. يجب أن يكون هناك تناسباً بين منزلة جبرائيل عليه السلام وروح من ينزل عليه؛ فإنَّهُ الروح الأعظم. سواء قلنا إنَّ قضية هبوط جبرائيل تتمّ بواسطة الروح الأعظم لذات الولي أو النبي، أم لا، أي يأمره الله سبحانه وتعالى بالذهاب ونقل مسائل معينة. فسواء قلنا بالقسم الأوّل الذي يأخذ به أهل التحقيق والتدقيق، أم قلنا بالقسم الآخر الذي يتبناه بعض المتمّسكين بالظاهر، لا يمكن أن يهبط جبرائيل عليه السلام من دون حدوث تناسب بينه ـ بوصفه الروح الأعظم ـ وبين روح من يتنزّل عليه، كما كان هذا التناسب متحقّقاً بينه وبين الطراز الأوّل من الأنبياء عليهم السلام نظير رسول الله صلى الله عليه وآله وموسى وعيسى وإبراهيم وأمثالهم عليهم السلام، ولم يكن قد حصل مع أي شخص آخر ولن يحصل بعد ذلك أيضاً.﴾[1].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ميلاد السيّدة الزهراء عليها السلام ويوم المرأة، خلال لقائه جمعاً من سيّدات جامعة الزهراء عليها السلام، التعبويّات، حرس الثورة، مكتب سيّدات «جرجان»، سيّدات من مختلف فئات وشرائح الشعب. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢٠، ص١٢ ـ ١٣.

شهر رمضان شهر نزول القرآن

نزول القرآن دعوةٌ إلهيّة وتلبيةٌ محمّديّةٌ لائقة

﴿ كيف نزل الروح الأمين بالقرآن على قلب رسول الله ﷺ؟ وما هي ليلة القدر؟ هذه قضايا تبدو في الوهلة الأولى موضوعات بسيطة وربما تناولها البعض بالبحث والتمحيص، ولكن أقول لكم إنَّ كيفيّة نزول القرآن تبقى غامضةً بالنسبة لأمثالنا.

تبقى كيفيّة نزول ملائكة الله تعالى في ليلة القدر وماهية ليلة القدر غامضةً ومبهمةً بالنسبة لأمثالنا.

ما هي هذه الدعوة التي وجّهها الله تبارك وتعالى، حيث يقول الرسول الأكرم ﷺ: «قد دعيتم إلى ضيافة الله»[1]. ما هي هذه الضيافة؟ ومن الذي قبلها؟ وما هي مقدّمات قبول هذه الدعوة وهذه الضيافة؟

لا بُدَّ لي من القول إنَّ أحداً لم يجب هذه الضيافة التي دعا إليها الله تبارك وتعالى بالنحو الذي ينبغي تلبيتها عدا الرسول الأكرم ﷺ. فالدعوة لها درجات، والتلبية لها درجات أيضاً. وإنَّ المقدّمات والرياضات التي قام بها رسول الله ﷺ انتهت باستضافته من قبل الله تبارك وتعالى بنزول القرآن.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٣٥٦، ح ٢٥.

القرآن هو النعمة التي تحقّقت لدى استضافة رسول الله ﷺ. النعمة التي كان يتمتع بها النبي الأكرم ﷺ على تلك المائدة المبسوطة منذ الأزل وحتى الأبد.

أما المقدّمات فهي الرياضات المعنويّة التي قام بها ﷺ على مدى سنوات طويلة حتى أوصلته إلى مرتبةٍ استحق بها هذه الضيافة. والمهمّ في هذا الأمر هو الإعراض عن الدنيا.

الإعراضُ عن الدنيا هو السبيل إلى الدخول في ضيافة الله ﷻ

إنَّ الذي يقود الإنسان إلى ضيافة الله ﷻ هو التخلي عمّا عدا الله، ومثل هذا غير متيّسر لكُلِّ إنسان، بل تيسّر لأناسٍ معدودين في طليعتهم رسول الله ﷺ.

إنَّ التوجّه القلبي لمبدأ النور والإعراض عما وراء الله ﷻ، هو الذي جعل من النبي الأكرم ﷺ مستحقاً لضيافة الله ﷻ ولنزول القرآن على قلبه مرّةً واحدةً وبسهولة.

وإنَّ أحد احتمالات الليلة المباركة هو بُنْيَةُ الرسول الأكرم ﷺ نفسُهُ التي هي مشكاة نور الله ﷻ. كما أنَّ ثمّة احتمالات أخرى.

المهم إدراك هذا المعنى وهو أنَّ مراتب كمالات الإنسان للولوج إلى ضيافة الله ﷻ، كثيرةٌ ويجب البدء بالمقدّمات. ومن هذه المقدّمات أن لا يكون هناك توجّهٌ لغير الله ﷻ، وعدم رؤية غير الله ﷻ، والتخلّي عن كُلِّ شيءٍ غيره جلّ وعلا.

وهنا ينبغي القول إنَّ هذا الأمر مطلوبٌ من الناس جميعاً، فإذا أرادوا

الالتحاق بضيافة الله ﷻ، يجب عليهم الإعراض عن الدنيا قدر استطاعتهم وإدارة ظهورهم لها.﴾[١].

عبور القرآن الكريم من حجب النور إلى قلب رسول الله ﷺ

﴿ إنَّ القرآن نزل بعد أن عبر حجب النور فورد في شهر رمضان المبارك على قلب رسول الله المبارك، وتنزّل من هناك حتى بلغ مرحلةً يذكر فيها بلسان.

وإنَّ كيفيّة نزول القرآن مسألةٌ مهمةٌ، كما أنَّ تلقّي القرآن من الوحي الإلهي ومن الملك الموكل بهذا الأمر موضوعٌ مهم آخر ليس بوسعنا إدراكه، ولكن ما نعرفه عن أنفسنا هو أنّنا لسنا ضيوفاً جيّدين لله ﷻ. فإذا كنا ضيوف الله ﷻ من أمثال رسول الله ﷺ وأئمة الهدى ﷺ فماذا نحن قائلون، وإنَّ استضافته لهم ﷺ لا ندركها أبداً.﴾[٢].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﵀ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك، خلال لقائه ممثل الإمام ﵀ والمشرف على الروضة الرضويّة، أئمة الجمعة والجماعات في محافظة «خراسان»، طلبة العلوم الدينية، اللجنة المشرفة على الطلبة الأجانب المقيمين في قم، مسؤولي مكتب تمثيل الإمام ﵀ في حرس الثورة وعلماء الدين. راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج١٧، ص٣٩٥ ـ ٣٩٦.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﵀ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي ﵀، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس وأعضاء مجلس الوزراء، رئيس وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي المسؤولين العسكريين والإداريين والشخصيات العلمائية، وفئات شعبيّة مختلفة. راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج١٨، ص٣٩٤ ـ ٣٩٥.

شهر رمضان شهر وصول الولي الأعظم ﷺ

﴿ من الممكن أنَّ هذا الشهر إنَّما صار مباركاً لأنَّ الولي الأعظم ـ أعني رسول الله ﷺ ـ قد وصل، وبعد وصوله نزل الملائكة والقرآن، وبقدرة الوليّ الأعظم ﷺ ينزل القرآن والملائكة.

والوليّ الأعظم يصل إلى حقيقة القرآن في هذا الشهر المبارك وفي ليلة القدر منه، وبعد وصوله يتنزّل القرآنُ بواسطة الملائكة بالمقدار الذي يخاطب به الناس، فالقرآن ليس من مستوانا ليس من مستوى البشر، والقرآن سرٌّ بين الحقّ والوليّ الأعظم الذي هو رسول الله ﷺ، وهو ينزل متتالياً حتى يصل إلى الحدّ الذي يظهر فيه بصورة حروف وكلمات مكتوبة فيؤلف كتاباً بحيث نستفيد منه نحن لكن استفادتنا غير تامّة.﴾[١].

بركات شهر رمضان المبارك

﴿ شهر رمضان شهر النبوّة... شهرٌ مباركٌ لاحتوائه على ليلة القدر... شهر رمضان ميمونٌ أيضاً لنزول الوحي فيه، وبعبارة أخرى: معنويّة رسول الله ﷺ أنزلت الوحي... وتتجلّى ليلة القدر في شهر رمضان حيث تشتمل على تمام الحقائق والمعاني... وبسطت كافّة البركات في العالم في

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة عيد الفطر السعيد، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي ﷺ، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس الوزراء وأعضاء المجلس، رئيس مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء المجلس، علماء الدين، كبار مسؤولي الدولة من مدنيين وعسكريين، السفراء والقائمين بالأعمال للدول الإسلاميّة في طهران، أسرة الشهيد چمران. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٩، ص٢٥٣ ـ ٢٥٤.

شـهـر رمـضـان بـفـضـل الـمـقـام الـسـامـي لـلـولايـة الـعـامّـة بـالأصـالـة لرسول الله ﷺ. . .

ورود جبرائيل عليه السلام إلى عالم الدنيا

إذن شهر رمضان شهرٌ خَرَقَ تمام الحجب، وهبط فيه جبرائيل الأمين عليه السلام على رسول الله ﷺ، وبعبارةٍ أخرى: أنزل النبي الكريم ﷺ جبرائيل الأمين عليه السلام إلى الدنيا. . . شهرُ رمضان هو الذي أنزل القرآن، وهو يضمّ بين دفتيه تمام المعارف والعلوم وكُلَّ ما يحتاجه البشر.»[1].

ليلة القدر ليلة مكاشفة الحقائق

«إعلم، أنَّهُ ولما كانت ليلة القدر هي ليلةُ مكاشفة رسول الله ﷺ وأئمة الهدى عليهم السلام فإنَّ جميع الأمور الملكيّة يتحقّق كشفها لهم من غيب الملكوت، وتظهر لهم ـ وفي نشأة الغيب وعالم القلب ـ الملائكةُ الموكلةُ بكُلِّ أمرٍ من الأمور، فتتضح لهم جميع الأمور التي تمّ تقديرها للخلائق وكُتبت في الألواح العالية والسافلة بطريقة الكتب الملكوتيّة و«الإستجنان» الوجودي.

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة مولد صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه، خلال لقائه ممثل الإمام قدس سره ومدير مؤسسة الشهيد، وزير الداخلية، ممثل الإمام قدس سره في مؤسسة الإسكان، عوائل شهداء لبنان، عوائل الشهداء والمفقودين والأسرى، عوائل شهداء مؤسسة المستضعفين، محافظي المدن ومساعديهم، مستشاري وزارة الداخليّة، قادة فيلق ثار الله. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢٠، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

وهذه المكاشفة الملكوتيّة محيطةٌ بجميع ذرّات عالم الطبيعة، فلا يخفى على وليّ الأمر ـ والحال هذه ـ أيّ أمرٍ من أمور الرعيّة.

وليس من تعارضٍ في انكشاف أمور سنةٍ كاملةٍ لهم في ليلةٍ واحدةٍ، أو حتى انكشاف أمور الدهر لهم في لحظةٍ واحدةٍ، أو انكشاف جميع المقدّرات الملكيّة والملكوتيّة، أو انكشاف جميع الأمور اليوميّة على مدى أيام السنة وعلى نحو الإجمال والتفصيل.﴾[١].

حقيقة ليلة القدر

﴿في بيان ليلة القدر، وفيه مباحث كثيرة ومعارف لا تحصى، وقد تطرّق العلماء الاعلام (رضوان الله عليهم) إلى هذا الموضوع بالبحث والتحليل كُلٌّ حسب مشربه ومسلكه. وسوف نشير ها هنا إلى بعض تلك المباحث، كما نشير إلى بعض ما لم يُذكر وذلك ضمن عدّة أطر: . . .﴾[٢].

﴿«ليلة القدر» هي الليلة التي يكون الحقّ تعالى فيها محتجباً بحسب جميع شؤون واحديّة جمع الأسماء والصفات، والتي تمثّل حقيقة الإسم

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل السابع، نفحةٌ من تفسير سورة القدر المباركة بما يناسب هذه الرسالة، ص٤٧٨ ـ ٤٧٩.

(٢) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل السابع، نفحةٌ من تفسير سورة القدر المباركة بما يناسب هذه الرسالة، ص٤٥٥.

الأعظم. وهذا تعيّن وبنية الولي الكامل، وهو رسول الله ﷺ في زمانه، وأئمة الهدى عليهم السلام واحداً بعد واحد من بعده. وبناء على هذا، فإنَّ فجر ليلة القدر هو الوقت الذي تظهر فيه آثار شمس الحقيقة من خلف حجب التعيّنات.»[١].

في بيان وجه تسميتها بـ «ليلة القدر»

«اختلف العلماء في وجه تسمية «ليلة القدر» بهذا الإسم، بعضهم قال: إنَّها سمّيت كذلك لأنَّها ليلة ذات منزلةٍ ومكانة، وقد أنزل فيها القرآن الكريم ذو القدر والمنزلة بواسطة ملك ذي قدر وعلى رسولٍ ذي قدر ولأمّةٍ ذات قدر.

وبعض قالوا: إنَّها سميت «ليلة القدر» لأنَّ فيها تُقدّر أمور الناس وأرزاقهم وآجالهم.

وآخرون قالوا: إنَّ سبب التسمية يعود إلى أنَّ الأرض تضيق نتيجة كثرة نزول الملائكة في تلك الليلة، فالتسمية إذن من قبيل قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾[٢].

هذه هي الأقوال الواردة في هذا المقام، وفي كُلِّ قولٍ منها تحقيقات لا يخلو العرض المجمل لها من فائدة:

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل السابع، نفحةٌ من تفسير سورة القدر المباركة بما يناسب هذه الرسالة، تنبيهٌ عرفانيٌّ، ص٤٨٠.

(٢) الطلاق: ٧.

أما القول الأوّل: إنّها ليلة ذات منزلةٍ وقدر، فاعلم أنَّ ما يقال في هذا المقام هو:

إذا كان بعض مطلق الزمان ومطلق المكان شريفاً وبعضه الآخر غير شريف، بعضه سعيداً وبعضه نحساً، فهل هذا من نفس الزمان ومن تشخّصاته الذاتيّة، أم الأزمنة والأماكن تكون ذات مزية بشكلٍ عرضيٍّ وبفعل وقوع الأحداث والأمور الشريفة أو الخسيسة فيها؟!

هذا الموضوع وإنْ لم يكن من المباحث الهامّة أو الحيويّة إلا أنّنا سنتعرض له على نحو الاختصار:

إنَّ الوجه في ترجيح الاحتمال الأوّل، هو أنَّ ظاهر الأخبار والآيات التي تقول بشرفٍ أو نحوسةٍ لبعض الزمان أو المكان، يشير إلى أنّها تعتبر ذلك صفة لتلك الأزمنة والأمكنة وليس صفة الحال المتعلق بها، ولما لم يكن من مانعٍ عقليٍّ، فالمتعيّن حملها على ظاهرها.

أما وجه ترجيح الاحتمال الثاني، فهو أنَّ حقيقة الزمان والمكان واحدةٌ، بل لعلّ شخصيتهما واحدة أيضاً، لذا لا يمكن أن يكون للشخص الواحد حكمٌ متجزئٌ مختلفٌ، وعليه فلا مناص من حمل ما ورد في النصوص بشأن الشرف والنحوسة على الوقائع والقضايا المقترنة بها.

وهذا الاستدلال ليس صحيحاً؛ لأنَّ الزمان وإنْ كان ذا شخصيّة واحدة إلا أنَّهُ متدرّجٌ وممتدٌّ وهو حقيقةٌ مقداريّةٌ، فلا مانع من تفاوت بعض أجزائه عن بعضها الآخر في الحكم والأثر، وليس من دليلٍ يمنع من أن يكون للشخص الواحد ـ كيفما كان ـ حكمان وأثران، بل لعلّ الظاهر خلاف ذلك.

فأفراد النوع الإنساني ـ مثلاً ـ رغم أنّهم جميعاً يشتركون في كونهم

شخصاً واحداً، إلا أنَّ هناك اختلافات كثيرة في صورهم الجسميّة، فالجليديّة[1] والقلب أسمى وأرقُّ من سائر الأعضاء، كما هو الحال مع القوى الباطنة والظاهرة التي يكون بعضها أسمى من بعض، وسبب ذلك هو أنَّ الإنسان لا يظهر في هذا العالم بنعت الوحدة التامّة، فهو وإنْ كان شخصاً واحداً، إلا أنَّهُ ولما كان ظاهراً بنعت الكثرة لزم أن تتفاوت أحكامه.

وأما وجه ترجيح الاحتمال الأوَّل فهو غير مستساغٍ أيضاً، ومردُّ هذا القول هو «أصالة الظهور» و«أصالة الحقيقة» مثلاً، ومن المعلوم في علم الأصول أنَّ أصالة الحقيقة وأصالة الظهور إنَّما يراد بها تعيين المراد في موارد الشك فيه، لا تثبيت الحقيقة بعد معلوميّة المراد، فتأمل!

إذن فكلا التعليلين محتملان، ولكن يبدو أنَّ الثاني أرجح من الأوّل. عليه لعلّ «ليلة القدر» أصبحت ذات قدر لأنَّها ليلة وصال النبي الخاتم ﷺ وليلة وصول العاشق الحقيقي إلى محبوبه. وقد اتضح من المباحث السابقة أنَّ تنزّل الملائكة ونزول الوحي يكون بعد حصول الفناء والقرب الحقيقي...

أما بشأن الاحتمال الآخر القائل إنَّ وجه التسمية يرجع إلى تقدير أمور أيام السنة فيها، فاعلم أنَّ حقيقة «القضاء» و«القدر» وكيفيتهما ومراتبهما، يُعَدُّ من أجلّ وأشرف العلوم الإلهيّة، وقد ورد النهي لعامّة الناس عن التعمّق فيها بسبب دقتها وكمال حساسيتها، فهي تسبب الحيرة والضلال. وعليه يجب اعتبار هذه الحقيقة من أسرار الشريعة وودائع النبوّة، كما يجب الانصراف عن البحث الدقيق فيها...

---

(١) جزءٌ من أجزاء العين البشريّة.

أما بشأن ما قيل في الاحتمال الآخر من أنَّ وجه تسمية «ليلة القدر» هو اكتظاظ الأرض بملائكة الله ﷻ في تلك الليلة، فإنَّ هذا الوجه وإنْ كان بعيداً، ومع أن أعجوبة الزمان الخليل بن أحمد (رضوان الله عليه) يقول: إنَّ الأمر الذي يمكن أن يثور كتساؤل هنا هو: «ما معنى ضيق الأرض وملائكة الله ليسوا من سنخ عالم الطبيعة والماديّة؟!». . . ولكن لتعلم أنَّ نظائر هذا الأمر قد وردت في الأحاديث الشريفة كقضية تشييع سعد بن معاذ[1]، أو كقضية فرش الملائكة أجنحتها لطالب العلم[2].

فهذا إما أن يكون من باب تمثّل الملائكة بالصور المثاليّة وتنزّلها من عالم الغيب إلى عالم المثال وتضييق ملكوت الأرض، وإما من باب تمثّلها المُلكي في مُلك الأرض، وإنْ كان هذا التمثّل لا تراه العيون الحيوانيّة الطبيعيّة أيضاً.

وبصورةٍ عامّة فإنَّ التضييق يكون باعتبار التمثّلات «المثاليّة» أو «الملكيّة».﴾[3].

ليلة القدر ضيافةٌ تنزيهيّةٌ برهانيّةٌ تعليميّةٌ

﴿الأدعية المتواترة في رجب وخصوصاً في شعبان هي مقدّمة لتهيئة الإنسان لدخول ضيافة الله ﷻ ومائدته المفروشة (القرآن الكريم) وإحياء ليلة

(١) راجع الفروع من الكافي، كتاب الجنائز، باب المساءلة في القبر، الحديث السادس.

(٢) راجع معالم الأصول: ص١٧، في فضيلة العلم من السنّة.

(٣) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل السابع، نفحةٌ من تفسير سورة القدر المباركة بما يناسب هذه الرسالة، من ص٤٥٥ إلى ص ٤٦٠.

القدر وهي ضيافة تنزيهيّة وبرهانيّة وتعليميّة تُعِدُّ النفوس منذ اليوم الأوّل للصيام والجهاد والدعاء للوصول إلى المائدة الحقيقيّة والتزوّد من كنوز ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن الكريم فكانت خيراً من ألف شهر.»[١].

ليلة القدر... هدىً وفرحة وسعادة

«ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن هدىً للناس وعمّت العالم فيها فرحةٌ وسعادةٌ عارمةٌ، وهي خيرٌ من ألف شهر. أتمنى أن ندرك منزلتها وقدرها.»[٢].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه أعضاء الرابطة الإسلاميّة لنساء «شميران». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٣، ص ٣٣.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه أعضاء الرابطة الإسلاميّة لنساء «شميران». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٣، ص ٣٥.

مراتب ومراحل نزول القرآن

طريقة نزول القرآن الكريم

◆ القرآن نزل جملةً في ليلة القدر بطريق الكشف الكلّي المطلق، كما أنّه نزل «نجوماً» على مدى ثلاثة وعشرين عاماً في «ليلة القدر».

يقول الشيخ العارف الشاه آبادي رحمه الله[1]: إنَّ الدورة المحمديّة هي «ليلة القدر». وهذا القول هو: إما باعتبار أنَّ جميع الأدوار الوجوديّة هي الدورة

(١) الميرزا محمد علي ابن محمد جواد حسين آبادي الأصفهاني الشاه آبادي رحمه الله، فقيهٌ، أصوليٌّ، عارفٌ، وفيلسوفٌ، كانت دراستُهُ في حوزات أصفهان وطهران والنجف الأشرف، ثم بدأ بالتدريس في سامراء ومن بعدها انتقل للتدريس في قم المقدّسة وطهران. حضر الإمامُ الخمينيُّ الراحل قدس سره دروسه في العرفان والأخلاق لسبع سنوات، ويقولُ قدس سره في بداية شروعه بدراسة كتاب «فصوص الحِكَم»: «بسم الله الرحمن الرحيم، قد شرعنا بقراءة هذا الكتاب الشريف لدى الشّيخ العارف الكامل أستاذنا في المعارف الإلهيّة حضرة الميرزا محمّد علي الشّاه آبادي الإصفهاني - دام ظله - في شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٠». ويقول قدس سره بعد طي بعض مطالب الكتاب: «إلى هاهنا قرأتُ الكتاب عند شيخنا العارف الكامل الشّاه آبادي روحي فداه وقد اتّفق انتقاله إلى طهران فصرت محروماً من فيضه - دام ظله - ». من آثاره ومؤلفاته: «شذرات المعارف»، «الإنسان والفطرة»، «القرآن والعترة»، «الإيمان والرجعة»، «منازل السالكين»، «الحاشية على الكفاية».

المحمديّة، أو باعتبار أنَّ الأقطاب المحمديّين الكمل والأئمة المعصومين الهداة في هذه الدورة، يكونون هم «ليالي القدر».﴾[١].

نزول القرآن في البيت المعمور

﴿ورد في الحديث الشريف مثلاً ما يشير إلى كيفيّة نزول القرآن، فتارةً أُشير إلى نزوله جملةً واحدةً في «البيت المعمور» وتارةً أشير إلى نزوله على رسول الله ﷺ على مدى ثلاثةٍ وعشرين عاماً[٢]. فالنزول في «البيت المعمور» هو نزولٌ على رسول الله ﷺ أيضاً.﴾[٣].

نسبة التنزيل إلى الله ﷻ وجبرائيل عليه السلام

﴿في قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[٤] مطالب سامية لا تخلو الإشارة إلى بعضها من فائدة.

المطلب الأوّل: حول ما ورد في هذه الآية الكريمة، وفي العديد من الآيات الشريفة التي ينسب فيها الله تعالى تنزيل القرآن إلى ذاته المقدّسة،

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل السابع، نفحةٌ من تفسير سورة القدر المباركة بما يناسب هذه الرسالة، ص٤٦١.

(٢) راجع الأصول من الكافي، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، الحديث السادس.

(٣) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل السابع، نفحةٌ من تفسير سورة القدر المباركة بما يناسب هذه الرسالة، ص٤٧٨ ـ ٤٧٩.

(٤) القدر: ١.

كقوله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[١] و﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٢] إلى غير ذلك من الآيات الكريمة. في حين ينسب تعالى أمر التنزيل في آياتٍ كريمةٍ أخرى إلى الروح الأمين جبرائيل عليه السلام كقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾[٣].

يقول علماء الظاهر حول هذا الموضوع إنَّهُ من قبيل قوله تعالى: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾[٤]، أي إنَّهُ قولٌ مجازيٌّ. فنسبة التنزيل إلى الحقّ تعالى هي من باب أنَّهُ تقدَّست أسماؤه هو سبب التنزيل وهو الآمرُ به، أو أنَّ نسبة التنزيل إلى الحقّ هي حقيقة، في حين أنَّهُ مجازيٌّ بالنسبة للروح الأمين عليه السلام على اعتبار أنَّهُ واسطةُ التنزيل.

وهذا التفسير يعتمد على اعتبار هؤلاء العلماء لنسبة فعل الحقّ إلى الخلق كنسبة فعل الخلق إلى الخلق.

فمأموريّة جبرائيل وعزرائيل من الحقّ تعالى هي كمأموريّة هامان من فرعون وكمأموريّة البنّائين والمعمارين من هامان. وهذا قياسٌ باطلٌ وقياسٌ مع الفارق.

نسبة الآثار والأفعال إلى الحقّ والخلق

إنَّ فهم نسبة الخلق إلى الحقّ وفعل الخلق والخالق من أمهات المعارف الإلهيّة، ومن المسائل الفلسفيّة التي يعتمد عليها حَلُّ كثيرٍ من المعضلات كمسألة الجبر والتفويض التي يعتبر موضوعنا هذا شعبةٌ من شعبها.

---

(١) الدخان: ٣.

(٢) الحجر: ٩.

(٣) الشعراء: ١٩٣.

(٤) غافر: ٣٦.

إعلم أنَّ من الثابت في العلوم العالية أنَّ دار التحقّق بأسرها ومراتب الوجود هي صورة الفيض المقدَّس وهو التجلّي الإشراقي للحقّ تعالى.

ولما كانت «الإضافة الإشراقيّة» هي محضُ الربط وصرف الفقر، فإنَّ تعيناتها وصورها هي محض الربط أيضاً، فلا حيثيّة ولا استقلال لها بذاتها.

وبعبارةٍ أخرى، فإنَّ تمام دار التحقق فانٍ في الحقّ ـ ذاتاً وصفةً وفعلاً ـ اذ لو كان لموجودٍ من الموجودات استقلالٌ في أحد الشؤون الذاتيّة ـ سواءٌ في الهوية الوجوديّة أو في شؤونها ـ لخرج بذلك من حدود الإمكان وتحوّل إلى الوجوب الذاتي، وهذا أمرٌ واضحُ البطلان.

فإذا ترسّخت هذه اللطيفة الإلهيّة في القلب وتذوقها الفؤاد بما يكفي، انكشف له سرٌّ من أسرار القدر، وظهرت له لطيفةٌ من حقيقة «الأمر بين الأمرين»(١).

فالآثار والأفعال الكماليّة إذن يمكن نسبها إلى الحقّ بنفس النسبة التي تنسب بها إلى الخلق دون أن يكون في الأمر مجازٌ البتة، وهذا يتحقّق في فكرة الوحدة والكثرة والجمع بين الأمرين.

نعم، إذا كان الشخص واقعاً في الكثرة المحضة محجوباً عن الوحدة، نسب الفعل إلى الخلق وغفل عن الحقّ ـ كما هو حالنا نحن المحجوبين ـ أما اذا تجلّت الوحدة في قلبه وحُجِبَ عن الخلق، نسب جميع الأفعال إلى الحقِّ تعالى.

أما العارف المحقّق فيجمع بين الوحدة والكثرة، فهو في نفس الوقت

---

(١) إشارة إلى ما ورد في الأحاديث الشريفة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمرٌ بين أمرين». راجع الأصول من الكافي، كتاب التوحيد، باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين.

الذي ينسب فيه الفعل إلى الحقّ دون شائبة مجازٍ، ينسبه إلى الخلق دون شائبة مجازٍ أيضاً، والآية الكريمة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾(١) تنفي الرمي ضمن إثباتها له، وتثبته ضمن نفيها له، وفي ذلك إشارة إلى المشرب العرفاني الأحلى والمسلك الإيماني الدقيق.

وما قلناه حول «الأفعال والآثار الكماليّة» وما قلنا به من اخراج النقائص، إنَّما هو لأنَّ النقائص ترجع إلى الأعدام، وهذا من تعينات الوجود، فهو غير منسوبٍ إلى الحقّ، اللّهم إلا على نحوٍ عرضيٍّ. ولا يتّسع المقام للتوسّع في شرح هذا المبحث.

على أيّة حال، اذا اتّضحت هذه المقدّمة، تتّضح نسبة التنزيل إلى الحقّ تعالى وإلى جبرائيل عليه السلام، ونسبة الإحياء إلى اسرافيل عليه السلام وإلى الحقّ تعالى، والإماتة إلى عزرائيل عليه السلام والملائكة الموكلة بالنفوس وإلى الحقّ تعالى.

والإشارة إلى هذا الموضوع مستفيضةٌ في القرآن الكريم، فهو أحد المعارف الخاصّة بالقرآن الكريم، لا عين له ولا أثر في آثار الحكماء والفلاسفة قبل نزول هذا الكتاب المجيد، فالأسرة البشريّة مدينةٌ ـ في هذه اللطيفة ـ لعطيّة هذه الصحيفة الإلهيّة، كما هو الحال مع سائر المعارف الإلهيّة القرآنيّة.

وجه صيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿إنَّا أنزلناه﴾

المطلب الثاني: الإشارة إلى السرّ في قوله «إنّا» و«أنزلناه» بصيغة الجمع.

---

(١) الأنفال: ١٧.

إعلم أنَّ السرَّ في ذلك هو تفخيم مقام الحقّ تعالى بمبدئيّة تنزيل هذا الكتاب الكريم. ولعلّ صيغة الجمع هذه من أجل الجمعيّة الأسمائيّة، وللإشارة إلى أنَّ الحق تعالى ـ وبجميع شؤونه الأسمائيّة والصفاتيّة ـ هو مبدأ هذا الكتاب الكريم، ولهذا كان هذا الكتاب الشريف صورةَ أحديّةِ جمع جميع الأسماء والصفات ومعرّفاً للمقام المقدّس للحقّ بكافّة الشؤون والتجلّيات.

بعبارةٍ أخرى، إنَّ هذه الصحيفة النورانيّة هي صورة «الإسم الأعظم» مثلما أنَّ الإنسان الكامل صورة الإسم الأعظم أيضاً، بل لعلّ حقيقتهما ـ في حضرة الغيب ـ واحدة وإنَّهما مفترقان عن بعضهما في عالم التفرقة بحسب الظاهر لكنَّهما ـ بحسب المعنى ـ لا يفترقان. وهذا هو أحد معاني «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[1]. تماماً كما أنَّ الحقّ تعالى قد خمّر طينة آدم الأوّل والإنسان الكامل بيدي الجمال والجلال، وكما أنزل الكتاب الكامل والقرآن الجامع بيدي الجمال والجلال أيضاً. ولعلّ هذه هي العلّة في تسمية هذا الكتاب بـ «القرآن»، فمقام الأحديّة هو الجمع بين الوحدة والكثرة، لذا كان هذا الكتاب غير قابل للنسخ والانقطاع فالاسم الأعظم ومظاهره أزليّة وأبديّة، وإنَّ جميع الشرائع إنَّما دعت لهذه الشريعة والولاية المحمديّة.﴾[2].

---

(١) اشارة إلى حديث الثقلين المتواتر، راجع الأصول من الكافي، كتاب الحجة، باب مافرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة ﷺ، الحديث السادس. وكذلك ورد الحديث في كتب وصحاح ومسانيد أهل العامّة بطرقٍ وألفاظٍ مختلفة وعديدة تفيد عين المعنى من أن التمسك بالثقلين العظيمين أمانٌ للناس من الضلالة أبداً وإلى يوم الورود، سقانا الله فيه من كأس النبي الأكرم ﷺ على حوض الكوثر بيد الولي الأعظم ﷺ ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٢) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني=

سرّ «هاء» الغائب في «أنزلناه»

﴿ اتّضح مما مَرَّ معنا، أنّ للقرآن ـ قبل التنزيل إلى هذه النشأة ـ مقامات وكينونات منها: كينونته العلميّة في الحضرة الغيبيّة بالتكلّم الذاتي والمقارعة الذاتيّة عن طريق أحديّة الجمع.

ولعلّ ضمير الغائب يشير إلى هذا المقام، ولإفادة هذا المعنى ذكر تعالى التنزيل مقترناً بضمير الغائب، فكأنَّهُ يقول: إنَّ هذا القرآن المنزل في ليلة القدر هو نفس القرآن العلميّ الموجود في السرِّ المكنون والغيبيّ في النشأة العلميّة، حيث أنزلناه من تلك المراتب التي كان فيها متّحداً مع الذات في مقامٍ واحدٍ والتي كان فيها من التجلّيات الأسمائيّة، وهذه الحقيقة هي ظاهر ذلك السرِّ الإلهي، وهذا الكتاب الذي ظهر في كسوة الألفاظ والعبارات، هو في مرتبة الذات على شكل تجلياتٍ ذاتيّة، وفي مرتبة الفعل عين التجلّي الفعلي، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّما كلامُهُ فعلُهُ»[1]. ﴾[2].

=الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل السابع، نفحةٌ من تفسير سورة القدر المباركة بما يناسب هذه الرسالة، ص٤٤٩ ـ ٤٥٠ ـ ٤٥١ ـ ٤٥٢.

(١) عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة أنَّهُ قال: «إنّما كلامه سبحانه فعلٌ منه أنشأه». راجع: نهج البلاغة، ج٢، ص٣٨١، خ١٨٤، في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة.

(٢) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل السابع، نفحةٌ من تفسير سورة القدر المباركة بما يناسب هذه الرسالة، ص٤٥٤ ـ ٤٥٥.

مراتب نزول القرآن وبطونه

﴿ للقرآن مراتب، سبعة بطونٍ أو سبعون بطناً[١]، تَنَزَّل عبر هذه البطون حتى وصل إلى درجة مخاطبتنا نحن، وأن يُعَرِّفَ «الله» نَفْسَهُ بالإبل: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[٢]، وهذا من بواعث الأسف، أنْ يَتَنَزَّلَ إلى الموجودات، إلى الشمس، والسماء، والأرض، وإلى نفس الإنسان.﴾[٣].

نزول القرآن إلى مرتبة الألفاظ

﴿ الله تبارك وتعالى وبناءً على سعة رحمته بعباده قد نَزَّلَ هذا الكتاب الشريف من مقام قربه وقدسه ـ بما يناسب العوالم المختلفة ـ حتى وصل إلى سجن الطبيعة في العالم الظلماني هذا، واكتسى بقوالب الألفاظ وأُطُرِ الحروف، سعياً في تخليص المسجونين في سجن الدنيا المظلم هذا، وتحرير المُكَبَّلين بسلاسل الآمال والأماني من أغلالهم، ورفعهم من حضيض النقص والضعف والحيوانية إلى ذروة الكمال والقوّة الإنسانيّة،

---

(١) رُويَ عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «إنَّ للقرآن ظهراً وبطناً، وَلِبَطْنِهِ بَطْنٌ إلى سَبْعَةِ أَبْطُنٍ». راجع: عوالي اللئالي: ج٤، ص١٠٧، الحديث (١٥٩). وقيلَ في حاشية العوالي: «الظهرُ هنا مشتقٌ من الظهور والبطن من البطون. والمُرادُ بهما أنَّ له ظاهراً وباطناً، والظاهرُ هو ما دَلَّ عليه اللفظُ بالمطابقةِ، والباطنُ ما دَلَّ عليه اللفظُ بالالتزامِ، ولما كانت اللوازمُ مُتعَدّدَةً تَعَدّدَ الباطنُ بتعدّدها كما قال «إلى سبعة أبطن»، وذلك يظهر ويخفى بالنسبة إلى قوة الفهم وضعفه. وهذا بالنسبة إلى جملة القرآن، أعمّ من أنْ يكونَ بالنسبة إلى كُلِّ آيةٍ أو بعضها كالقراءات السبعة.

(٢) الغاشية: ١٧.

(٣) تفسير سورة الحمد، للإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، الفصل الثالث، الدرس الثالث من الدروس التفسيريّة المعرفيّة، ص٢٤٨.

ومن مجاورة الشيطان إلى مرافقة الملكوتيين، بل للوصول بهم إلى مقام القرب وتحقيق مرتبة «لقاء الله» التي تمثّل أعظم المقاصد والمطالب عند أهل الله.(١).

القرآنُ أُنزل من مراتبه العليا إلى درجةٍ نستطيع فيها فَهْمَهُ

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾(٢). فالقرآنُ قد نَزَلَ وَتَنَزَّلَ أيضاً بِيَدِ الروح الأمين، لكنَّ رسول الله ﷺ في مقام التنزل وذاك النزول كان بحيث يتلقّى مِنْهُ مُباشرةً ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾(٣). ففي ليلة القدر نَزَلَ جميعاً، يعني أَنَّهُ تجلّى بنفس ذاك التجلّي في ليلة القدر، ولكن في مقامِ التَنَزُّل فالأعلى الروح الأمين.

يعني أنَّ ما كان يَرِدُ على قلبه يجب أنْ يَتَنَزَّل على مراتب، من هذا البطن إلى ذاك، ومن هذا الحدّ إلى ذاك، حتى يصل إلى الحدّ الذي يظهر على صورة ألفاظ.

القُرآنُ ليس ألفاظاً، ليس من مَقُولَةِ السمع والبصر، ولا مِنْ مَقُولَةِ الألفاظ، ولا الأعراض، وَلَكِنْ أُنْزِلَ إلى الدرجة التي نستطيع نَحْنُ الصُّمُّ العُمي أنْ نَنْتَفِعَ به أيضاً.(٤).

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الثاني، بيان مقاصد ومطالب ومحتويات الكتاب الإلهي الكريم على نحو الإجمال، ص٢٧٣.

(٢) الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٣) القدر: ١.

(٤) تفسير سورة الحمد، للإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، الفصل الثالث، الدرس الثالث من الدروس التفسيريّة المعرفيّة، ص٢٥٢.

نزول القرآن على قلب رسول الله ﷺ

﴿ القرآنُ الذي نزل على قلب رسول الله ﷺ دفعةً واحدةً جميعُهُ ما هو؟! فلو كان هو هذا القرآن ذي الثلاثين جزءاً فَنُزُولُهُ دفعةً واحدةً على قلبٍ عاديٍّ أمرٌ محالٌ. لكنَّ القلبَ بابٌ آخر، والقرآنُ حقيقةٌ وهي تَرِدُ إلى القلب.

القرآنُ سرٌّ، وسرُّ السرِّ، وسرٌّ مُسْتَسِرٌ بِسِرٍّ، وسرٌّ مُقَنَّعٌ بِسِرٍّ[(١)]، ويجب أنْ يَتَنَزَّلَ وينزل إلى الأسفل، وَيَتَنَزَّلَ حتى يصل إلى هذه المراتب النازلة، وحتى وُرُودُهُ على قلب رسول الله ﷺ كان تَنَزُّلاً، تَنَزَّلَ حتى دخل القلب، ومن هُناك يجب أنْ يَتَنَزَّل أيضاً إلى أنْ يصل إلى حيث يفهمه الآخرون أيضاً. ﴾[(٢)].

نزول القرآن والحقائق في حدّ فهم البشر واستيعابهم

﴿ لو لم يكن أمر الله ﷻ وضرورة طاعة أمر الله ﷻ، فلا بُدَّ من القول إنَّ الإنسان الذي حظّه من المعرفة ضعيف، لا يجرؤ على الوقوف أمام الله ﷻ وعبادته. ولكنَّهُ تعالى هو الذي سمح بذلك.

وهكذا فإنَّهُ يتدنّى بجميع المعارف ليصل بها إلى هذا المستوى كي يتسنّى إدراكها. فقد أنزل القرآن من حجابٍ إلى حجاب وتدنّى بالطبقات وأنزل

---

(١) إشارةٌ إلى ما رُوي عن صادق أهل البيت ﷺ: «إنَّ أَمْرَنا سِرٌّ في سِرٍّ وسِرٌّ مُسْتَسِرٌّ وَسِرٌّ لا يُفيدُ إلا سرّ وَسِرٌّ على سِرٍّ وَسِرٌّ مُقَنَّعٌ بِسِرٍّ». راجع: بصائر الدرجات، ص٤٨، بابٌ نادرٌ في أنَّ أمرهم صعبٌ مُستصعَبٌ. بحار الأنوار، ج٢، ص٧١، الباب (١٣) في النهي عن كتمان العلم والخيانة وجواز الكتمان عن غير أهله، الحديث (٣١).

(٢) تفسير سورة الحمد، للإمام الخميني ﵀، مصدر سابق، الفصل الثالث، الدرس الرابع من الدروس التفسيريّة المعرفيّة، ص٢٨٠ ـ ٢٨١.

الحجب حتى أوصلها إلى ألفاظٍ تتلائم مع فهم الإنسان. حتى هذه الألفاظ تستعصي على فهم الإنسان. فمنذ البداية حيث يبدأ القرآن بفاتحة الكتاب، ومنذ اللحظة الأولى حيث يختصّ الحمد به تعالى، يدرك الإنسان بأنَّهُ عاجزٌ عن الفهم، إذ إنَّ كُلَّ المحامد له. فلا أحد يليق به الحمد ولا أحد يُحْمَدُ غيرُهُ.﴾[١].

نزول القرآن في منازل مختلفة

﴿القرآن الكريم نزل على شكل منازل مختلفة قد تصل إلى سبعين أو أكثر، ثم صار بأيدينا بشكله المخطوط.﴾[٢].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة عيد الفطر السعيد، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي ﷺ، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس الوزراء وأعضاء المجلس، رئيس مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء المجلس، علماء الدين، كبار مسؤولي الدولة من مدنيين وعسكريين، وفئات شعبيّة مختلفة. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٧، ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة عيد الغدير الأغر، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي ﷺ، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس الوزراء وأعضاء المجلس، رئيس مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء المجلس، علماء الدين، كبار مسؤولي الدولة من مدنيين وعسكريين. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٢٠، ص٩٦.



الفصل الثاني

تلاوة القرآن



أهميّة قراءة القرآن

تلاوة القرآن... وصية الرسول الأكرم ﷺ

من وصايا الرسول الأكرم ﷺ الأمر بتلاوة القرآن «وَعَلَيْكَ بِتَلاَوَةِ القُرْآنِ عَلَى كُلِّ حَال»[1]، وإنَّ عقلنا القاصر لا يستوعب فضيلة تلاوة القرآن وحمله وَتَعَلُّمِهِ والتمسّك به وملازمته والتدبُّر في معانيه وأسراره. وما نقل عن أهل بيت العصمة عليهم السلام في ذلك أكثر من طاقة هذا الكتاب على استيعابه. ونحن نقتصر على ذكر بعضها:

الكافي، بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قالَ: «القُرْآنُ عَهْدُ الله إِلَى خَلْقِهِ فَقَدْ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ المُسْلِمِ أَنْ يَنْظُرَ فِي عَهْدِهِ وَأَنْ يَقْرَأَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسِينَ آيَةً»[2].

---

(١) من وصية الرسول الأكرم ﷺ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. راجع: الكافي، ج٨، ح٣٣، ص٧٩.

(٢) أصول الكافي، ج٢، كتاب فضل القرآن، باب في قراءته، ح١، ص٦٠٩. والعهد: حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ أي أوفوا بحفظ الأيمان. وعهد فلان إلى فلان بعهدٍ أي ألقى إليه العهد وأوصاه بحفظه. قاله الراغب.

وبإسناده عن الزُّهريِّ قالَ: سَمِعْتُ عَلَيَّ بنَ الحسينِ عليه السلام يقولُ: «آياتُ القُرْآنِ خَزَائِنُ فَكُلَّمَا فتحت خزينة يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْظُرَ فِيهَا»[١].

التفكّر والتدبّر في القرآن

والمستفاد من هذين الحديثين أنَّهُ حريٌّ بِقُرَّاءِ القرآن التدبّر في آياته والتفكّر في معانيه، وأنَّ التمعّن والتأمل في الآيات الكريمة الإلهيّة، واستيعاب المعارف والحِكَم والتوحيد من القرآن العظيم، لا يكون من التفسير بالرأي المنهي عنه الذي يلتجئ إليه أصحاب الرأي والأهواء الفاسدة، الذين لا يتمسكون برأي أهل بيت الوحي، المُخَاطَبِين بالكلام الإلهي، كما ثبت ذلك في محلّه، ولا داعي للولوج في هذا الموضوع والإسهاب فيه. ويكفينا قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٢].

ووردت أحاديث كثيرة تأمرنا بالرجوع إلى القرآن والتعمّق في آياته. فقد نُقِلَ عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ قال: «أَلاَ لاَ خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فيها تدَبُّرٌ»[٣]. ✂[٤].

ما المراد من التفكّر؟

✂ والمراد من التفكّر: البحث عن المقصد والمقصود في الآيات

(١) أصول الكافي، ج٢، كتاب فضل القرآن، باب في قراءته، ح٢، ص٦٠٩.

(٢) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٢٢٤.

(٣) أصول الكافي، ج١، كتاب فضل العلم، باب صفة العلماء، ح٣، ص٣٦.

(٤) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ص٥٢٠ ـ ٥٢١، الحديث التاسع والعشرون «في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام بخصال»، فصلٌ في فضل تلاوة القرآن.

الكريمة، وحيث إنَّ مقصد القرآن ـ كما تصرِّح الصحيفة الإلهيّة ذاتها به ـ هو الهداية إلى سُبُل السلام والخروج من كافّة مراتب الظلمات إلى عالم النور وهداية الطريق المستقيم، فعلى الإنسان أن يعرف من خلال التفكّر في الآيات الكريمة مراتب السلام بدءاً من مرتبته الدنيا المرتبطة بالقوى الملكيّة وانتهاءً إلى منتهى نهايته المتمثلة في حقيقة القلب السليم وفق التفسير الوارد عن أهل البيت عليهم السلام وهو ملاقاة الحقّ وليس في القلب غيره[1]. . .

وقد أكثر القرآن المجيد من الدعوة إلى التفكّر ومدحِه والحثِّ عليه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

ففي هذه الآية الكريمة مدحٌ عظيمٌ للتفكّر، حيث إنّها جعلت من «احتمال التفكّر» الغاية من إنزال هذا الكتاب السماوي العظيم والصحيفة النورانيّة العظمى، وهذا دليلٌ على شدّة الاهتمام بالتفكر؛ ذلك لأنَّ الآية عدّت مجرد احتماله موجباً لمثل هذه الكرامة العظيمة.

ويقول تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]. وهناك كثيرٌ من الآيات التي تعضد هذا المعنى أو تقترب منه، أضف إلى ذلك الكثير مما ورد من الأحاديث حول موضوع التفكّر.

رُوي أنَّ الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله عندما نزلت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ

---

(١) عن سفيان ابن عيينة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن قوله الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، قال: القلب السليم الذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه، قال: وكُلُّ قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط وإنّما أرادوا الزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة. راجع: أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الإخلاص، ح٥، ص١٦.

(٢) النحل: ٤٤.

(٣) الأعراف: ١٧٦.

ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾... الآية[١] قال ﷺ: «ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكّر فيها»[٢].

على أيّة حال، فإنَّ مما لاشكَّ فيه أنَّ التفكّر ممدوحٌ في القرآن والسُنّة، غير أنَّ المهم هنا هو أن يعرف الإنسان نوع التفكّر الممدوح، وأفضل ما ورد في توضيح ذلك هو قول الخواجه عبد الله الأنصاري قدس سره[٣] إذ يقول: «إعلم أنَّ التفكّر تلمّسُ البصيرة لاستدراك البغية»[٤]. أي إنَّهُ بحث البصيرة ـ وهي عين القلب ـ سعياً في الوصول إلى المقصود والنتيجة ـ وهي غاية كماله ـ ومعلوم أنَّ المقصد والمقصود هو السعادة المطلقة التي تُستحصل بالكمال العلميّ والعمليّ.

كما يجب أن تكون سلامة القوى الملكيّة والملكوتيّة هي ضالّة القارئ للقرآن، والتي يجب أن يبحث عنها في هذا الكتاب السماوي للعثور عليها «بالتفكّر».[٥]

درجات قرّاء القرآن

بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ

---

(١) آل عمران: ١٩٠.

(٢) مثله في نور الثقلين: ج١، ص٣٥٠ بتفاوت يسير.

(٣) الخواجة عبد الله الأنصاري الهروي، دفين گازرگاه في هرات، أحد العرفاء المشهورين، صاحب كتاب: «منازل السائرين» في التصوف والعرفان.

(٤) منازل السائرين: قسم البدايات ـ باب التفكر.

(٥) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الخامس، التطبيق، ص٢٩٧ ـ ٢٩٨.

آياتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَرَأَ خَمْسِينَ آيَةً كُتِبَ مِنَ الذَّاكِرِينَ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَرَأَ مِائتي آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الخَاشِعِينَ، وَمَنْ قَرَأَ ثَلاثَمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الفَائِزِينَ، وَمَنْ قَرَأَ خَمْسَمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ المُجْتَهِدِينَ، وَمَنْ قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ كُتِبَ لَهُ قِنْطَارٌ مِنْ بِرٍّ، القِنْطَارُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ مِثْقَالٍ مِنْ ذَهبٍ، وَالمِثْقَالُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ قِيراطاً أَصْغَرُهَا مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ وَأَكْبَرُهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»[١].

ثواب قراءة القرآن

وجاء في الأحاديث الكثيرة أنَّ قراءة القرآن تتمثل في صورةٍ بهيّةٍ جميلةٍ تشفع لأهله وقرّائه. وقد أعرضنا عن ذكرها.

وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ وَهُوَ شَابٌّ مُؤْمِنٌ اخْتَلَطَ القُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ وَجَعَلَهُ اللهُ عزّ وجلّ مَعَ السَّفَرَةَ الكِرَامِ البَرَرَةِ وَكَانَ القُرْآنُ حَجِيزاً عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ يَقُولُ يَا رَبِّ إِنَّ كُلَّ عَامِلٍ قَدْ أَصَابَ أَجْرُ عَمَلِهِ غَيْرَ عَامِلِي فَبَلِّغ بِهِ أَكْرَمَ عَطَايَاكَ قَالَ فَيَكْسُوهُ اللهُ العَزِيزُ الجَبَّارُ حُلَّتَيْنِ مِنْ حُلَلِ الجَنَّةِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ هَلْ أَرْضَيْنَاكَ فِيهِ؟ فَيَقُولُ القُرْآنُ يَا رَبِّ قَدْ كُنْتُ أَرْغَبُ لَهُ فِيمَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هذَا فَيُعْطِى الأَمْنَ بِيَمِينِهِ وَالخُلْدَ بِيَسَارِهِ ثُمَّ يَدْخُلُ الجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ إِقْرَأْ وَاصْعَدْ دَرَجَةً ثُمَّ يُقَالُ لَهُ هَلْ بَلَغْنَا بِهِ وَأَرْضَيْنَاكَ فَيَقُولُ نَعَمْ.»**[٢]. وفي نفس الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: **«وَمَنْ قَرَأَهُ كَثِيراً وَتَعَاهَدَهُ بِمَشَقَّةٍ مِنْ شِدَّةِ حِفْظِه أَعْطَاهُ اللهُ عزّ وجلّ أَجْرَ هذَا مَرَّتَيْنِ»**[٣].

---

(١) أصول الكافي، ج٢، كتاب فضل القرآن، باب ثواب قراءة القرآن، ح٥، ص٦١٢.
(٢) أصول الكافي، ج٢، كتاب فضل القرآن، باب فضل حامل القرآن، ح٤، ص٦٠٣.
(٣) أصول الكافي، ج٢، كتاب فضل القرآن، باب فضل حامل القرآن، ح٤، ص٦٠٣.

استقرار صورة القرآن في القلب

ويتبين من هذا الحديث الشريف أنَّ المطلوب من تلاوة القرآن الكريم هو تأثيره في أعماق قلب الإنسان، وصيرورة باطنه صورة كلام الله المجيد، وتحويل ما هو ملكة القلب من القرآن الكريم إلى التحقّق والفعليّة وذلك حسب ما ورد في الحديث المذكور «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ شَابٌّ مُؤْمِنٌ اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ» حيث يكون كناية عن استقرار صورة القرآن في فؤاده، بدرجة يتحوّل باطن الإنسان حسب استعداده وأهليته، إلى كلام الله المجيد والقرآن الكريم.

وفي حَمَلَةِ القرآن من تَحَوَّلَ تمامُ باطنه إلى حقيقة الكلام الجامع الإلهي، والقرآن الجامع والفرقان القاطع، وذلك مثل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والمعصومين من أولاده الطاهرين عليهم السلام، حيث يكون وجودهم آيات طيبات وآيات الله العظمى، والقرآن التامّ والتمام. بل إنَّ هذا هو المطلوب من جميع العبادات وأنَّهُ من الأسرار الهامة للعبادات، وأنَّ تكرار الصلاة من أجل تحقيق هذه الحقائق العباديّة، وتحويل ذات الإنسان وقلبه إلى صورة العبادة.»[1].

تحقّق باطن ذات القارئ للقرآن من خلال ذكر الله عزّ وجلّ

«إنَّ من يُعَوِّدُ نفسه قراءة الآيات والأسماء الإلهيّة من كتاب التكوين والتدوين الإلهي، لا بُدَّ أن يتّخذ قلبه تدريجيّاً صورةَ الذكر والآية التي تكرّرت عليه، ولا بُدَّ أن يتحقّق باطن ذاته بذكر الله واسمه وآيته تعالى. لذا

(١) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ص٥٢١ ـ ٥٢٢، الحديث التاسع والعشرون «في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام بخصال»، فصلٌ في فضل تلاوة القرآن.

ورد تفسير «الذكر» بالرسول الأكرم وعلي بن أبي طالب ـ صلوات اللّه عليهما وآلهما ـ و«الأسماء الحسنى» و«آية الله» بأئمة الهدى العظام ﷺ، فهم الآيات الإلهيّة والأسماء الحسنى وذكر الله الأكبر(١).

ومقام «الذكر» من المقامات الشامخة العظمى التي لا يسعها البيان ولا يمكن للكلمات والعبارات الإحاطة بها. ولكن يكفي أهل المعرفة والجذبة الإلهيّة وأصحاب المحبّة والعشق ما نورده من الآيات والروايات أدناه:

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾(٢).

وقال تعالى مخاطباً موسى ﷺ: «أنا جليس من ذكرني»(٣).

---

(١) يقول الإمام الخميني ﵀ في تفسير سورة الحمد، الفصل الثالث، الدرس الثاني من الدروس التفسيريّة المعرفيّة، ص٢٣١: الإسمُ هو العلامة، وغايةُ الأمر أنَّ له مراتب. فهناك اسمٌ يُجَسّدُ تمامَ معنى العلامة، وهناك اسمٌ دونه حتى يصل إلى مرتبة سائر الموجودات. فجميعها علامات وجميعها ظهور للاسم على مراتب. وَرَدَ في الحديث الشريف: «نحنُ الأسماءُ الحُسنى». فالإسمُ الأعلى في مقام الظهور هو النبي الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ، أولئك الذين وصلوا في مرتبة السير ـ في مرتبة الحركة من النقص ـ إلى حيث تحررهم من جميع الطبيعيّات، من كُلِّ شيءٍ، أولئك ليسوا أمثالنا حيث نحن في هذه البئر العميقة. ويقول ﵀ ص٢٨٣: أولئك الذين يَسْمُونَ عُلُواً بقدم المعرفة حتى يصلوا إلى حيث تتجلّى الذاتُ بتمام التجلّيات، وبالطبع ليس الذات بل على نحو التجلّي في قلوبهم، وقلوبُهُم ليست من هذه القلوب، بل القلب الذي يدخله القرآن، القلبُ الذي فيه مبدأ الوحي، القلبُ الذي يتّخذُهُ جبرائيلُ مَنْزِلاً، في هذا القلب تتجلّى الذاتُ بذاك التجلّي الجامع لكافة التجلّيات، وهو نَفْسُهُ «الاسمُ الأعظم» والمتجلّي بتجلّي «الاسم الأعظم»، و«الاسمُ الأعظم» هو نَفْسُهُ «نحنُ الأسماء الحسنى». الإسمُ الأعظم هو نَفْسُ رسول الله ﷺ، وهو أعظمُ الأسماء في مقام التجلّي.

(٢) البقرة: ١٥٢.

(٣) الأصول من الكافي: كتاب الدعاء، باب ما يجب من ذكر الله، الحديث الرابع عن أبي جعفر ﷺ قال: «مكتوبٌ في التوراة التي لم تغيّر أنَّ موسى ﷺ سأل ربّه فقال: يا ربِّ أقريبٌ أنت مني فأناجيك أم بعيدٌ فأناديك؟ فأوحى الله ﷻ إليه: يا موسى أنا جليس من ذكرني».

وروي عن رسول الله ﷺ قوله: «من أكثر ذكر الله أحبّه الله»[١].[٢]

الإيصاء بقراءة القرآن

نحن عندما نقرأ في القرآن الآية الأولى من سورة العلق، والتي تعتبر حسب الظاهر أوّل ما نزل على رسول الله ﷺ، نجد أنّها توصي بأمرين: أولهما: القراءة، يعني العلم والمعرفة. وثانيهما: تحديد الجهة التي يجب لهذه القراءة وهذا العلم أن يكونا في خدمتها. فعندما يقول الباري ﷻ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ...﴾[٣] فالمقصود ليس مطلق القراءة أو مطلق العلم والمعرفة، وإلا هناك من العلم ما هو ضدّ الإنسانيّة ومخالفٌ لمصلحة الإنسان وكرامته، إنّما المقصود ذلك العلم النافع الذي يكون في جهة خير البشريّة وسعادتها، ويكون باسم الربّ وذا وجهة إلهيّة، وغير غافلٍ عن اسم الله، ليكون هذا العلم وتلك القراءة وكُلُّ ما يتمخض عنهما لخدمة الإنسان وصلاحه.[٤]

تأثير القراءة بدون معرفة

بني! تَعَرَّف على القرآن هذا الكتاب المعرفي العظيم، وإن كان ذلك

(١) الأصول من الكافي: كتاب الدعاء، باب ما يجب من ذكر الله، الحديث الثالث.

(٢) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل الأوّل، آداب القراءة في الصلاة، ص٣١٥.

(٣) العلق: ١.

(٤) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه مسؤولي حملة محو الأميّة في كافّة أنحاء البلاد والمشاركين في ندوة محو الأميّة. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٣، ص٣٥٣.

بقراءته، وافتح منه طريقاً إلى المحبوب ولا تتصوّر أنَّ القراءة لا أثر لها دون المعرفة، فهذا من وسوسة الشيطان. فهذا الكتاب من جانب المحبوب لك ولكُلِّ إنسان، ورسالةُ المحبوب محبوبةٌ حتى وإن لم يعرف العاشق والمحبّ مفادها، وبهذا الدافع ياتيك حبّ المحبوب الذي هو كمال المطلوب وربما يأخذ بيدك. ونحن لا نستطيع أن نوفي حقّ شكر كون القرآن كتابنا وإن سجدنا طيلة عمرنا.»[1].



(١) من رسالةٍ فيها مواعظ أخلاقيّة وعرفانيّة كان الإمام الراحل ﷺ قد كتبها مخاطباً فيها نجله السيّد أحمد رحمه الله. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٦، ص١٦١.

آداب قراءة القرآن الكريم

مراعاة آداب القراءة وارتسام صورة القرآن في القلب

❊ إنَّ المبتغى من خلال تلاوة القرآن هو ارتسام صورة القرآن في القلب، وتأثير الأوامر والنواهي فيه، وتثبيت الأحكام والتعاليم الإلهيّة. ولا يتحقّق هذا إلا في ظل مراعاة آداب القراءة. وليس الهدف من الآداب ما هو المعروف لدى بعض القُرّاء من الاهتمام البالغ بمخارج الألفاظ، وأداء الحروف، هذا الاهتمام الباعث مضافاً إلى الغفلة عن المعاني والتدبر فيها، إبطال التجويد بعض الأحيان، فإنَّ كثيراً من الكلمات القرآنيّة نتيجة مثل هذا التجويد، تفقد صورتها الخلاّبة الأصيلة، وتتحول إلى صورة أخرى، ذات صورة ومادة تختلف عمّا أرادها الله تعالى. إنَّ هذا يُعتبر من مكائد الشيطان حيث يلتهي الإنسان المؤمن إلى آخر عمره بألفاظ القرآن، وينسى نهائياً استيعاب سرِّ نزول القرآن، وحقيقة الأوامر والنواهي، والدعوة إلى المعارف الحقّة، والخلق الفاضل الحسن، بل ينكشف لديه بعد مضي خمسين عاماً أنه من جرّاء تغليظ بعض الحروف، والتشديد فيها، قد أخرج صورة بعض الكلمات كلياً عن حالتها الطبيعيّة وأصبحت ذات صورة غريبة.

بل الهدف المنشود من وراء آداب قراءة القرآن، تلك الآداب التي وردت

في الشريعة المقدَّسة والتي يعدّ من أفضلها وأعظمها التفكّر والتدبّر في آيات القرآن كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك.»[١].

قراءة القرآن وإصلاح النفس

« كان شيخنا العارف الجليل[٢] يقول: إنَّ المثابرة على تلاوة آخر آيات سورة الحشر المباركة، من الآية الشريفة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[٣]، إلى آخر السورة المباركة، مع تدبّر معانيها، في تعقيبات الصلوات، وخصوصاً في أواخر الليل حيث يكون القلبُ فارغ البال، مؤثّرة جداً في إصلاح النفس، وفي الوقاية من شرّ النفس والشيطان.»[٤].

حالات المتقين عند قراءة القرآن

« وفي المجالس بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام في كلامٍ طويلٍ في وَصْفِ المتَّقِينَ: «**وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ فَاقْشَعَرَّتْ مِنْهَا جُلُودُهُمْ وَوَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ فَظَنُّوا أَنَّ صَهِيلَ جَهَنَّمَ**

---

(١) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ص٥٢٥، الحديث التاسع والعشرون «في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام بخصال»، في آداب تلاوة القرآن.

(٢) إشارة إلى الشيخ الجليل العارف الكامل أستاذ الإمام الراحل قدس سره الشاه آبادي قدس سره، وقد تقدَّمت ترجمتُهُ، فراجع.

(٣) الحشر: ١٨.

(٤) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ص٢٣٨، الحديث الثاني عشر «التفكّر»، في بيان تقوى العامّة.

وَزَفِيرَهَا وَشَهِيقَهَا فِي أصولِ آذَانِهِمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَتْ أَنْفُسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ»[1].

ومن الواضح أنَّ من يتمعّن ويتدبر في معاني القرآن الكريم، يتأثر قلبه، ويبلغ مقام المتقين شيئاً فشيئاً. وإن حَظِي بتوفيقٍ وسدادٍ من الله، لتجاوز هذا المقام أيضاً ولتحوّل كُلُّ عضوٍ وجارحةٍ وقوّة منه إلى آية من الآيات الإلهيّة، ولعلّ جَذَوَاتَ خطاب الله وجذباته، ترفعه وتبلغ به إلى مستوى إدراك حقيقة **«إقرَأْ واصْعَدْ»**[2]، في هذا العالم وانتهى إلى مرحلة سماع الكلام من المتكلم من دون واسطة، وتحوّل إلى موجود لا يسع الإنسان فهمه واستيعابه.»[3].

الإخلاص في القراءة

«ومن الآداب اللازمة في قراءة القرآن، والتي لها دور أساسي في التأثير في القلب والتي لا يكون من دونها لأي عملٍ أهمية وشأن، بل يعتبر ضائعاً وباطلاً وباعثاً على السخط الإلهي. وهو الإخلاص، فإنَّهُ ركنٌ أصيلٌ للانطلاقِ إلى المقامات الأُخرويّة، ورأسُ مال في التجارة الأخرويّة.

---

(١) راجع: نهج البلاغة، ج٢، خ١٩١، ص٤١٣، من خطبةٍ له عليه السلام في وصف المتقين. أيضاً: تحف العقول، كلامه عليه السلام في وصف المتقين، ص١٥٩. وسائل الشيعة، ج٦، باب استحباب التفكّر في معاني القرآن وأمثاله...، ح٦، ص١٧٢.

(٢) أصول الكافي، ج٢، كتاب فضل القرآن، باب فضل حامل القرآن، ح٤، ص٦٠٤.

(٣) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ص٥٢٤، الحديث التاسع والعشرون «في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام بخصال»، فصلٌ في فضل تلاوة القرآن.

أقسام قرّاء القرآن الكريم

وقد ورد في هذا الباب أيضاً أخبار كثيرة من أهل بيت العصمة عليهم السلام:

منها ما حدثنا الشيخ الكليني(رضوان الله تعالى عليه): بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**قُرّاءُ القُرْآنِ ثَلاثَةٌ: رَجُلٌ قَرَأَ القرآنَ فَاتَّخَذَهُ بِضَاعَةً وَاسْتَدَرَّ بِهِ المُلُوكَ وَاسْتَطَالَ بِهِ عَلَى النَّاسِ. وَرَجُلٌ قَرَأَ القُرْآنَ فَحَفِظَ حُرُوفَهُ وَضَيَّعَ حُدُودَهُ وَأَقَامَهُ إِقَامَةَ القَدَحِ، فَلاَ كَثَّر الله هؤُلاَءِ مِنْ حَمَلَةِ القُرْآنِ. وَرَجُلٌ قَرَأَ القُرْآنَ فَوَضَعَ دَوَاءَ القُرْآنِ عَلَى دَاءِ قَلْبِهِ فَأَسْهَرَ بِهِ لَيْلَهُ وَأَظْمَأَ بِهِ نَهَارَهُ وَقَامَ بِهِ فِي مَسَاجِدِهِ وَتَجَافَى بِهِ عَنْ فِرَاشِهِ، فَبِأُولئِكَ يَدْفَعُ الله العَزِيزُ الجَبّارُ البَلاَءَ، وَبِأُولئِكَ يُدِيلُ الله مِنَ الأَعْدَاءِ، وَبِأُولئِكَ يُنْزِلُ الله الغَيْثَ مِنَ السَّمَاءِ، فَوَالله لَهؤُلاَءِ فِي قُرّاء القُرْآنِ أَعَزُّ مِنَ الكِبْرِيتِ الأَحْمَرِ**»[١].

وعن «**عقاب الأعمال**» بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: «**مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ يَأْكُلُ بِهِ النَّاسَ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَوَجْهُهُ عَظْمٌ لاَ لَحمَ فِيهِ**»[٢].

وبإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث قال: «**مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ وَآثَرَ عَلَيْهِ حُبَّ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا اسْتَوْجَبَ سَخَطَ الله وَكَانَ فِي الدَّرَجَةِ مَعَ اليَهودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ يَنْبِذُونَ كِتَابَ الله وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ.**

وَمَنْ قَرَأَ القُرْآنَ يُرِيدُ بِهِ سُمْعَةً وَالتِمَاسَ الدُّنْيَا لَقِيَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ وَوَجْهُهُ

---

(١) أصول الكافي، ج٢، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح١، ص٦٢٧.

(٢) راجع: كتاب «ثواب الأعمال وعقاب الأعمال»، للشيخ الصدوق رحمه الله، ص٢٧٩، عقاب المستأكل بالقرآن. وعنه في وسائل الشيعة، ج٦، الباب ٨، باب أنّه يستحب لحامل القرآن ملازمة الخشوع والصلاة والصوم، ص١٨٣، ح٧.

عَظْمٌ لَيْسَ عَلَيْهِ لَحْمٌ وَزَجَّهُ القُرْآنُ فِي قَفَاهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ النَّارَ وَيَهْوَى فِيهَا مَعَ مَنْ هَوَى.

وَمَنْ قَرَأَ القُرْآنَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ حَشَرَهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمى فَيَقُولُ: يَا ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[1]، فَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ.

وَمَنْ قَرَأَ القُرْآنَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله وَتَفَقُّهاً فِي الدِّينِ كَانَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ مِثْلُ جَمِيعِ مَا أُعْطِي المَلاَئِكَةُ وَالأَنْبِياءُ والمُرْسَلُونَ.

وَمَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ يُرِيدُ بِهِ رِياءً وَسُمْعَةً لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ وَيُبَاهِيَ بِهِ العُلَمَاءَ وَيَطْلُبَ بِهِ الدُّنْيَا بَدَّدَ الله عِظَامَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَمْ يَكُنْ فِي النَّارِ أَشَدُّ عَذَاباً مِنْهُ، وَلَيْسَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ العَذَابِ إلاّ سَيُعَذَّبُ بِهِ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِ الله عَلَيْهِ وَسَخَطِهِ.

وَمَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَتَوَاضَعَ فِي العِلْمِ وَعَلَّمَ عِبَادَ الله وَهُوَ يُرِيدُ مَا عِنْدَ الله لَمْ يَكُنْ فِي الجَنَّةِ أَعْظَمُ ثَواباً مِنْهُ وَلاَ أَعْظَمُ مَنْزِلَةً مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الجَنَّةِ مَنْزِلٌ وَلاَ دَرَجَةٌ رَفِيعَةٌ وَلاَ نَفِيسَةٌ إِلَّا وَكَانَ لَهُ فِيهَا أَوْفَرُ النَّصِيبِ وَأَشْرَفُ المَنَازِلِ»[2].

الترتيل في قراءة القرآن

ومن آداب قراءة القرآن الكريم الذي يبعث على التأثير في النفس، ويجدر بالقارئ أن يراعيه، هو الترتيل في التلاوة، وهو كما في الحديث

(١) طه: ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٢) راجع: وسائل الشيعة، ج٦، الباب ٨، باب أنّه يستحب لحامل القرآن ملازمة الخشوع والصلاة. . .، ص١٨٣، ح٨.

عبارة عن الحدّ الوسط بين السرعة والعجلة من جهة، والتأني والفتور المفرطين الموجبين لتفرّق الكلمات وانتشارها من جهة أخرى.

عن محمَّد بن يعقوب بإسناده عن عبد الله بن سليمان قال: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنْ قَوْلِ الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[1]، قال: «**قال أميرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام: تَبَيَّنْهُ تِبْياناً (تَبْييناً ـ خ ل) وَلا تَهُذَّهُ هَذَّ الشِّعْرِ، وَلاَ تَنْثُرْهُ نَثْرَ الرَّمْلِ وَلكِنْ أَفْرِغُوا قُلُوبَكُمُ القَاسِيَةَ وَلاَ يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ**»[2]. أي لا يكن هدفكم ختم القرآن في أيام معدودة أو الإسراع في قراءة السورة والبلوغ إلى آخرها.

فالإنسان الذي يريد أن يتلو كلام الله، ويداوي قلبه القاسي، ويشفي أمراضه القلبيّة من خلال قراءته للكلام الجامع الإلهي، ولكي يطوي مع نور هداية هذا المصباح الغيبي المنير، وهذا «النور على النور» السماوي، طريق الوصول إلى المقامات الأخرويّة والمدارج الكماليّة، لا بُدَّ له من توفير الأسباب الظاهريّة والباطنيّة والآداب الصوريّة والمعنويّة. أما أمثالنا عندما نقرأ القرآن بعض الأحيان، فمضافاً إلى أنّنا نغفل نهائياً عن معاني الآيات الكريمة، وأهدافها السامية وأوامرها ونواهيها ووعظها وزجرها، وكأنَّ آيات الجنّة ونعيمها، وآيات جهنم والعذاب الأليم، لا تعنينا، بل ـ نعوذ بالله ـ يكون انتباهنا وتوجّه قلوبنا عند قراءة الكتب القصصيّة أكثر من توجهنا حين تلاوتنا للآيات المجيدة، مضافاً إلى ذلك فإنّنا في غفلةٍ حتى عن الآداب الظاهريّة لقراءة القرآن الكريم.

---

(١) المزمّل: ٤.

(٢) أصول الكافي، ج٢، كتاب فضل القرآن، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن، ح١، ص٦١٤.

وقد ورد في الأحاديث الشريفة، الأمر بقراءة القرآن بصوتٍ حزينٍ وجميلٍ. وَعَنْ أَبي الْحَسنَ عليه السلام قالَ: ذَكَرتُ الصَّوتَ عِنْدهُ فَقالَ: «إِنَّ عَليَّ بن الحُسين عليه السلام كانَ يَقْرأُ فَرُبّما مَرَّ بِه المارّ فَصَعِقَ مِنْ حُسْنِ صَوْتِه، وإنَّ الإِمامَ لَوْ أَظْهَرَ مِنْ ذلِكَ شَيئاً لَما احْتَمَلَهُ النَّاسُ مِنْ حُسْنِهِ»[1].

ونحن عندما نريد أن نُري للناس صوتنا الحسن وأنغامه الجميلة، نلتجئ إلى قراءة القرآن أو الأذان، من دون أن نستهدف تلاوة القرآن والعمل بهذا الاستحباب. وعلى كُلِّ حال إنَّ مكائد الشيطان وأضاليل النفس الأمّارة كثيرةٌ، وغالباً يلتبس الحقّ بالباطل، والحسن بالقبيح، فيجب أن نلوذ إلى الله سبحانه ونعوذ به من هذه الأشْراك والأفخاخ.»[2].

تعظيم القرآن أثناء قراءته

«من الآداب الهامّة في قراءة الكتاب الإلهي العظيم، والذي يتساوى فيه العارف والعامّي، والمؤدي إلى ظهور أطيب النتائج، والموجب لنورانيّة القلب وحياة الباطن، هو (التعظيم). ويتوقف تحققه على فهم عظمة الكتاب الإلهي وجلاله وكبريائه.»[3].

---

(١) أصول الكافي، ج٢، كتاب فضل القرآن، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن، ح٤، ص٦١٥.

(٢) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ص٥٢٤ ـ ٥٢٥ ـ ٥٢٦ ـ ٥٢٧، الحديث التاسع والعشرون «في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام بخصال»، الإخلاص في القراءة، معنى الترتيل.

(٣) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الأوّل، آدب التعظيم، ص٢٦٧.

تطبيق القارئ لنتائج التفكّر على نفسه

﴿من الآداب المهمّة لتلاوة القرآن الكريم، والذي يُمَكِّنُ الإنسان من تحقيق نتائج كثيرةٍ واستفادات لا تُحصى، هو أدب «التطبيق»، ونعني به: تطبيق الإنسان ما حصل عليه من التفكّر في كُلِّ آيةٍ من الآيات الكريمة على نفسه، والسعي في سدِّ ما يظهر له من نقائص في نفسه ومعالجة ما يراه من أمراض.

فلو نظر مثلاً في قصة آدم عليه السلام واستقصى السبب الذي طُرِدَ الشيطانُ بسببه من الحضرة المقدَّسة رغم طول سجوده وعبادته وَوَجْدِهِ، فعليه أن يُطَهِّرَ نفسه منه لأنَّ مقام القرب الإلهي محلٌّ للمتطهرين، لا يمكن دخوله مع وجود الصفات والأخلاق الشيطانيّة. والآيات الكريمة تدل على أنَّ منشأ عدم سجود إبليس لآدم عليه السلام هو العُجب والغرور، فقد لجّ في القول: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[1]، فهذا العُجب هو الذي أدّى إلى حبِّ النفس والفخر الذي يمثل حالة الاستكبار مما أدى إلى الاستبداد بالرأي الذي يُمثّل العصيان والتمرد، مما أفضى إلى طرده من الحضرة القدسيّة.

ونحن نُكِيْلُ للشيطان ـ ومنذ نعومة أظفارنا ـ اللعنات ونعدّه مطروداً من الحضرة المقدَّسة، في حين إنَّنا أنفسنا مُتَّصفون بأوصافه الخبيثة، غافلون عن أنَّ الأمور التي أدّت إلى طرد إبليس من الحضرة المقدَّسة، تؤدي إلى طرد غيره كائناً من كان إنْ هو اتصف بها، فلا قيد يجعلها تشمل الشيطان دون غيره، فلا شك أنَّ ما أدّى إلى إبعاده عن حضرة القرب، سيؤدّي إلى الحيلولة بيننا وبين الوصول إلى تلك الحضرة، وإني لأخشى أن نكون شركاء لإبليس في اللعنات التي نَصُبُّها عليه.

---

(١) الأعراف: ١٢.

ولو تفكّرنا في جانبٍ آخر من هذه القصة الشريفة وبحثنا عن علّة سموّ آدم عليه السلام وامتيازه على ملائكة الله عزّ وجلّ، سعياً في الاتصاف ـ ما وسعنا السعي ـ بما أدى إلى ذلك، سنرى أنَّ العلّة في ذلك كانت في «تعليم الأسماء». يقول تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[1].

وأسمى مرتبةٍ لتعلّم الأسماء هي التحقّق بمقام أسماء الله عزّ وجلّ، مثلما أنَّ أسمى مرتبة لإحصاء الأسماء هي التحقّق بحقيقتها، الأمر الذي يؤهّل الإنسان ـ إذا تحقّق له ـ للفوز بجنّة الأسماء. ورد في الحديث الشريف: «إنَّ لله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنّة»[2].[3].

طلب الطريق المستقيم

على الإنسان أن يحصل على السعادة وهي نتيجة الإنسانيّة ومقصودها من آيات الكتاب الإلهي الكريم وقصصه وحكاياته.

ولما كانت السعادة تتحقق ببلوغ السلامة المطلقة وعالم النور والصراط المستقيم، وجب على الإنسان البحث عن سُبل السلامة ومعدن النور المطلق والطريق القويم، من القرآن الكريم...

---

(١) البقرة: ٣١.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج٤، باب عدد أسماء الله تعالى وفضل إحصائها وشرحها، ح١، ص١٨٦ ـ ١٨٧.

(٣) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل السادس، التطبيق، ص٣٠١ ـ ٣٠٢.

نتائج التفكّر في آيات القرآن

فإذا عَثَرَ القارئُ للقرآن على المقصد، صار يسعى في تحصيله على بصيرةٍ، وتمهّد له سبيل الاستفادة من القرآن الكريم، وشرّعت له أبواب رحمة الحقّ، فلا يضيّع عمره القصير العزيز ورأسماله في البحث عن السعادة في الأمور التي لا تستهدفها الرسالة، ويجتنب النافل من البحث والكلام في مثل هذا الأمر المهم.

فإذا حدّق ببصر قلبه بهذا المقصود ـ فترةً ـ وتفادى النظر فيما سواه، انفتحت بصيرة قلبه، وصارت «حديداً» وأصبح التفكّر في القرآن أمراً عادياً للنفس، وحينئذٍ تتمهّد طرق الاستفادة وتفتح أبوابٌ لم تكن مفتوحةً من قبل. وإذا به يستفيد من القرآن أموراً ومعارف لم يكن قد استفادها قبل ذلك أبداً، وعندئذٍ يدرك كيف يكون القرآن شفاءً للأمراض القلبيّة، ويدركُ ما ترمي إليه الآية الكريمة: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[(١)]، ومعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: **«تعلّموا القرآن فإنّه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فإنّهُ شفاءٌ للصدور»**[(٢)]، فلا يبحث ـ بعد ذلك ـ في القرآن الكريم عن شفاء الأمراض الجسمانيّة فحسب، وإنّما يبحث فيه عمّا يمثل الغاية الرئيسة له، وهي شفاء الأمراض الروحيّة. فالقرآنُ لم ينزّل من أجل شفاء الأمراض الجسميّة أساساً ـ وإن كان ذلك يُتحصّل منه أيضاً ـ مثلما أنَّ الأنبياء عليهم السلام لم يُبعثوا من أجل شفاء الأمراض الجسمانيّة ـ وإنْ كانوا يقومون بذلك ـ فهم أطباء النفوس ومشافو القلوب والأرواح.[(٣)].

---

(١) الإسراء: ٨٢.

(٢) نهج البلاغة، ج١، خ١٠٩، ص٣٣٠، في أركان الدين، مع اختلافٍ يسير.

(٣) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الخامس، التفكّر، ص٢٩٩ ـ ٣٠٠.

عرض الحال على القرآن لتحقق الاستقامة والسعادة

﴿ على السالك إلى الله ﷻ أن يعرض حاله على القرآن الكريم، وكما أنَّ القرآن الكريم هو المعيار في تمييز الأحاديث والروايات، صحيحها وسقيمها ومعتبرها وغير معتبرها، فَكُلُّ ما خالف كتاب الله ﷻ فهو باطلٌ وزخرفٌ[١]، كذلك فإنَّهُ المعيار في تشخيص تحقّق الاستقامة أو الاعوجاج أو السعادة أو الشقاء، فالصحيح المستقيم هو المطابق لكتاب الله ﷻ، وكما كان خُلُقُ رسول الله ﷺ هو القرآن، كذلك على السالك أن يجعل خُلُقَهُ موافقاً للقرآن ليتطابق مع خُلُقِ الولي الكامل ﷺ أيضاً. والخُلُقُ المخالف لكتاب الله ﷻ زخرفٌ وباطلٌ.

والأمر يصدق على جميع المعارف وعلى أحوال القلوب والأعمال، باطنها وظاهرها. فعلى السالك أن يطبّقها جميعاً على ما في كتاب الله ﷻ ويعرضها عليه لكي يتحقّق بحقيقة القرآن، ويصبح هذا الكتاب السماوي صورته الباطنيّة.﴾[٢].

لا ينبغي الاكتفاء بالتجويد والتحسين

﴿ إعلم أنَّ لقراءة القرآن في هذا السَّفر الرُّوحاني والمعراج الإلهي،

---

(١) عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنَّهُ قال: «كُلُّ شيءٍ مردودٌ إلى الكتاب والسنّة، وكُلُّ حديثٍ لا يوافق كتاب الله فهو زخرفٌ». وعنه عليه السلام: «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف». راجع: الكافي، ج١، باب الأخذ بالسنّة وشواهد الكتاب، ح١ ـ ٢، ص٦٩. والزخرف هو المُمَوَّه المُزَوَّر والكذب المُحَسَّن.

(٢) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل السادس، التطبيق، ص٣٠٤.

العديد من المراتب والمدارج، يتوزع الناس على أساسها إلى طوائف مختلفة نكتفي بذكر ما يناسب هذه الرسالة، منهم: . . . يكون القارئ فيها ساعياً لتجويد القراءة وتحسين مخارج الكلمات لا غير، فَهَمُّهُ منحصرٌ فقط في التلفظ بهذه الكلمات وصحّة إخراج الحروف، لكي يتمّ أداء التكليف وإسقاط الواجب. ولا يخفى مدى ما يقترن مع التكاليف من مشقةٍ وتكلّف عند أمثال هؤلاء، وما سيكتنف قلوبهم من ضجرٍ وبواطنهم من نفرةٍ من تلك التكاليف. ولا شك أنَّ هؤلاء لا حظَّ لهم من العبادة سوى سقوط العقاب المقرّر لتاركها عنهم، إلاّ إذا شملهم فضلٌ من خزائن الغيب وصاروا موضعاً للإحسان والإنعام على مجرد لقلقة ألسنتهم تلك.»[١].

الاستعاذة قبل الشروع بالقراءة

«قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ * إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[٢].

من آداب القراءة الهامّة ـ لاسيّما القراءة في الصلاة التي تمثل السفر المعنوي إلى الله والمعراج الحقيقي ومرقاة وصول أهل الله ـ أدب الاستعاذة من الشيطان الرجيم، شوكة طريق المعرفة وعقبة السير والسلوك إلى الله، باعترافه هو على ما يخبر به الله تعالى في سورة الأعراف إذ يقول: ﴿فَبِمَآ

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل الأوّل، آدب القراءة في الصلاة، ص٣١١.

(٢) النحل: ٩٨ ـ ١٠٠.

أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[(١)]. فلقد أقسم الشيطان على القعود لذرية آدم عليه السلام على الصراط المستقيم ليصدّهم عنه، ولذا لا يمكن تحقيق الأمان من شرِّ قاطع الطريق هذا في الصلاة ـ وهي طريق الإنسانية المستقيم ومعراج الوصول إلى الله تعالى ـ دون الاستعاذة بالله واللجوء إلى حصن الألوهيّة الحصين.

وهذه الاستعاذة وهذا التحصّن لا يتحققان ـ كما هو واضح ـ بمجرد لقلقة اللسان وبالصورة المجرّدة من الروح وبالدنيا دون الآخرة، فهناك من راحوا يردّدون الاستعاذة بالله أربعين أو خمسين عاماً دون أن يحقّقوا لأنفسهم النجاة من شرِّ قاطع الطريق هذا، بل على العكس أصبحوا تابعين مقلّدين له في الأخلاق والأعمال، بل في العقائد القلبيّة.

فلو أنَّنا كنا صادقين في طلب الاستعاذة بالله من شرِّ هذا الخبيث لكان الحقّ تعالى ـ وهو تقدَّست ذاته الفياض المطلق وصاحب الرحمة الواسعة والقدرة الكاملة والعلم المحيط والكرم الشامل ـ قد أعاذنا، ولصلح إيمانُنا وسَمَت أخلاقُنا وأعمالُنا. . .

فمن يستعيذ بالله ـ إذن ـ ويدخل في حصنه ـ باطناً وظاهراً وقلباً وقالباً ـ فإنَّهُ يأمن من جميع مراتب العذاب ـ التي يمثل عذابُ الاحتجاب عن جمال الحقّ والفراق عن وصال المحبوب جلَّ وعلا أشدّها ـ ومن يصل هذه المرتبة فإنَّهُ يصبح عبداً حقيقياً لله ويدخل تحت قباب الربوبيّة فيكون الحقّ تعالى هو صاحب السلطة في مملكة وجوده، ويخرج بذلك من ولاية الطاغوت. وهذا المقام من أشرف مقامات الأولياء، وأخصّ مدارج الأصفياء، التي لا حظَّ لسائر الناس فيها، بل لعلَّ ذوي القلوب القاسية

(١) الأعراف: ١٦.

الجاحدة، والنفوس المجادلة المتحجّرة، ممن تفصلهم عن هذه المرتبة فواصل وفواصل، ينكرون هذه المقامات ويعتبرون الحديث عنها باطلاً، بل إنَّهم ـ والعياذ بالله ـ يعدّون هذه الأمور ـ رغم أنَّها مما يفيض بها الكتاب والسنّة ومما تقرُّ بها عيون الأولياء ـ خرافات صوفيّة وأراجيف حشويّة. . .

لذا وجب شحذ الهمم وتقوية الإرادة، لعلّ هذا النور الإلهي واللطيفة الربانيّة تنتقل من الظاهر إلى الباطن ومن الملك إلى الملكوت، فإنَّ الإنسان يدخل في حصن الحقّ وتتحقّق فيه حقيقة الاستعاذة وتنحسر عنه سلطة الشيطان ذلك العفريت الخبيث بمقدار المرتبة التي يفوز بها من الإخلاص.»[١].

حقيقة الاستعاذة

«إنَّ الاستعاذة في حقيقتها: كيفيّة وحالة نفسانيّة تحصل نتيجة العلم البرهاني الكامل بمقام التوحيد الأفعالي للحقّ تعالى، ومن الإيمان بهذا المقام.

أي أنَّ الإنسان وبمجرد أن يدرك ـ عن طريق العقل المنوّر بالبرهان الاستدلالي المتين والشواهد النقليّة المستفادة من النصوص القرآنية والإشارات واللطائف المبثوثة في الكتاب الإلهي والأحاديث الشريفة ـ أنَّ السلطة الإيجاديّة والاستقلال في التأثير ـ بل أصل التأثير ـ منحصرةٌ بالذات الإلهيّة المقدّسة ولا نصيب لسائر الموجودات في ذلك ـ كما تمَّ إيضاحه في

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل الثاني، آداب الاستعاذة، ص٣٢٢ ـ ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

موضعه ـ يلزمه أن يُطلع قلبه على هذه الحقيقة وأن يخطّ بقلم العقل على لوح القلب حقيقة «لا إله إلا الله ولا مؤثر في الوجود إلا الله»[١].

ثم إنَّ القلب ما إن يؤمن بهذه اللطيفة الإيمانيّة والحقيقة البرهانيّة، إلا وتحصل لديه حالة الانقطاع والالتجاء، وما أن يدرك أنَّ الشيطان هو قاطع طريق الإنسانية وعدوّها اللدود، إلا وتحصل فيه حالة «الاضطرار». وهذه الحالة القلبيّة هي حقيقة الاستعاذة.

ولما كان اللسان ترجمان القلب، فإنَّهُ سينطق وهو في هذه الحالة القلبيّة وبكامل الاضطرار والاحتياج وبصدقٍ فيقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

---

(١) ثبت في الفلسفة الإسلاميّة والحكمة الإلهيّة «أن لا مؤثر في الوجود إلا الله تعالى» وهذا ما يُعبر عنهُ بـ «توحيد الأفعال» أو «التوحيد الأفعالي»، بمعنى أنَّ جميع ما يُرى من الأسباب والوسائط مثل الدواء لرفع الأمراض والسموم لإزهاق النفوس والنار للإحراق والشمس للنهار، كل ذلك معدات ومسببات ووسائط للإيجاد لا على نحو الاستقلال عن علة العلل ومسبب الأسباب، وإنما هي فعل الله تعالى وبإذنه ﷻ، ومثاله: انعكاس نور الشمس من المرآة على الجدران، فلا تنسب الإنارة إلى المرآة، وإنما هي للشمس، وما المرآة إلا واسطة. ونظيرُ ذلك عملُ الجند بوظائف موافقة لإرادة أمرائهم، ثم يُنسب فتحُ البلاد والظفرُ على الأعداء والغلبةُ في الحرب إلى القادة والأمراء، ومن بعدُ إلى كل واحدٍ من أفراد الجيش، وهكذا يُنسبُ التأثيرُ إلى الأمير أولاً وبالذات وبعده إلى الجند ثانياً وبالعرض. هذا الإيمان بأن الله ﷻ هو المؤثر الحقيقي في العالم وأنَّهُ «لا مؤثر في الوجود إلا الله» لا يعني إنكار عالم الأسباب والمُسببات، إنَّما يعني أنَّ تأثير الأسباب إنما كان بأمر الله، فالله سبحانه هو الذي خلق النار مُحرقةً، والشمسَ منيرةً. وثمرة هذا الاعتقاد أن يصبح الإنسان معتمداً على الله ﷻ دون سواه، فيرى أن الله هو القادر وهو العظيم، وأن لا قدرة ولا عظمة إلا له، وكُلُّ ما سواه لا حول له ولا قوة، وأنَّهُ إن كانت له قوة فهي من الله ﷻ، فهو المانح للقدرة والقوة والاختيار، وبهذا يكونُ ﷻ هو المستحق حصراً بأن يُتكل ويُعتمد عليه في الأمور كلها.

الاستعاذة اللسانيّة الفارغة نتيجتها معكوسة

اما إذا لم يكن من أثر لهذه الحقائق في قلب الإنسان، وكان الشيطان متصرفاً في قلبه وفي سائر مملكة وجوده، فإنَّ الاستعاذة ستكون مستندةً إلى سلطة الشيطان وتدبيره فيستعيذ الإنسان حينها بالله بلسانه فقط، إذ إنَّهُ في الحقيقة ـ ولأنَّهُ تحت سلطة الشيطان ـ سيستعيذ في الحقيقة بالشيطان من الله، فتحقق الاستعاذة عندها نتيجة معكوسة، ويتخذ الشيطان ذلك المستعيذ سخرياً. وهذه السخرية ستظهر يوم ينكشف الغطاء وتُزال حجب الطبيعة وستائرها.»[1].

ترك الدنيا لأجل الوصول إلى حقائق القرآن

«نحن نعلم أنَّ القرآن الشريف نزل من معدن الوحي الإلهي لتكميل البشر وتخليص الإنسان من سجن الطبيعة الظُّلماني، ووعده ووعيده كُلُّه حقٌّ صريحٌ، وحقيقته ثابتةٌ وليس في كُلِّ مندرجاته شائبةُ خلاف الواقع، ومع ذلك فهذا الكتاب الإلهي العظيم لا يؤثر في قلوبنا القاسية بمقدار ما يؤثره أي كتابٍ قصصي؛ فإنَّ قلوبنا لم تتعلق بوعده لننزعها من الدنيا الدنية والنشأة الفانية ونعلقها بالنشأة الباقية، ولم يؤثر وعيدُهُ فيها لنحترز من المعاصي الإلهيّة ومخالفة وليّ النعمة، وهذا ليس إلا لأنَّ حقيقة القرآن وحقيّته لم تصل إلى قلوبنا، ولم تؤمن به.»[2].

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل الثاني، آداب الاستعاذة، تتمة ونتيجة، ص٣٢٩ ـ ٣٣٠. ولتتميم الفائدة راجع بحث الاستعاذة ـ في نفس المصدر السابق ـ فإنَّ فيه تتمّة رائعة كافية ووافية في بيان أركان الاستعاذة، وآثارها، فلا تفوتنك.

(٢) راجع: جنود العقل والجهل، للإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، المقالة السادسة، المقصد=

تحصيل طهارة الباطن لأجل قراءة القرآن

❁ إذا خلى القلب من القذارات يتهيأ لذكر الله وقراءة كتابه، وما دامت القذارات وكثافات عالم الطبيعة في قلبه فلن تتيسر له الاستفادة من الذكر والقرآن الشريف، كما أُشير إلى ذلك في الكتاب الإلهي في السورة المباركة الواقعة: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[١]. ويقول سبحانه في سورة المؤمن ـ غافر ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾[٢].

وبعد أن يتهيأ القلب لذكر الله ﷻ والقرآن الشريف يُلقَّن آيات التوحيد، والأذكار الشريفة، في التوحيد والتنزيه، مع حضور قلب وحالة طهارة. بمعنى أنَّهُ يعتبر القلب طفلاً ليست له قدرة على الكلام، وهو يريد أن يجعله ناطقاً. كما أنَّهُ في الوقت يكرّر الكلمة ويلقيها على سمع الطفل كي يتعلّمها. هكذا يلقّن القلب حكمة التوحيد بالطمأنينة، وحضور القلب ويقرأها على القلب حتى ينفتح سمعه. ولو خصَّص لهذا الأمر وقتاً من أواخر الليل أو بين الطلوعين بعد فريضة الصبح يكون أحسن بكثير، ففي ذلك الوقت ومع الطهارة يُوجّه القلب في وجهة القرآن والذكر، ويقرأ عليه، على نحو التّلقين والتّذكير الآيات الإلهيّة الشريفة المشتملة على التَّذكُّر والتوحيد فلو قرأ مع حضور قلبٍ الآيات الشريفة في آخر سورة الحشر وتفكّر فيها من قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[٣]، إلى آخر

=الثاني، في بيان الإيمان والكفر وفيه فصول، الفصل الثاني، في توضيح هذا المطلب وإكماله، ص٧٤ ـ ٧٥.

(١) الواقعة: ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٩٧.

(٢) غافر: ١٣.

(٣) الحشر: ١٨.

السورة المشتملة على التذكر ومحاسبة النفس والمحتوية على مراتب التوحيد، والأسماء، والصّفات في وقت فراغ النفس من المشاغل الدنيويّة، في آخر الليل أو بيت الطلوعين، يرجى ـ إن شاء الله ـ أن يصل إلى النتائج الحسنة. وهكذا في الأذكار الشريفة، حيث إنَّ الذكر الشريف «لا إله إلا الله» هو أفضل الأذكار وأجمعها. فيأتي بهذا العمل مع حضور قلب، فيرجى أن يأخذ الله سبحانه بيده.

ولا بُدَّ أن لا يغفل في كُلِّ حال عن نقصه وعجزه، ولا عن رحمة الحقّ وقدرته، ويمدّ يد الحاجة إلى الذات المقدَّسة، ويطلب منها المدد. فإذا اشتغل مدّة بهذا العمل، تتعوّد النفس على التوحيد ويتجلى نوره في القلب. ولا بُدَّ أن لا يغفل عن شرائط الذكر العامّة، ولقد ذكرنا في كتاب «آداب الصلاة» أكثر شرائط قراءة القرآن.»[1].

توصيةٌ بقراءة سورة الحشر

«يابُني! إقرأ سورة الحشر المباركة حيث تحتوي على خزائن المعرفة والتربية وهي تستحق أن يتدبر فيها أنسانٌ طول عمره ليكسب منها زاد الآخرة بالعون الإلهي، خاصّةً آياتها الأخيرة حيث يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2]، حتى نهاية السورة فهذه الآية الصغيرة لفظاً الكبيرة معنى تحتمل أفكاراً بناءةً تُنَبِّهُ الإنسان، منها:

(١) راجع: جنود العقل والجهل، للإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، المقالة السادسة، المقصد الثاني، في بيانِ الإيمان والكفر وفيه فصول، الفصل الخامس، في طريق تحصيل الإيمان، ص٩١ ـ ٩٢.

(٢) الحشر: ١٨.

أولاً: يمكن أن تخاطب الذين هم في المرحلة الأولى من الإيمان مثل إيمان عامّة الناس، ففي هذا الاحتمال فإنَّ الأمر بالتقوى هو الأمر بأوّل مراتبها. وهي تقوى العامّة وهي تجنب مخالفة الأحكام الظاهريّة الإلهيّة وتتعلّق بأعمال الأعضاء والجوارح. وعلى هذا الاحتمال فإنَّ جملة ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ تحذر من تبعات أعمالنا وهي تشهد على أنَّ ما نقوم به من أعمال تنتقل إلى النشأة الأخرى وسوف تصل إلينا وقد وردت في ذلك آياتٌ وأخبارٌ كثيرةٌ.

إنَّ التفكير في هذا الأمر يكفي القلوب الواعية بل يوقظ القلوب المستعدة لذلك وقد يكون دليلاً على المراتب الأخرى والمقامات الأسمى، والظاهر هو أنَّ تكرار الأمر بالتقوى تأكيدٌ وإن كانت تحتمل أمراً آخر أيضاً.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تجذيرٌ جديد من أنَّ أعمالكم لن تخفى على الله تعالى إذ أن العالم محضر الحقّ تعالى.

ثانياً: يمكن أن تخاطب الآية من أوصلوا الإيمان إلى قلوبهم. فربّما يؤمن إنسان بالشهادتين حسب الظاهر ولكنّ قلبه يكون غافلاً عنها، وأن يكون عالماً معتقداً بالأصول الخمسة دون أن يبلغ هذا العلم والإيمان قلبه، وقد يكون الجميع كذلك إلّا الخواص من المؤمنين. وإنَّ المعاصي التي تصدر عن بعض المؤمنين تأتي من ذلك، فإذا كان القلب واعياً بيوم الجزاء والعقاب مؤمناً به، يستبعد أن تصدر عنه المعصية والعصيان. ومن آمن قلبه بعدم وجود إله إلّا الله سوف لن يميل إلى غير الحقّ تعالى ولا يمدح الآخرين ولن يخاف غيره.»[1].

---

(١) من رسالةٍ فيها مواعظ أخلاقيّة وعرفانيّة كان الإمام الراحل ﵀ قد كتبها مخاطباً فيها نجله السيّد أحمد ﵀. راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج١٨، ص٤٠٧.

ثواب قراءة بعض سور الكتاب العزيز

ثواب قراءة سورة الحمد

✤ روي عن النبي الأكرم ﷺ أنَّهُ قال لجابر بن عبد الله الانصاري رحمه الله[1]: «يا جابر، ألا أُعَلِّمكَ أفضلَ سورة أنزلها الله في كتابه؟ فقال له جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله علّمنيها. قال: فعلَّمَه «الحمد» أمّ الكتاب. ثم قال: «يا جابر، ألا أُخبِرُكَ عنها؟». قال: «بلى بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، أخبرني». قال: «هي شفاءٌ من كُلِّ داءٍ الا السام[2]»[3].

---

(١) جابر بن عبد الله بن عمرو بن خزام الانصاري، صحابي جليل القدر، من خيرة موالي أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، كان رحمه الله من المُكثرين للحديث الحافظين للسنن وشهد مع النبي الأعظم ﷺ ثمان عشرة غزوة، وكذلك شهد صفين مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. حمل سلام رسول الله ﷺ إلى باقر علوم الأولين والأخرين عليه السلام، وكان أوّل من زار أبا عبد الله الحسين عليه السلام في يوم الأربعين. ينتهي إليه سندُ أخبار اللوح السّمائي الذي فيه نصوصٌ من الله رب العالمين على خلافة الأئمة الراشدين عليهم السلام. أصابه العمى في آخر عمره الشريف وتوفي رحمه الله سنة ٧٨ للهجرة، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة.

(٢) في الرواية: «هي شفاءٌ من كُلِّ داءٍ الا السام، يعني الموت».

(٣) راجع: تفسير العياشي، ج١، ص٣٤، الحديث التاسع. بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٣٧، الحديث (٣٣) في معنى «بسم الله الرحمن الرحيم». وسائل الشيعة، ج٦، ص٢٣٢، باب=

وروى ابنُ عبّاس عن الرسول الأكرم ﷺ أنَّهُ قال: «لكُلِّ شيءٍ أساسٌ وأساسُ القرآن الفاتحة وأساسُ الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم»[١].

ورُوِيَ عنه ﷺ: «فاتحةُ الكتاب شفاءٌ من كُلِّ داءٍ»[٢].

ورُوِيَ عن الإمام الصادق عليه السلام: «من لم تُبْرِئْهُ الحمدُ لم يُبْرِئْهُ شيءٌ»[٣].

ورُوِيَ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى قال لي: يا محمد ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[٤]، فأفرد الامتنان عليَّ بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن. وأنَّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإنَّ الله خصَّ محمداً وشرّفَهُ بها. ولم يُشرك فيها أحداً ما خلا سليمان، فإنَّهُ اعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت: ﴿إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٥]. ألا فمن قرأها مُعتقداً لموالاة محمد وآله مُنقاداً لأمرها مؤمناً بظاهرها وباطنها أعطاهُ اللهُ بكل حرفٍ منها حسنةً كُلُّ واحدةٍ منها أفضل له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها وخيراتها. ومن استمع إلى

=استحباب تكرار الحمد وقراءتها سبعين مرّة على الوجع، الحديث الثامن. تفسير مجمع البيان للطبرسي، ج١، ص٤٨، تفسيرُ فاتحة الكتاب.

(١) تفسير مجمع البيان، ج١، ص٤٨، تفسيرُ فاتحة الكتاب. كذلك راجع رسالة العروة الوثقى في تفسير سورة الفاتحة للشيخ البهائي رحمه الله، في بيان معنى سبع المثاني.

(٢) راجع: رسالة العروة الوثقى في تفسير سورة الفاتحة للشيخ البهائي رحمه الله، في بيان معنى سبع المثاني.

(٣) تفسير العياشي، ج١، ص٣٥، الحديث العاشر. بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٣٧، الحديث (٣٤) في معنى «بسم الله الرحمن الرحيم». وسائل الشيعة، ج٦، ص٢٣١، باب استحباب تكرار الحمد وقراءتها سبعين مرة على الوجع، الحديث الثالث.

(٤) الحجر: ٨٧.

(٥) النمل: ٢٩ ـ ٣٠.

قارىءٍ يقرؤها كان له ثُلُثُ ما للقارىء. فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرّض له، فإنَّهُ غنيمة، لا يذهبنَّ أوانُهُ فتبقى في قلوبكم الحسرة»[١].

وعن الصادق عليه السلام: «لو قُرِئَتْ الحمدُ على ميّتٍ سبعين مرةً ثم رُدَّت فيه الرُوحُ ما كان عجيباً»[٢].

ورُويَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «أيُّما مُسلمٍ قرأ فاتحة الكتاب، أُعطيَ من الأجر كأنَّما قرأ ثُلُثَي القرآن»[٣].

وفي روايةٍ أُخرى: «كأنَّما قرأ القرآن»[٤].

وعن أُبيّ بن كعب[٥] قال: «قرأتُ على رسول الله فاتحةَ الكتابِ فقال: والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق، ص٢٤١، الحديث الثالث. بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٢٨، الحديث الخامس. التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، ص٢٩، في فضل فاتحة الكتاب. تفسير مجمع البيان، ج١، ص٤٩. مكيال المكارم، ج٢، ص٣٧٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٣٠١، فيما جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام من الأخبار المُتفرقة، ح٦.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج١، ص٤، الحديث الثامن. تفسير الصافي، ج١، ص٨٨. رسالة العروة الوثقى في تفسير سورة الفاتحة للشيخ البهائي رحمه الله، في بيان معنى الإنعام. أصول الكافي، ج٢، ص٦٢٣، باب فضل القرآن، الحديث السادس عشر. وسائل الشيعة، ج٦، ص٢٣١، باب استحباب تكرار الحمد وقرائتها سبعين مرة على الوجع، الحديث الأوّل. مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي رحمه الله، ج٢، ص١٨٣، الفصل الثاني في الاستشفاء في القرآن، في السور وما جاء فيها، ح٣.

(٣) بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٥٩. تفسير مجمع البيان، ج١، ص٤٨، في فضل فاتحة الكتاب.

(٤) بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٥٩. تفسير مجمع البيان، ج١، ص٤٨، في فضل فاتحة الكتاب.

(٥) أُبَيّ بن كعب صحابيٌ جليلٌ كان كاتباً للوحي شهد العقبة وبدراً والعقبة الثانية وبايع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله. وكان من الإثني عشر الذين أنكروا على الأوّل خلافته وهموا بإنزاله عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله.

في القرآن مثلها، هي أُمُّ الكتاب وهي السبعُ المثاني وهي مقسومةٌ بين الله وعبده، ولعبده ما سأل»[١].

وعن حُذيفة بن اليمان رحمه الله[٢] عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «إنَّ القوم ليبعث اللهُ عليهم العذاب حتماً مقضياً، فيقرأ صبيٌّ من صبيانهم في الكتاب «الحمد لله رب العالمين» فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة»[٣].

وعن ابن عباس قال: «كنا عند النبي ﷺ إذ أتاهُ ملكٌ فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يُؤتهما نبيٌّ من قبلك: فاتحةُ الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لم يقرأ حرفاً إلا أعطيته»[٤].

---

(١) مستدرك الوسائل، ج٤، ص٢٣٢، باب استحباب قراءة سُور القرآن سورة سورة، الحديث التاسع. بحار الأنوار، ج٨٩، ٢٥٩. تفسير مجمع البيان، ج١، ص٤٨.

(٢) حذيفة بن اليمان العنسي من أصحاب رسول الله ﷺ وصاحب سره ويعتبره البعض أحدَ الأركان الأربعة، وكان رسولُ الله ﷺ قد أعلمه بالمنافقين ولم يعلمهم أحدٌ غيره. قُتل أبوه في أحد على يد المسلمين خطأً يحسبونه من جيش العدو، وكان حُذيفة يصيح بهم فلم ينتبهوا له حتى قُتل، وهناك استغفر حُذيفة للمسلمين قائلاً له: «يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فكان لفعله ذاك الأثر الطيب عنده. يُستفادُ من بعض الأخبار أنَّ له درجة العلم بالكتاب وكذلك حُكي أنَّ له درجة العلم بالسنّة. ويُروى أنّه كان يعرف المنافقين بأعيانهم وأشخاصهم. فقد عرفهم ليلة العقبة حين أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله ﷺ في منصرفهم من تبوك، حيثُ كان حذيفة في تلك الليلة قد أخذ بزمام الناقة يقودها وكان عمار من خلف الناقة يسوقها. سكن الكوفة وتوفي في المدائن بعد خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بأربعين يوماً سنة ٣٦، وكان قد أوصى ابنيه بملازمة واتباع أمير المؤمنين عليه السلام فكانا معه في صفين واستُشهدا قتلاً بين يديه.

(٣) رسالة العروة الوثقى في تفسير سورة الفاتحة للشيخ البهائي رحمه الله، خاتمةُ تفسير الفاتحة، بعض الأحاديث المعتبرة الواردة في فضلها. تفسير الفخر الرازي، ج١، ص١٦٠، الباب الثاني، في فضائل سورة الفاتحة.

(٤) المصدر السابق نفسه. مستدرك الوسائل، ج٤، ص٣٣٠، أبواب القراءة، الباب٤٤، الحديث الثالث. صحيح مسلم، ج٢، ص١٩٨، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة.

وفي «مجمع البيان» قريبٌ منها[١].﴾[٢].

ثواب قراءة سورة القدر

﴿كثيرةٌ هي الروايات الشريفة الواردة في فضل سورة القدر المباركة، منها الرواية المنقولة عن الإمام عليه السلام: **«مَنْ قرأ إنّا أنزلناهُ في ليلة القدر يجهر بها صوته كان كالشاهر سيفه في سبيل الله، ومن قرأها سرّاً كان كالمتشحط بدمه في سبيل الله ومن قرأها عشرَ مرّات غفرت له على نحو ألف من ذنوبه»**[٣].

وفي «خواصّ القرآن» رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **«مَنْ قرأ هذه السورة كان له من الأجر كمن صام شهر رمضان، وإن وافق ليلة القدر كان له ثواب كثواب من قاتل في سبيل الله...»**[٤].﴾[٥].

---

(١) روى الشيخ الطبرسي رحمه الله في تفسيره مجمع البيان، ج٢، ٢٣٢، عن ابن عباس قال: «بينا رسول الله إذ سمع نقيضاً ـ يعني صوتاً ـ فرفع رأسه فإذا باب من السماء قد فُتح، فنزل عليه ملكٌ، وقال: إنَّ الله يُبشرك بنورين لم يعطهما نبياً قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لا يقرأهما أحدٌ إلا أعطيته حاجته».

(٢) تفسير سورة الحمد، للإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، الفصل الثاني، تفسير سورة الحمد من كتاب «آداب الصلاة»، تتمةٌ في ذكر بعض الروايات الشريفة الواردة في فضل سورة الحمد، من ص١٩٤ إلى ١٩٨.

(٣) أصول الكافي، ج٢، كتاب «فضل القرآن»، باب فضل القرآن، ح٦، ص٦٢١.

(٤) تفسير البرهان، للعلامة المُحَدِّث السيّد هاشم البحراني رحمه الله، ج٨، تفسير سورة القدر، فضلها، ح٤، ص٣٢٦، نقلاً عن كتاب: «خواص القرآن».

(٥) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل السابع، نفحةٌ من تفسير سورة القدر المباركة، خاتمة، ص٤٨١ ـ ٤٨٢.

ثواب قراءة سورة التوحيد

نختتمُ هذا المبحث بذكر بعض الأحاديث الشريفة الواردة في فضل هذه السورة المباركة، وإنْ كانت الأحاديث في فضلها أكثر من أن تدرج في هذا المختصر.

في الكافي مسنداً إلى باقر العلوم عليه السلام: **«مَنْ قرأ قُل هو الله أحد مرّةً بورك عليه، ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله، ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جيرانه، ومن قرأها اثنتي عشرة مرّةً بنى الله له اثني عشر قصراً في الجنّة، فيقولُ الحَفَظَةُ: اذهبوا بنا إلى قصور أخينا فلان، فننظر إليها. ومن قرأها مئة مرّة غفرت له ذنوبُ خمس وعشرين سنة ما خلا الدماء والأموال، ومن قرأها أربع مئة مرّة كان له أجر أربع مئة شهيد كُلُّهم قد عُقر جوادهُ وأريقَ دَمُهُ، ومن قرأها ألف مرّة في يومٍ وليلةٍ لم يمت حتى يرى مَقْعَدَهُ في الجنّة أو يُرى له»**[1].

وفي الكافي أيضاً مسنداً إلى الإمام الباقر عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: **«مَنْ قرأ قل هو الله أحد مئة مرّة حين يأخذُ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة»**[2].

وفيه عن الإمام الصادق عليه السلام: **«كان أبي صلوات الله عليه يقول: قل هو الله أحد ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون رُبُعُ القرآن»**[3].

وفيه عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إنَّ النبي صلى الله عليه وآله صلّى على سعد بن معاذ**

(١) أصول الكافي، ج٢، كتاب «فضل القرآن»، باب فضل القرآن، ح١، ص٦٢٠.

(٢) أصول الكافي، ج٢، كتاب «فضل القرآن»، باب فضل القرآن، ح٤، ص٦٢٠.

(٣) أصول الكافي، ج٢، كتاب «فضل القرآن»، باب فضل القرآن، ح٧، ص٦٢١.

فقال: لقد وافى من الملائكة سبعون ألفاً وفيهم جبرائيل عليه السلام يصلّون عليه، فقلت له: يا جبرائيل بما يستحق صلاتكم عليه؟ فقال: بقراءته قل هو الله أحد قائماً وقاعداً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً»(١).

وفي الوسائل نقلاً عن المجالس ومعاني الأخبار بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام ـ عن آبائه العظام ضمن حديث عن سلمان ـ رضي الله عنه ـ أَنَّهُ قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **«مَنْ قرأ قل هو الله أحد مرّةً، فقد قرأ ثُلُثَ القرآن، ومَنْ قرأها مرّتين، فقد قرأ ثُلُثَي القرآن، ومَنْ قرأها ثلاثاً، فقد ختَمَ القرآن»**(٢).

---

(١) أصول الكافي، ج٢، كتاب «فضل القرآن»، باب فضل القرآن، ح١٣، ص٦٢٢.

(٢) راجع: معاني الأخبار للشيخ الصدوق رحمه الله، ص٢٣٤. أيضاً: وسائل الشيعة، ج٦، الباب٣١، باب استحباب الإكثار من قراءة الإخلاص وتكرارها ألف مرّة، ح٥، ص٢٢٣. والكتاب لمؤلفه المحدث الأكبر والفقيه النحرير محمد بن الحسن بن علي المشغري العاملي الطوسي، المعروف بـ «الحرّ العاملي»، أحد المحمدين الثلاثة المُتأخرين الجامعين لأحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام، يعودُ نسبُهُ إلى الحر الرياحي الشهيد مع السبط الشهيد عليه السلام يوم الطف، وُلد في قرية مشغرة إحدى قرى جبل عامل. كان رحمه الله عالماً عاملاً دأب طول عمره على خدمة الشريعة، فمع انشغاله بالتدريس وتربية العُلماء، أثرى المكتبة الإسلاميّة بكتبٍ ومؤلفاتٍ كثيرة أهمها «وسائل الشيعة» والذي أصبح بعد تأليفه وإلى يومنا هذا مورد استنباط الأحكام عند فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام. ومن جملة مؤلفاته: «إثبات الهُداة بالنصوص والمُعجزات» و«الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة» و«الفصول المُهمة في أصول الأئمة» و«الفوائد الطوسيّة»، وغيرها. كان رحمه الله عازماً على أن يشرح «وسائل الشيعة» بكتابٍ اسمه «تحرير وسائل الشيعة وتحبير مسائل الشريعة» ولكن الأجل لم يُمهلهُ لتنفيذ ما عزم عليه فلم يصدر منه إلا جزءٌ واحد. توفي رحمه الله في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة ١١٠٤هـ، ودُفن في إيوان حجرةٍ في صحن الروضة الرضويّة المُقدسة في طوس خُراسان، وقبرُهُ مزارٌ يحضره الموالون والمؤمنون ويتبركون به.

وروي في ثواب الأعمال أنَّهُ: «مَنْ مضت له جمعة ولم يقرأ فيها بـ (قل هو الله أحد) ثم مات، مات على دين أبي لهب»[١].

وقد نقل صاحب المستدرك[٢] أحاديث طويلة وكثيرة في فضل هذه السورة المباركة فليراجع من أراد، كتابي المستدرك والوسائل. والحمد لله ﷻ[٣].



---

(١) ثواب الاعمال: ثواب قراءة قل هو الله أحد، ص١٢٨. أيضاً: وسائل الشيعة، ج٦، الباب٣١، باب استحباب الإكثار من قراءة الإخلاص وتكرارها ألف مرّة، ح٦، ص٢٢٤. وقد علّق الحرّ العاملي ؒ على هذه الرواية بقوله: أقول: هذا وأمثاله محمولٌ على من تركها استخفافاً بها أو جحوداً لفضلها.

(٢) هو الشيخ الميرزا حسين النوري ؒ، وقد تقدّمت ترجمتُهُ، فراجع.

(٣) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ؒ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل السادس، نفحةٌ من تفسير سورة التوحيد المباركة، خاتمة، ص٤٤٧ ـ ٤٤٨.



الفصل الثالث

فهم القرآن



القرآن كتابٌ يناسب فهم الجميع

القرآن سفرةٌ إلهيّةٌ تتسع للجميع

◆ القرآنُ يُشْبهُ الإنسانَ في كونه موجوداً لديه كُلُّ شيءٍ ـ والمقصودُ هنا هو الإنسان الإنسان بالفعل ـ القرآنُ مائدةٌ أَعَدَّها اللهُ لجميع البشر، سُفْرَةٌ واسعةٌ يتناولُ منها كُلُّ إنسانٍ حَسَبَ رغبته ما لم يكن مريضاً ينعدم عنده الاشتهاء. الأمراضُ القلبيّةُ تَعْدُمُ في الإنسانِ الرغبةَ في الأكل، فإذا كان الإنسانُ غَيْرَ مَريضٍ وكانت له رَغْبَةٌ داخليّةٌ انْتَفَعَ من القرآن الذي تتّسع سُفْرَتُهُ للجميع، مثلما هو حال الدنيا فهي كَسُفْرَةٍ كبيرةٍ ينتفع هذا من فاكهتها وذاك من عَلَفِهَا، وهكذا. الإنسانُ ينتفع منها بطريقةٍ ما، والحيوانُ بطريقةٍ أخرى، والإنسانُ في مقام الحيوانيّة بطريقةٍ مُعينةٍ، وكُلَّما سعى أكثر انْتَفَعَ أكثر من هذه السُفْرَةِ الإلهيّةِ، وهي عبارة عن الوجود، وَنَفْسُ الأمرِ يَصْدُقُ على القرآن، فهو سُفْرَةٌ عَامِرَةٌ تَسَعُ الجميع وكُلٌّ يَنْتَفِعُ منها قَدَرَ رغبته وَعَبْرَ السبيل الذي وَجَدَهُ، والدرجةُ العلميّةُ الأعلى هي للذي نَزَلَ عليه «إنَّما يَعْرِفُ القرآنَ مَنْ خُوطِبَ به»[1].

لكن لا ينبغي لنا اليأس والقنوط، بل علينا الحصول على منافع من هذه

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤٩، «تاريخ الإمام محمد الباقر ﷺ»، الباب٢٠، الحديث٢.

السُفْرَةِ. وأولى هذه المنافع أنْ نَطْرُدَ من أذهاننا وَهْمَ عَدَم وجود غير هذه القضايا الطبيعيّة، وفكرة أنَّ القرآنَ تَنَزَّلَ لإيضاح هذه القضايا الاجتماعيّة والطبيعيّة والحياة الدنيويّة فقط، ففي هذه الفكرة إنكارٌ لجميع النُبوّات. إنَّ الغايةَ التي تَنَزَّلَ من أجلها القرآنُ هي صنعُ الإنسان وجعله «إنساناً»، وجميعُ تلك القضايا هي وسائل لتحقيق هذه الغاية.﴾[1].

القرآن لأجل استفادة الجميع

﴿ القرآن الكريم هو مائدةٌ بسطها الله تبارك وتعالى بواسطة النبي الأكرم ﷺ بين البشر لكي يستفيد منها البشر كُلٌّ بحسب استعداده. إنَّ هذا الكتاب وهذه المائدة الممدودة بين الشرق والغرب ومنذ زمن الوحي وحتى القيامة هو كتابٌ يستفيد منه البشر جميعاً، العامي، والعالم، والفيلسوف، والعارف، والفقيه، والجميع، وهو كتابٌ على الرغم من نزوله من عالم الغيب إلى عالم الشهادة وانبسط أمام البشر الموجودين في عالم الطبيعة، على الرغم من أنَّهُ تَنَزَّلَ من ذلك المقام إلى مكان نستطيع الاستفادة منه، ففيه مسائل يستفيد منها كُلُّ الناس، العامي، والعارف، والعالم، وغير العالم، وفيه مسائل تختصّ بالعلماء الكبار، والفلاسفة الكبار، والعرفاء الكبار، والأنبياء، والأولياء، فبعض مسائله لا يستطيع فهمها وإدراكها والاستفادة منها أحد إلا أولياء الله تبارك وتعالى، إلا بالتفسير الذي ورد عنهم عليهم السلام، بمقدار الاستعداد الموجود في البشر، وهناك مسائل يستفيد منها عرفاء الإسلام الكبار، وهناك مسائل يستفيد منها الفلاسفة وحكماء

---

(١) تفسير سورة الحمد، للإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، الفصل الثالث، الدرس الرابع من الدروس التفسيريّة المعرفيّة، القرآن مائدةٌ أعدَّها الله لجميع البشر، ص٢٨٩.

الإسلام، ومسائل يستفيد منها الفقهاء الكبار. وهذه المائدة للجميع يستفيد منها الجميع وكُلُّ هذه الطوائف.

ففيه كُلُّ المسائل السياسيّة، والمسائل الاجتماعيّة، والمسائل الثقافيّة، والمسائل العسكريّة، وغير العسكريّة، وكُلُّ ذلك في ذلك الكتاب المقدَّس. فقد كان دافع نزول هذا الكتاب المقدَّس وغاية بعثة النبي الأكرم ﷺ من أجل أن يكون هذا الكتاب في أيدي الجميع ويستفيد منه الجميع بمقدار سعة وجودهم وفكرهم.

يجب أن نفهم القرآن من النبي ﷺ وممن تعلّم بعلمه

مع الأسف لم نستطع ولم يستطع البشر ولم يستطع علماء الإسلام أن يستفيدوا من هذا الكتاب المقدَّس كما يجب. فيجب أن يُعْمِلَ الجميعُ أفكارهم وعقولهم وينتبهوا إلى هذا الكتاب الكبير، حتى يستطيعوا الاستفادة من هذا الكتاب الكبير وبالشكل الذي نستطيع نحن الاستفادة منه. وقد أتى القرآن من أجل استفادة كُلِّ الطبقات، كُلّ شخصٍ بمقدار طاقته، وطبعاً بعض الآيات لا يستطيع أن يفهمها إلا الرسول الأكرم ﷺ ومن تعلَّم بعلمه ويجب أن نفهمها عن طريقهم ﷺ.

والكثير من الآيات في متناول الجميع فليعمل الجميع بأفكارهم وعقولهم وينتبهوا إليها وليستفيد الجميع من هذا الكتاب المقدَّس في مسائل الحياة، حياة هذه الدنيا وحياة ذلك العالم.»[1].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ذكرى المبعث النبوي الشريف، خلال لقائه فئات مختلفة من أهالي «تبريز». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٤، ص٣٠٥ ـ ٣٠٦.

القرآن سفرةٌ أزليّة وأبديّة

﴿ إنَّ النبيّ الأكرم ﷺ خاتم الأنبياء ﷺ وجاء للبشر بأكمل دين، كما جاء بالقرآن الذي نزل عليه بواسطة الوحي. هذا القرآن الذي لا يمكن بهذا اللسان القاصر الحديث عن مجالاته. إنَّ القرآن مائدةٌ واسعةٌ استفادت وتستفيد منه الفئات البشريّة كُلُّها منذ الأزل وإلى الأبد. غاية الأمر أنَّ كُلَّ فئةٍ لها مسلك خاص بها تستند إليه، فالفلاسفة يستندون إلى المسائل الفلسفيّة في الإسلام، وأهل العرفان يستندون إلى المسائل العرفانيّة فيه، والفقهاء يستندون إلى المسائل الفقهيّة، والسياسيون يستندون إلى المسائل السياسيّة والاجتماعيّة فيه، لكنَّ الإسلام هو كُلُّ شيءٍ، والقرآن كُلُّ شيءٍ، والقرآن رحمةٌ لكُلِّ البشر، ونبيُّ الإسلام ﷺ رحمةٌ للعالمين في جميع الأمور.﴾[1].

لسانُ القرآن لسانُ جميع الطبقات

﴿ القرآن عبارة عن مائدة بسطت لكافة الفئات والطبقات، أي إنّ لغة القرآن هي لغة السواد الأعظم من الناس ولغة الفلاسفة والعرفاء والعلماء وغيرهم، وقد حوى هذا الكتاب أموراً كثيرة أهمها الأمور المعنوية. . .

يفهم غالبية البشر الكثير مما جاء في هذا الكتاب، والخواص يفهمون

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ميلاد النبي الأكرم ﷺ وحفيده الإمام الصادق عليه السلام، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس الوزراء وأعضاء المجلس، رئيس مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء المجلس، المسؤولين العسكريين والإداريين والشخصيات العلمائية. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٩، ص١٠٥.

المسائل ذات العمق الأكبر، وخواص الخواص يدركون ما هو أعمق من كل ذلك، لكن «إنَّما يَعْرِفُ القرآن مَنْ خُوطِبَ به»[١]. . . فالقرآن ذو لغةٍ معينةٍ ويتحدَّث بأسلوبه الخاصّ ويتضمّن جميع المواضيع، لكنّ أغلبها بشكل إيماءة لا نتمكن من إدراكها. . .»[٢].



(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤٩، «تاريخ الإمام محمد الباقر عليه السلام»، الباب٢٠، الحديث٢.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ميلاد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وحفيده الإمام الصادق عليه السلام، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس وأعضاء مجلس الوزراء، رئيس وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي، المسؤولين العسكريين والإداريين، الشخصيات العلمائيّة، أعضاء لجنة إسناد الحرب. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢٠، ص٣٢٩ ـ ٣٣٠.

شرائط فهم القرآن الكريم

طهارة الروح وكشف السرّ الإلهي

﴿ أنت إذا كنت ذا قلب منوّرٍ بالأنوار الإلهيّة وذا روحٍ مستضيء بالأشعة الروحانيّة، وأضاء زيت قلبك ولو لم تمسسه نار التعاليم الخارجيّة، وكنت مستكفياً بالنور الباطني الذي يسعى بين يديك لانكشف لك سرّ الكتاب الإلهيّ، بشرط الطهارة اللازمة في مسّ الكتاب الإلهي. ولعرفت في مرآة المثل الأعلى والآية الكبرى حقيقة الكلام الإلهي وغاية تكلمه تعالى، وأنَّ مراتب الوجود وعوالم الغيب والشهود كلام إلهيٌّ خارجٌ بالهواء الذي هو المرتبة العمائيّة من مرتبة الهويّة الغيبيّة، نازلٌ من سماء الإلهيّة للحبّ الذاتي لإظهار كماله والتجلي بأسمائه وصفاته لكي يعرف شأنه.﴾[1].

الطهارة من رجس الطبيعة لأجل إدراك الحقائق

﴿ فإنَّ للقرآن منازل ومراحل وظواهر وبواطن، أدناها ما يكون في قشور الألفاظ وقبور التعينات، كما ورد: «**إنَّ للقرآن ظهراً وبطناً وحدّاً ومطلعاً**»[2].

---

(١) راجع: شرح دعاء السَّحَر، للإمام الخميني ﷸ، ص٥٦ ـ ٥٧، شرح قوله ﷺ: «اللهم إني أسألك من كلماتك بأتَمِّها. . .».

(٢) نُقل هذا الحديث في تفسير الصافي، ج١ في ديباجة الكتاب، ص٨، عن النبي ﷺ. والكتاب=

وهذا المنزل الأدنى رزق المسجونين في ظلمات عالم الطبيعة، ولا يمسّ سائر مراتبه الا المطهّرون من أرجاس عالم الطبيعة وحدثه، والمتوضّؤون بماء الحياة من العيون الصافية، والمتوسّلون بأذيال أهل بيت العصمة والطهارة، والمتصلون بالشجرة المباركة الميمونة، والمتمسكون بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والحبل المتين الذي لا نقض له، حتى لا يكون تأويله أو تفسيره بالرأي ومن قبل نفسه، فإنَّهُ لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم.»[1].

شرح الصدر للمعاني وانفتاح باب التأويل

«واعلم أنَّ من أَجَلّ ما يرد على السالك بقدم المعرفة إلى الله من عالم الملكوت، وأعظم ما يفاض على المهاجر من القرية الظالم أهلها من حضرة الجبروت، وأكرم خلعة ألبست عليه بعد خلع نعل الناسوت من ناحية الوادي المقدَّس والبقعة المباركة، وأحلى ما يذوقه من الشجرة المباركة في جنّة الفردوس بعد قلع الشجرة الملعونة من عالم الطبيعة: انشراح صدره

=لمؤلّفه الشيخ محمد علم الهدى محسن بن الشاه مرتضى، المدعو بـ «المولى محسن الكاشاني»، والمعروف بـ «الفيض الكاشاني رحمه الله» مُحدِّثٌ فقيهٌ وعارفٌ حكيمٌ، من علماء القرن الحادي عشر هجري، من تلامذة الشيخ البهائي العاملي رحمه الله والمولى محمد صالح المازندراني رحمه الله والمولى صدر المتألهين الشيرازي رحمه الله وغيرهم من أجلاء الطائفة وعظمائها، اشتهر بكثرة التأليف والتصنيف، ومن مصنفاته: «تفسير الصافي» و«الوافي» و«المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء» و«الشافي» و«علم اليقين» و«الأصول الأصليّة». توفي رحمه الله في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة ١٠٩١هـ كما صَرَّحَ به ولدُهُ العلّامة «علم الهدى» وقبرُهُ بكاشان مزارٌ معروفٌ.

(١) راجع: شرح دعاء السَّحَر، للإمام الخميني قدس سره، ص٣٨، شرح قوله عليه السلام: «اللّهم إني أسألك من نورك بأنوره، ...».

لأرواح المعاني وبطونها وسر الحقائق ومكنونها، وانفتاح قلبه لتجريدها عن قشور التعينات وبعثها من قبور الهيئات المظلمات، ورفضها لغبار عالم الطبيعة وإرجاعها من الدنيا إلى الآخرة، وخلاصها من ظلمة التعين إلى نورانيّة الإرسال، ومن دركات النقص إلى درجات الكمال.

ومن هذه الشجرة المباركة والعين الصافية انفتاح ابواب التأويل لقلوب السالكين والدخول في مدينة العلماء الراسخين.»[(١)].

تجلّي القرآن للنفوس بسبب نزاهتها وقداستها

«إعلم أنَّهُ كما أنَّ للكتاب التدويني الإلهيّ بطوناً سبعة باعتبار وسبعين بطناً بوجه، لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم[(٢)]، ولا يمسّها الا المطهّرون من الأحداث المعنويّة والأخلاق الرذيلة السيئة، والمتحلّون بالفضائل العلميّة والعمليّة، وكُلُّ من كان تنزهه وتقدسه أكثر كان تجلي القرآن له أكثر وحظّه من حقائقه أوفر. كذلك الكتب التكوينيّة الإلهيّة الأنفسيّة والآفاقيّة حذواً بالحذو ونعلاً بالنعل. فإنَّ لها بطوناً سبعة أو سبعين لا يعلم تأويلها وتفسيرها إلا المنزّهون عن أرجاس عالم الطبع وأحداثها، ولا يمسها إلا المطهرون؛ فإنَّها أيضاً نازلةٌ من الربّ الرحيم.

---

(١) راجع: شرح دعاء السَّحَر، للإمام الخميني ﷺ، ص٣٧، شرح قوله ﷺ: «اللّهم إني أسألك من نورِك بأنوره، ...».

(٢) رُويَ عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «إنَّ للقرآن ظهراً وبطناً، وَلِبَطْنِهِ بَطْنٌ إلى سَبْعَةِ أَبْطُنٍ». راجع: عوالي اللئالي: ج٤، ص١٠٧، الحديث (١٥٩). وقيلَ في حاشية العوالي: «الظهرُ هنا مشتقٌ من الظهور والبطن من البطون. والمُرادُ بهما أنَّ له ظاهراً وباطناً، والظاهرُ هو ما دَلَّ عليه اللفظُ بالمطابقةِ، والباطنُ ما دَلَّ عليه اللفظُ بالالتزامِ، ولما كانت اللوازمُ مُتَعَدِّدَةً تَعَدَّدَ الباطنُ بتعددها كما قال «إلى سبعة أبطن»، وذلك يظهر ويخفى بالنسبة إلى قوة الفهم وضعفه. وهذا بالنسبة إلى جملة القرآن، أعمّ من أنْ يكونَ بالنسبة إلى كُلِّ آيةٍ أو بعضها كالقراءات السبعة.

فجاهد أيّها المسكين في سبيل ربّك وطهّر قلبك واخرج من حيطة الشيطان، وارق واقرأ كتاب ربّك، ورتّله ترتيلاً، ولا تقف عند قشره، ولا تتوهّمنّ أنَّ الكتاب السماوي والقرآن النازل الرباني لا يكون إلا هذا القشر والصورة، فإنَّ الوقوف عند الصورة والعكوف على عالم الظاهر، وعدم التجاوز إلى اللبّ والباطن اخترامٌ وهلاكٌ وأصلُ أصول الجهالات، وأسُّ أساس إنكار النبوّات والولايات.

فإنَّ أوّل من وقف عند الظاهر وعمي قلبُهُ عن حظّ الباطن هو الشيطان اللعين، حيث نظر إلى ظاهر آدم عليه السلام، فاشتبه عليه الأمر وقال: خلقتني من نار وخلقته من طين، وأنا خير منه؛ فإنَّ النار خيرٌ من الطين. ولم يتفطن أنَّ جهله بباطن آدم عليه السلام، والنظر إلى ظاهره فحسب بلا نظر إلى مقام نورانيّته وروحانيّته خروجٌ من مذهب البرهان، ويجعل قياسه مغالطيّاً عليلاً، كما ورد في أخبار أهل البيت عليهم السلام...

ومن هذا الخطأ والغلط والنظر إلى الظاهر وسدّ أبواب الباطن إنكارُ الناس للأنبياء والمرسلين بملاحظة أنَّهم عليهم السلام كانوا يمشون في الأسواق، ويأكلون ويشربون مثلهم، كما قال تعالى حكايةً عنهم: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[1].[2].



(١) يس: ١٥.

(٢) راجع: شرح دعاء السَّحَر، للإمام الخميني قدس سره، ص٥٩ ـ ٦٠، شرح قوله عليه السلام: «اللّهم إني أسألك من كلماتك،...».

الحُجُبُ الحائلة بين المستفيد والقرآن الكريم

العُجُبُ حجابُ فهم القرآن

﴿ على المتعلّم والمستفيد من كتاب الله ﷻ أن يتحلّى بأدبٍ آخر من الآداب المهمّة في هذا الباب لكي تتحقّق الاستفادة وهو: رفع موانع الاستفادة التي نعبّر عنها بالحجب الحائلة بين المستفيد والقرآن الكريم، وهي كثيرةٌ نشير إلى بعضها:

أحد الحجب الكبيرة الذي يجعل الشخص المتعلّم يرى نفسه مستغنياً لا حاجة له للاستفادة، هو حجاب «العُجُب» الذي يُعَدُّ من مكائد الشيطان الخطيرة. فهو يصوّر للإنسان دوماً وجود الكمالات الموهومة، ويقنعه بالرضا بما عنده، ويجعله يستهين بكُلٍّ ما عدا ذلك، فيجعل أهل التجويد مثلاً قانعين بهذا الفن البسيط، ويصوّر لهم أنَّ لهذا العلم محاسن كثيرة تفوق ما للعلوم الأخرى، وأنَّهم يمثلون مصداق «حَمَلَةِ القرآن» فيحرمهم من فهم الكتاب الإلهي النوراني والاستفادة منه.

حجابُ الاكتفاء بالألفاظ والاصطلاحات

وهكذا يفعل بأهل النواحي الأدبيّة فيقنعهم بهذا الجانب الأجوف، ويصوّر لهم أنَّ كُلَّ الشؤون القرآنيّة تنحصر فيما يمتلكونه لا غير، كما يشغل

أهل التفسير ـ بالنحو المشهور ـ بوجوه القراءات والآراء المختلفة للّغويين وأوقات النزول وشأن النزول المدني والمكيّ من الآيات وعدد الآيات والحروف وأمثال هذه الأمور.

كما يقنع أهل العلوم بالاكتفاء بمعرفة الدلالات ووجوه الاحتجاجات وأمثال ذلك فقط.

بل إنَّهُ يحبس حتى الفلاسفة أو الحكماء أو العارفين ـ بالمعنى المصطلح عليه ـ في محبس الحجب الكثيفة للمصطلحات والألفاظ وأمثالها.

ضرورة خرق الحجب للاستفادة من القرآن

إنَّ على الساعي للاستفادة أن يخرق جميع هذه الحجب وينظر إلى القرآن من خلف هذه الحجب، فعليه أن لا يتوقف عند أيٍّ منها لكي يلحق بقافلة السالكين إلى الله، ولا يحرم من الدعوات اللطيفة التي يوجهها الله تعالى إليه.

والأمر بعدم الوقوف عند حدٍّ معين والاقتناع به يُستفادُ من القرآن الكريم نفسه، فقد وردت الكثير من الإشارات إلى هذا المعنى في القصص القرآني، فلم يقنع موسى كليم الله عليه السلام بمقام النبوّة الشامخ، ولم يقف عند مقامه العلمي الرفيع، فهو ما إن التقى شخصاً كاملاً كالخضر حتى بادرهُ بالطلب وبمنتهى التواضع والخضوع: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[1]، ولازمه حتى حصل على العلوم التي كان ينبغي له أن يستفيدها منه.

ولم يتوقف إبراهيم عليه السلام عند مقام الإيمان والعلم العظيم الخاصّ

---

(١) الكهف: ٦٦.

بالأنبياء ﷺ بل قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[١] ليرتقي من مقام الإيمان القلبي إلى مقام الاطمئنان الشهودي.

إنَّ ما يأمر الله تبارك وتعالى به «خاتمَ المراتب ﷺ» ـ أعرف خلقه على الإطلاق ـ بالآية الكريمة: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٢] وسائر الأوامر الواردة في الكتاب الإلهي، وقصص الأنبياء ﷺ التي ينقلها، إنَّما تستهدف توعيتنا وإيقاظنا من نوم الغفلة الذي نَغُطُّ فيه.

الآراءُ الفاسدة والمذاهب الباطلة مانعةٌ من فهم القرآن

من الحجب الأخرى حجاب الآراء الفاسدة والمسالك والمذاهب الباطلة، والذي ينشأ من سوء استعداد الشخص نفسه أحياناً، ومن الاتّباع والتقليد في أغلب الأحيان. وهو من الحجب التي تحجبنا عن خصوص معارف القرآن الكريم، فإذا ترسَّخ في قلوبنا اعتقادٌ فاسدٌ نتيجة التلقّي عن الأب أو الأم أو بعض الجُهّال من أهل المنبر مثلاً، فإنَّ هذا الاعتقاد يصبح حاجباً بيننا وبين الآيات الإلهيّة الشريفة، ولو أنَّ آلاف الآيات والأحاديث الشريفة وردت بما يعارض ذلك الاعتقاد لعمدنا إلى صرفها عن ظاهرها، أو عدم النظر إليها بنظرة فهم.»[٣].

---

(١) البقرة: ٢٦٠.

(٢) طه: ١١٤.

(٣) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الرابع، إزالة الحجب المانعة من التعلّم، ص٢٨٧ ـ ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

الجمود على أقوال المُفسّرين

﴿ ومن الحجب الأخرى الحائلة دون الاستفادة من هذه الصحيفة الإلهيّة المقدَّسة، الاعتقاد بعدم جواز تجاوز ما كتبه المفسّرون أو فهموه عن القرآن الكريم، وفي هذا الاعتقاد خلطٌ بين التفكّر والتدبّر في الآيات الكريمة من جهة وبين التفسير بالرأي المنهي عنه من جهةٍ أخرى.

وبهذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة يُجرّد القرآنُ الكريم من كافّة فنون الإفادة ويُصبح مهجوراً تماماً، والحالُ أنَّ الاستفادات الأخلاقيّة والإيمانيّة والعرفانيّة لا ترتبط بالتفسير أساساً، فما بالك بارتباطها بالتفسير بالرأي!

فلو أنَّ شخصاً قرأ وتأمّل في المحاورة التي جرت بين موسى عليه السلام والخضر وطبيعة التعامل فيما بينهما، وقيام موسى عليه السلام بشدِّ رحاله ـ مع سمو مقام نبوّته ـ طلباً لعلمٍ لم يكن عنده، وكيفيّة عرضه حاجته على الخضر بالنحو الوارد في الآية الكريمة: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[1]، وجواب الخضر واعتذارات موسى المتكرّرة، ثم استفاد من كلّ ذلك عظمةَ مقام العلم وبعض آداب تعامل المتعلّم مع المعلم التي قد يصل ما ورد منها في تلك الآيات ما يقرب من العشرين أدباً، فما علاقة هذه الاستفادات بالتفسير حتى تكون تفسيراً بالرأي؟! وهكذا هو الحال مع الكثير من الاستفادات المستحصلة من القرآن الكريم.﴾[2].

---

(١) الكهف: ٦٦.

(٢) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الرابع، إزالة الحجب المانعة من التعلّم، ص٢٩١ ـ ٢٩٢.

حجاب المعاصي... الحجاب الأكبر

ومن الحجب الأخرى المانعة من فهم القرآن الكريم والاستفادة من معارف هذا الكتاب السماوي ومواعظه، هو حجاب المعاصي والأدران المتراكمة نتيجة الطغيان والتمرّد على الحضرة المقدَّسة لربّ العالمين، والتي تحجب القلب عن إدراك الحقائق.

ولا يخفى أنَّ لكُلِّ الأعمال الصالحة أو السيئة صورةً في ملكوت النفس مثلما أنَّ لها صورةً تناسبها في عالم الملكوت، وأنَّ هذه الصورة إما أن تؤدي إلى نورانيّةٍ في باطن ملكوت النفس تطهّر القلب وتنوّره، وفي هذه الحالة تصبح النفس كمرآةٍ صقيلةٍ صافيةٍ مؤهلةٍ للتجليات الغيبيّة وظهور الحقائق والمعارف فيها، أو أن تؤدي إلى أن يصبح ملكوت النفس ظلمانياً كَدِراً؛ وفي هذه الحالة يكون القلبُ كمرآةٍ صدئَةٍ مُعتمةٍ لا تنعكس فيها المعارف الإلهيّة والحقائق الغيبيّة.

والقلب ما إن يُصبح على هذه الحالة حتى يقع فريسةً لسلطة الشيطان الذي يصبح هو المتصرّف في مملكة الروح، فيُخضع السمعَ والبصرَ وسائرَ القوى لسلطته، وعندها يُصَمُّ السمع تماماً عن المعارف والمواعظ الإلهيّة، وتعجز العينُ عن رؤية الآيات الإلهيّة الباهرة، فتعمى عن الحقّ وآثاره وآياته، ويفقد القلبُ الفقاهة في الدين ويُحْرَمُ من الآيات والبينات ومن تذكّر الحقّ وأسمائه وصفاته، كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[1]، فتصبح نظرتهم إلى العالم كنظرة الأنعام والحيوانات خاليةً من الاعتبار والتدبّر، وتصير قلوبهم كقلوب الحيوانات لا تنتفع من التفكّر والتذكّر، بل

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

تتفاقم حالة الغفلة والاستكبار عن التفكّر في الآيات والاستماع للمواعظ والمعارف فيهم، فهم إذن أسوأ من الحيوان وأضلُّ سبيلاً.»[١].

حُبُّ الدنيا ستارةٌ ثقيلةٌ بيننا وبين معارف القرآن

«ومن الحجب الكثيفة الأخرى حجاب حُبِّ الدنيا، وهو ستارةٌ ثقيلةٌ بيننا وبين معارف القرآن ومواعظه، ونتيجةً لوجودها فإنَّ القلب يصرف كُلَّ همّه للدنيا، فتصير وجهته دنيويّة تماماً، ويغفل بسبب هذا الحبّ عن ذكر الله، ويُعرض عن الذكر والمذكور، وكُلَّما ازداد تعلّقه بالدنيا ومظاهرها ازداد حجابُ القلب سِمْكاً وكَثَافَةً، حتى يطغى هذا التعلّق على القلب ويستحكم سلطانُ حُبِّ الشرف والجاه عليه، بحيث ينطفئ نورُ فطرة الله تماماً، وتغلق أبواب السعادة بوجه الإنسان، ولعلّ (الأقفال) التي تشير إليها الآية الكريمة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٢] يُراد بها أغلال وقيود التعلّق بالدنيا هذه.

فإنَّ مَنْ يُريد الاستفادة من معارف القرآن والانتفاع من المواعظ الإلهيّة، عليه أن يُطَهِّرَ القلب من هذه الأرجاس ويفرغه من لوث المعاصي القلبيّة المتمثّلة بالاشتغال بغير الحقّ، فغير المُطَهَّرِ من القلوب لا يؤتمن على الأسرار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الرابع، إزالة الحجب المانعة من التعلّم، ص٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(٢) سورة محمّد ﷺ: ٢٤.

ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾[١]، فكما أنَّ مسَّ ظاهر هذا الكتاب أمرٌ محرَّمٌ ـ تشريعاً وتكليفاً ـ على غير طاهر الظاهر في عالم الظاهر، كذلك فإنَّ معارف القرآن الكريم ومواعظه وباطنه وَسِرَّهُ محرّمةٌ على من كان قلبُهُ ملوثاً بأرجاس التعلّقات الدنيويّة. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[٢]. فغير المتّقي وغير المؤمن ـ بحسب تقوى وإيمان العامّة ـ محرومٌ من الأنوار الصوريّة لمواعظ القرآن وعقائده الحقّة، وغير المتقي وغير المؤمن ـ بحسب المراتب الأخرى للتقوى وهي تقوى الخاصّة وخاصّة الخاصّة وأخصّ الخواص ـ محرومٌ من المراتب الأخرى لمعارف القرآن ومواعظه.﴾[٣].

حجابُ النفس والأنانيّة مانعان من إدراك القرآن

﴿ما دام الإنسان في حجاب نفسه، لا يستطيع أن يدرك هذا القرآن الذي هو نور، وطبقاً لما ورد في القرآن فهو نور، ولا يستطيع الغارقون في حجابهم وخلف حجبهم وهم كثر أن يدركوا هذا النور.

يظنون أنَّهم يستطيعون، ولكنَّهم لا يستطيعون. فلا يكون الإنسان أهلاً لكي ينعكس هذا النور الإلهي في قلبه ما دام غير قادرٍ أن يخرج من حجابه الشديد الظلمة، ما دام أسيراً لأهوائه النفسيّة، ما دام أسيراً للأنانيّة، وما دام أسيراً لأشياء قد أوجدها في باطن نفسه من ظلماتٍ بعضها فوق بعض.

---

(١) الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

(٢) البقرة: ٢.

(٣) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷳ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الرابع، إزالة الحجب المانعة من التعلّم، ص٢٩٤ ـ ٢٩٥.

فإنَّ الذين يريدون أن يفهموا القرآن ومحتواه، وليس صورته النازلة الصغيرة، ويريدون أن يفهموا محتوى القرآن بحيث إنَّهم كُلَّما قرأوا أكثر كُلَّما ارتفعوا أكثر، وكُلَّما قرأوا أكثر كُلَّما اقتربوا من مبدأ النور والمبدأ الأعلى، فهذا لا يمكن إلا برفع الحجب ورفع حجاب النفس من الداخل حتى تستطيع أن تدرك هذا النور كما هو. والإنسان للائقٌ بهذا الإدراك.»[1].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة بعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، خلال لقائه فئات مختلفة من أهالي «تبريز». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٤، ص٣٠٧.

مراتبُ فهم القرآن

الجمع بين الظاهر والباطن في فهم القرآن

﴿لا تتوهمن أنَّ الكتاب السماوي والقرآن النازل الرباني لا يكون إلا هذا القشر والصورة، فإنَّ الوقوف عند الصورة والعكوف على عالم الظاهر، وعدم التجاوز إلى اللبّ والباطن اخترامٌ وهلاكٌ وأصلُ أصول الجهالات، وأسُّ أساس إنكار النبوّات والولايات.

فإنَّ أوّل من وقف عند الظاهر وعمي قلبُهُ عن حظّ الباطن هو الشيطان اللعين، حيث نظر إلى ظاهر آدم عليه السلام، فاشتبه عليه الأمر وقال: خلقتني من نار وخلقته من طين، وأنا خير منه؛ فإنَّ النار خيرٌ من الطين. ولم يتفطّن أنَّ جهله بباطن آدم عليه السلام، والنظر إلى ظاهره فحسب بلا نظر إلى مقام نورانيّته وروحانيّته خروجٌ من مذهب البرهان، ويجعل قياسه مغالطيّاً عليلاً، كما ورد في أخبار أهل البيت عليهم السلام...﴾[1].

فهمُ مختلف الأفراد للقرآن الكريم كُلٌّ بقدره

﴿الحقُّ تعالى في القرآن الشريف، والأنبياء والأئمة عليهم السلام في الأحاديث

---

(١) راجع: شرح دعاء السَّحَر، للإمام الخميني قدس سره، ص٥٩ ـ ٦٠، شرح قوله عليه السلام: «اللّهم إني أسألك من كلماتك،...».

الشريفة قد بيّنوا الحقائق العقليّة بلغةٍ معروفةٍ لعامّة الناس من باب الشفقة والرحمة لبني آدم، حتى يكون لكُلٍّ منهم ـ على قدر فهمه ـ حظّاً من هذه الحقائق. وهم ينزّلون الحقائق الغيبيّة منزلة المحسوسات والموجودات كي يكون لعامّة الناس حظٌّ من عالم الغيب بحسب قدرهم. ولكن ينبغي لمتلقّي علوم أولئك السّادة، والمستفيدين من معارف القرآن الشريف، وأحاديث أهل العصمة من أجل أداء شكر هذه النعمة وجزاء هذه العطيّة، [أن يجروا مجراهم وينحو نحوهم]، فيقلبوا الصّورة إلى الباطن والقشر إلى اللُّب، والدنيا إلى الآخرة، حيث إنَّ الوقوف عند الحدود اقتحامٌ في الهلكات، والقناعةُ بالصّور تأخرٌ عن قافلة السالكين، وهذه الحقيقة واللطيفة الإلهيّة ـ وهي العلم بالتأويل ـ تحصل بالمجاهدات العلميّة، والرّياضات العقليّة، مشفوعة بالرّياضات العمليّة، وتطهير النفوس، وتنزيه القلوب، وتقديس الأرواح كما قال الحقّ تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[2]. وبما أنَّ الراسخين في العلم والمطهّرين بقولٍ مطلق هم الأنبياء والأولياء المعصومون ﷺ، فعلمُ التأويل بجميع مراتبه مختصٌّ بهم. لكن لعلماء الأمّة أيضاً ـ بمقدار رسوخ قدمهم في العلم وطهارتهم ـ حظٌّ وافرٌ منه، ولهذا نُقل عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنّه قال: «أنا من الراسخين في العلم»[3].«[4].

---

(١) آل عمران: ٧.

(٢) الواقعة: ٧٩.

(٣) نقل هذا القول الشيخ الطبرسي ﷺ في تفسيره مجمع البيان، ج٢، ص٢٤١، تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾.

(٤) راجع: جنود العقل والجهل، للإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، المقدّمة، المقالة الخامسة، في شرحٍ إجماليٍّ لبعض ألفاظ الحديث الشريف، قوله ﷺ: «ثُمَّ جَعَلَ لِلْعَقْلِ خَمْسَةً وَسَبْعِينَ جُنْداً»، ص٤٨ ـ ٤٩.

الفهمُ الكامل للقرآن الكريم مختصٌّ بالإنسان الكامل

﴿ المحدود لا يمكنه الاحاطة بغير المحدود الا إذا أصبح هو أيضاً غير محدود. الإنسان الكامل غير محدود، الإنسان الكامل غير محدود في كل الصفات وهو ظل الذات الالهية المقدسة، بمقدوره تصور الإسلام كما هو، وتصور الإنسان كما هو، والبعثة كما هي، والقرآن كما هو، والعالم كما هو. الآخرون لهم تصوراتهم بحسب مراتب وجودهم وبحسب مراتب كمالهم، لكنها تصورات محدودة. عليهم هم انفسهم أن يسيروا ليبلغوا مراتب الكمال واحدة تلو الأخرى، فتكون لهم تصوراتهم وفهمهم لهذه الحقائق في حدود ما يبلغونه من الكمال.﴾[1].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل (قده) قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة بعثة الرسول الأكرم (ص)، خلال لقائه مدراء صناديق قرض الحسنة. راجع: صحيفة الإمام (قده)، مصدر سابق، ج١٢، ص٣٣٩.

أقسام آيات القرآن وفهمها

المحكم والمُتشابه

﴿ [القرآن] صَرَّحَ بأنَّ الآيات على نحوين: منها المحكمات التي لا تقبل التأويل ويفهمها جميع الناس، ومنها المتشابهات التي لا تأويل لها وهي من قبيل الرمز ولا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم.﴾[1].

فهم العلوم العقليّة من خلال القرآن

﴿ القرآن والحديث جاءا للأصناف المختلفة من الناس، وفيها علوم لا يفهمها إلا المخصوصون بالوحي ولا يستفيد منها الناس.

وفيه علوم هي للطبقة العالية من العلماء والآخرون لا يستفيدون منها، مثل البراهين على تجرّد الواجب وإحاطته القيوميّة، فلو فتّشتم القرآن كُلَّه فلن تستخرجوا هذه المسائل من القرآن، لكنَّ أهل هذه المسائل مثل الفيلسوف العظيم صدر المتألهين[2] وتلميذه ذي الشأن العظيم الفيض

---

(١) راجع: كشف الأسرار، للإمام الخميني ﷺ، المقالة السادسة: الحديث، ص٢٨٩، تحت عنوان: (نكتةٌ يجب أن تُعلم).

(٢) صدر الدين محمد بن إبراهيم ﷺ، الشيرازي مولداً والقُمّي مسكناً (٩٧٩هـ ـ ١٠٥٠هـ)، المعروف بـ«صدر المتألهين» و«الملا صدرا»، من أعظم الحكماء الإسلاميين، فقد كان واسع=

الكاشاني[1]، كانوا يستخرجون العلوم العقليّة العالية من هذه الآيات والأخبار التي لا تفهمون أنتم منها شيئاً.»[2].

=العلم بالمكاتب الفلسفيّة الإسلاميّة المنوّعة، فضلاً عن تبحره في الكلام والحكمة والعرفان، مُتمكناً من تدقيق وتحليل معضلات هذا الفن تمكناً تاماً، تعلم مقدمات العلوم ورحل إلى أصفهان فحضر درس الشيخ بهاء الدين العاملي ﷺ والميرداماد ﷺ، ثم ذهب إلى «كهك» من قرى «قم» واعتكف في جبالها وانعكف على العبادة والرياضة لمدة خمسة عشر عاماً. يقول ﷺ: «قد صرفنا العمر في بحث العلوم * لم يفدنا بحثنا غير الهموم * كُلُّ عمر ضاع في غير الحبيب * لم يكن فيه سوى الحسرة نصيب * أيها الساقي أدر كأساً بنا * ينجبر ما فات من أوقاتنا». فلما رأيتُ الحال على هذا المنوال من خلوّ الديار عمّن يعرف قدر الأسرار وعلوم الأحرار، وأنَّه قد اندرس العلم وأسراره، وانطمس الحق وأنواره. . . ضربتُ عن أبناء الزمان صفحاً، وطويت عنهم كشحاً، فألجأني خمود الفطنة وجمود الطبيعة لمعاداة الزمان وعدم مساعدة الدوران، إلى أن انزويت في بعض نواحي الديار، واستترت بالخمول والانكسار، منقطع الآمال، منكسر البال، متوفراً على فرضٍ أؤدّيه وتفريطٍ في جنب الله أسعى في تلافيه، لا على درسٍ ألقيه أو تأليفٍ أتصرّفُ فيه، إذ التصرف في العلوم والصناعات، وإفادة المباحث، ودفع المعضلات وتبيين المقاصد، ورفع المشكلات مما يحتاج إلى تصفية الفكر، وتهذيب الخيال عما يوجب الملال والاختلال. . . فتوجّهت توجهاً غريزياً نحو مُسبّب الأسباب، وتضرّعتُ تضرُّعاً جبلّيّاً إلى مُسهّل الأمور الصعاب. فلما بقيت على هذا الحال من الاستتار والانزواء، والخمول والاعتزال زماناً مديداً، وأمداً بعيداً، اشتعلت نفسي بطول المجاهدات اشتعالاً نوريّاً، والتهب قلبي لكثرة الرّياضات التهاباً قويّاً، ففاضت عليها أنوارُ الملكوت، وحلَّت بها خبايا الجبروت، ولحقتها الأضواءُ الأحديّة، وتداركتها الألطافُ الإلهيّة، فاطلعتُ على أسرار لم أكن أطلع عليها إلى الآن، وانكشفت لي رموزٌ لم تكن منكشفةً بهذا الانكشاف من البرهان، بل كُلّ ما علمته من قبل بالبرهان عاينته مع زوائد بالشهود والعيان. . .». وهناك ألَّفَ كتابَهُ العظيم «الحكمة المُتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة» فكان نتاج طي تلك الحقبة، ثم قرّر بناء مدرسته المعروفة بـ«الحكمة المُتعالية» وفق كتابه هذا فبالغ في بسطه وتحريره. وله أيضاً: «الشواهد الربوبيّة في المناهج السلوكيّة» و«أسرار الآيات» و«مفاتيح الغيب» و«شرح على أصول الكافي» و«تفسير القرآن الكريم».

(١) المولى محسن الكاشاني ﷺ، والمعروف بـ «الفيض الكاشاني»، تقدّمت ترجمتُهُ، فراجع.

(٢) راجع: كشف الأسرار، للإمام الخميني ﷺ، المقالة السادسة: الحديث، ص٢٨٩، تحت عنوان: (نكتةٌ يجب أن تُعلم).

الآيات العمليّة والعلميّة

﴿في القرآن نحوان، فهناك الآيات يجب على الناس العمل بها ويجب تنفيذها في البلد، وهناك الآيات العلميّة. وحيث كانت آيات النحو الأوّل عامّةً ومن أجل العمل، يجب أن تكون مناسبةً مع فهم العموم، وأن لا يكون فيه مجال للتأويل والتوجيه، فبالتأكيد إنَّ القانون الذي وضع لبلدٍ لا يجوز أن يوضع بنحوٍ لا يفهم ذلك القانون أهلُ البلد. نعم، يمكن أن يحتاج إلى تفسيرٍ وشرحٍ من العلماء، لكن هذا غير التأويل.

أما الآيات والأحاديث العلميّة فليس من الضروري أن يقولها القائل بنحوٍ يفهمها الجميع، بل لا يمكن أن يفهم هذه الأمور عامّة الناس وأن تبيّن حسب فهمهم.﴾[1].



(١) راجع: كشف الأسرار، للإمام الخميني ﷺ، المقالة السادسة: الحديث، ص٢٨٨، تحت عنوان: (نكتةٌ يجب أن تُعلم).

الحروف المقطَّعة وفهمها

الحروف المقطَّعة رمزٌ خاصٌّ بن المحبّ والمحبوب

﴿ يوجد اختلافٌ شديدٌ في الحروف المقطَّعة الواقعة في أوائل بعض السور. وما يوافق الاعتبار أكثر من غيره هو أنَّها إشارات ورموز تستعمل بين المحبّ والحبيب ولا يستطيع أحدٌ أن يعرف شيئاً عنها. وما ذكره بعض المفسّرين حول تلك الحروف حسب تخرّصهم وحدسهم فهو حدسٌ موهون لا مستند له غالباً. وفي حديث سفيان الثوري أيضاً إشارة إلى أنَّها رموز[1]. ولا يستبعد أن تكون أموراً فوق القدرة الاستيعابيّة للإنسان، وقد خصَّ الله سبحانه فهمها بالمخاطبين المخصوصين من أوليائه، [كذلك فإنَّ «المتشابه» ليس للجميع، وعلى كُلِّ حال فهؤلاء ـ خاصّة الأولياء ـ يعلمون تأويلها]. ﴾[2].

---

(١) راجع: معاني الأخبار، باب معنى الحروف المقطَّعة في أوائل بعض السور من القرآن، ح١، ص٢٢.

(٢) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، ص٣٧٨، الحديث الحادي والعشرون «الشكر»، في تفسير كلمة (طه).

الحروف المقطّعة أسرار العاشق والمعشوق

﴿إنَّ في هذه المخاطبة بين الحبيب والمحبوب والمناجاة بين العاشق والمعشوق أسراراً لا يدركها أحدٌ، كما لا يمكن الخوض فيها أبداً. وقد تكون الحروف المقطَّعة في بعض السور مثل: (ألم) (ص) (يس) من تلك الأسرار، كما أنَّ كثيراً من الآيات الكريمة التي يفسّرها أو يأوّلها أهلُ الظاهر والفلاسفة والمتصوّفة والعرفاء كُلٌّ على حسب تصوّره من هذا القبيل، وإن كان كُلُّ فريقٍ ينال حظّاً على أساس استيعابه. وإنَّ جانباً من هذه الأسرار ينتقل إلى الآخرين على قدر مؤهّلاتهم عبر أهل البيت عليهم السلام الذين جرى ذلك على أيديهم من ينابيع الوحي المتدفّقة.﴾[1].



(١) من رسالةٍ فيها مواعظ أخلاقيّة وعرفانيّة كان الإمام الراحل قدس سره قد كتبها مخاطباً فيها السيّدة فاطمة الطباطبائي زوجة نجله السيّد أحمد رحمه الله. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٨، ص٣٥٣ ـ ٣٥٤.

الراسخون في معرفة القرآن

الأئمة عليهم السلام حملة ظاهر وباطن القرآن

﴿ هذا الكتاب التكويني الإلهي وأولياؤه، الذين كُلُّهم كتب سماويّة، نازلون من لدن حكيم عليم، وحاملون للقرآن التدويني. ولم يكن أحدٌ حاملاً له بظاهره وباطنه إلا هؤلاء الأولياء المرضيّين، كما ورد من طريقهم عليهم السلام.

فمن طريق الكافي عن أبي جعفر عليه السلام أنَّهُ قال: «**ما يستطيع أحدٌ أن يدَّعي أنَّ عنده جميع القرآن كلّه، ظاهره وباطنه غير الأوصياء**»[1].

ومن طريق الكافي أيضاً عن جابر قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**ما ادَّعى أحدٌ من الناس أنَّهُ جمع القرآن كلَّه كما أُنزل إلا كذّاب. وما جمعه وحفظه كما أنزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، والأئمة من بعده عليهم السلام.**»[2]. ﴾[3].

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص٢٢٨، ح٢، «كتاب الحجة»، باب أنّه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنّهم يعلمون علمه كله.

(٢) أصول الكافي، ج١، ص٢٢٨، ح١، «كتاب الحجة»، باب أنّه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنّهم يعلمون علمه كله.

(٣) راجع: شرح دعاء السَّحَر، للإمام الخميني قدس سره، ص٥٨ ـ ٥٩، شرح قوله عليه السلام: «اللهم إني أسألك من كلماتك بأتمّها...».

فَهْمُ حقيقة القرآن مختصٌّ بالأولياء ﴿عليهم السلام﴾

﴿ [إنَّ] فهم عظمة أيّ أمرٍ [متوقفٌ] على إدراك حقيقته، وحقيقة القرآن الإلهي المجيد قبل تنزُّله إلى المنازل الخلقيّة وارتدائه أردية الفعليّة من الشؤون الذاتيّة والحقائق العلميّة في «الحضرة الواحديّة» وتلك حقيقة «الكلام النفسي» المتمثلة في «المقارعة الذاتيّة» في «الحضرات الأسمائيّة»، وهي حقيقة لا يحصل عليها أحدٌ بالعلوم المتعارفة ولا بالمعارف القلبيّة ولا بالمكاشفة الغيبيّة، عدا ما حصل بالمكاشفة الإلهيّة التامّة للذات المباركة للنبي الخاتم ﷺ في محفل أنس «قاب قوسين» بل في محل خلوة سرّ مقام «أو أدنى».

وآمال الأسرة الإنسانيّة قاصرةٌ عن بلوغ ذلك باستثناء الخلّص من أولياء الله ﴿عليهم السلام﴾ الذين اشتركوا في روحانيّة ذات النبي الخاتم ﷺ بحسب الأنوار المعنويّة والحقائق الإلهيّة، وفنوا في تلك الحضرة بالتبعيّة التامّة، فهم يتلقّون علوم المكاشفة بالوراثة عنه ﷺ، فانعكست حقيقة القرآن في قلوبهم بنفس تلك النورانيّة والكمال الذين تجلّت حقيقة القرآن بهما في قلبه المبارك ﷺ دون أن تتنزّل بالمنازل أو ترتدي أردية الأطوار، وهذا هو القرآن الخالص من التحريف والتغيير، المأخوذ مباشرةً من كتاب الوحي الإلهي.

وإنَّ من يستطيع تحمّل هذا القرآن هو الوجود الشريف لوليّ الله المطلق علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ والآخرون لا يقدرون على الحصول على هذه الحقيقة إلّا بعد تنزّلها من مقام الغيب إلى الشهادة ومرورها عبر الأطوار الملكيّة والاكتساء بكسوة الألفاظ والحروف الدنيويّة.﴾[1].

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني=

المعرفةُ الكاملةُ للقرآن خاصّةٌ بمن خوطب به

﴿في القرآن تبيانُ كُلِّ شيءٍ، فيه أحكامٌ شرعيّةٌ، وله ظاهرٌ، وفيه قَصَصٌ لا نستطيع أنْ نفهم لُبَابَها، ما نفهمه هو ظواهرها، والظواهرُ هي للجميع، لكن هناك شيئاً آخر ينتفع منه الجميع، أما الانتفاع الذي يجب أنْ يتحقق فهو انتفاعُ «إنَّما يعرف القرآن من خوطب به»[1]، واستناداً لهذا النص، فهذا الانتفاعُ مُختَصٌّ برسول الله ﷺ، والآخرون محرومون منه إلا بتعليمه، والأولياءُ أيضاً بتعليمه.﴾[2].

مشاهدة حقيقة القرآن الكريم بتوسّط النبي الأكرم ﷺ

﴿القضيةُ هنا ليست قضية إدراكٍ عقليٍّ، ولا قضيّةً برهانيّةً، بل هي قضيّةُ مُشاهَدَةٍ، ومُشاهَدَةٍ غَيبيَّةٍ، مشاهدةٌ ليست بالعين ولا بالنفس ولا العقل ولا القلب. المُشاهدةُ كانت لذلك القلب الذي هو قلب العالم، قلب نبي، هو وصل وأدرك وشاهد، وَلَكِنَّهُ لا يستطيع أنْ يُوضِحَ ذلك إلاّ في شكل الأمثلة والألفاظ، فكيف تستطيعون أنْ تُفهِمُوا الأعمى ما هي الشمس وما هو النور؟! بأيِّ لسانٍ وبأيِّ قولٍ؟! غَير أنَّ النور هو الشيء الذي يُضيء، وَلَكِنَّ الذي لم يَرَ النورَ كيف يمكنُ تَفْهِيمُهُ مَعْنَاهُ؟!

=الراحل ﷺ، مصدر سابق، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الأوّل، أدب التعظيم.

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤٩، «تاريخ الإمام محمد الباقر ﷺ»، الباب٢٠، الحديث٢.

(٢) تفسير سورة الحمد، للإمام الخميني ﷺ، الفصل الثالث، الدرس الثالث من الدروس التفسيريّة المعرفيّة، ص٢٥١.

هذه العقدة هي التي في اللسان، وَطَرَفُها في الأُذن، وهذه هي العقدة التي كانت في أَلسِنة الأنبياء عليهم السلام.

عِقْدَةُ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أشدُّ من الجميع، فإلى من يتحدّث عن الذي شَاهَدَهُ وما نزل عليه من القرآن، سوى لمن وصل إلى مقام الولاية التامّة؟! وَلَعَلَّ أحد معاني حديث: «**ما أُوذِي نبيٌّ مِثْلَ ما أُوذِيت**»[1] ـ لو صَحَّت نِسْبَتُهُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ـ هو في الأذى الناتج عن عدم قُدْرَةِ الإنسان على إيصال ما يجب إيصالُهُ، أذى ذلك الذي لا ينبغي له أنْ يُخبر عَزِيزَهُ بالذي شاهده وهو أسمى من كُلِّ ما شَاهَدَهُ الجميع وأدركوه.

ما أَشَدّ أذى ذلك الوالد الذي يُريدُ أنْ يُشَاهِدَ وَلَدُهُ الشمسَ ولكنَّ وَلَدَهُ ضَرِيرٌ، يُريدُ أنْ يُوضِحَ له هذا النور وَلَكِنْ كيف؟! هل يتحقّق ما يُريدُ من خلال عناوين جميعها مجهولة لا غير؟!»[2].

كشف أبعاد القرآن بنزوله من مقام الغيب

«إنَّ لغة القرآن، التي هي من البركات الكبرى لبعثة رسول الله صلى الله عليه وآله، هي لغة السهل الممتنع. ربَّما يتصور كثيرون أنَّ بوسعهم أن يفهموا القرآن

(١) بحار الأنوار، ج٣٩، ص٥٦، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، الباب٧٣، في مساواته عليه السلام يعقوب ويوسف عليهما السلام. مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٤٢، باب في النكت واللطائف. قال ابن عربي في تفسيره، ج١، ص١٥١: «وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ بَيَاناً لفضله: «ما أوذي نبيٌّ مثل ما أوذيت»، كأنَّهُ قال: ما صفى نبيٌّ مثل ما صفيت. ولقد أحسن من قال: «لله دُرُّ النائبات فإنَّها / صدأُ اللئام وصَيقَلُ الأحرار»، إذ لا يظهر على كُلٍّ منهم إلا ما في مكمن استعداده، كما قيل: عند الامتحان يُكْرَمُ الرَّجُلُ أو يُهان».

(٢) تفسير سورة الحمد، للإمام الخميني قدس سره، الفصل الثالث، الدرس الثالث من الدروس التفسيريّة المعرفيّة، ص٢٥٣.

كونه يبدو في الوهلة الأولى سهلاً. إنَّ الكثير من أرباب المعرفة والفلاسفة يتصوّرون أنَّهم فهموا القرآن لمجرد أنَّهم أدركوا أحد أبعاده. بيد أنَّ القرآن ذو أبعاد لم تتّضح لأحدٍ من الكائنات ـ الملك والملكوت ـ قبل أن يبعث الرسول الأكرم ﷺ وقبل أن يتنزّل القرآن من مقام الغيب ويتجلّى بمظهره النزولي على قلب رسول الله ﷺ. فبعد أن اتّصل المقام النبوي المقدّس للولي الأعظم ﷺ بمبدأ الفيض ـ بالمقدار الذي كان قابلًا للاتّصال ـ اكتسب القرآن مرتبة النازل المنزّل وتجلّى في قلبه المبارك، ومع نزوله إلى المراتب السبع جرى على لسانه المبارك. وإنَّ القرآن الموجود في أيدينا هو النازلة السابعة للقرآن وهو من بركات البعثة. وإنَّ هذه النازلة السابعة نفسها أوجدت من التحول في العرفان الإسلامي والعالمي، مما جعل أهل المعرفة ينالون شمَّةً منه، ومن غير المعلوم [إن كانت اتضحت] وإن كانت ستتضح للإنسان أبعاد القرآن كلّها.»[1].

المُدرِكُ لحقائق القرآن هو من خوطب به

«معنى قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[2] الذي ورد في هذه الآيات، هو أنَّه معنا فهو هنا ونحن هنا، وهذه المعيّة التي يسميها الفلاسفة «المعيّة القيوميّة» لا تحلّ المشكلة. فهل هي من قبيل العلّة والمعلول؟ أم أنَّها معيّة التجلّي وصاحب التجلّي؟ إنَّ الأمور ليست هذه.

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ذكرى المبعث النبوي الشريف، خلال لقائه رؤساء السلطات الثلاث وكبار المسؤولين من العسكريين والمدنيين وجمعاً من الشخصيّات السياسيّة والعلميّة والفكريّة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٧، ص٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٢) الحديد: ٤.

إنَّ المتعمّقين في القرآن في آخر الزمان يدركون الأمور أفضل من غيرهم لعمق إدراكهم، إلّا أنَّ حدَّ القرآن هو ما قيل عنه: «**إنَّما يَعْرِفُ القرآن مَنْ خُوطِبَ به**»[1]، فمعنى (يعرف القرآن من خوطب به) ينطبق على آيات من هذا القبيل، فالآيات التي ترتبط بالأحكام الظاهرة والنصائح يدركها الجميع.

(فلا يعرفه إلا من خوطب به) يقصد به الرسول الأكرم ﷺ، أي إنَّ من كان واسطة الوحي ـ أي جبرائيل عليه السلام نفسه ـ لا يستطيع فهمها. فلقد كان جبرائيل الأمين عليه السلام واسطة لقراءة ما ورد من الغيب على الرسول ﷺ، وكان مكلّفاً بإيصاله ولكنَّهُ ليس مصداقاً لمن خوطب به. فمن خوطب به ينطبق على الرسول الأكرم ﷺ نفسه. وإنَّ الآخرين أدركوا من خلال النور الذي انتقل من قلبه إلى قلوب خواص أصحابه، ولكن أمثالنا من البشر العاديين عاجزين عن إدراك معنى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ وأي نوع من المعيّة هذه. وما معنى هو نور السموات والأرض ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2].

ما هو ذلك الشيء؟ ما معنى نور السموات؟ وكيف هو نور السموات؟ ولذلك سمّي «مُنَوِّرُ السموات» ولاعلاقة لذلك بالآية.

إنَّ التطور المعنوي والعرفاني الذي ظهر من خلال القرآن يفوق جميع المسائل، وإنَّ البشر نظروا إلى القرآن كُلٌّ من زاويةٍ خاصّة.

فهناك من نظر إلى البعد الظاهري، والبعض الآخر نظر إلى البعد الاجتماعي، وآخرون نظروا إلى البعد السياسي، وكذلك نظر البعض إلى البعد الفلسفي، وآخرون إلى البعد العرفاني أو المعرفي، ولكنَّ البعد

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤٩، «تاريخ الإمام محمد الباقر عليه السلام»، الباب٢٠، الحديث٢.

(٢) النور: ٣٥.

الحقيقي الكامن بين المحبّ والمحبوب والسرّ الموجود بين الله والرسول الأكرم ﷺ ليس أمراً هيّناً نستطيع نحن إدراكه، وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّهُ قال: أنَّهُ قال: «**إنَّني أستطيع استخراج جميع الأحكام والشرائع من لفظة (الصمد)**»[1].

إنَّ هذا موضوعٌ مهمٌ. طبعاً نستطيع نحن أيضاً إدراك أصول المعارف من (الصمد) لكنَّهُ عليه السلام يقول أشياء أكبر من ذلك.

على أيّ حال من المؤسف للبشر أنَّهم لا يريدون أن يعرفوا، لم يسلكوا طريق المعرفة. لم يسلكوا طريق معرفة كتاب الله عزّ وجلّ. لم يقيموا علاقةً مع مصدر الوحي حتى يُفَسَّرُ الأمرُ لهم من مصدر الوحي. إنَّ هذه العلاقة كانت قائمةً بين رسول الله ﷺ وبين الله عزّ وجلّ وكانت موجودةً تبعاً لذلك بينه وبين خواص أصحابه.[2].

---

(١) جاء في بحار الأنوار، ج٣، كتاب التوحيد، الباب٦، معنى الواحد والأحد والصمد، ح١٥، ص٢٢٥، عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنَّهُ قال: «لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عزّ وجلّ حملةً لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد، وكيف لي بذلك ولم يجد جدي أمير المؤمنين عليه السلام حملةً لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ويقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني فإنَّ بين الجوانح مني علماً جمّاً، هاه هاه، ألا لا أجد من يحمله، ألا وإني عليكم من الله الحجة البالغة، فـ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾».

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ميلاد النبي الأكرم ﷺ وحفيده الإمام الصادق عليه السلام، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي حفظه الله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس وأعضاء مجلس الوزراء، رئيس وأعضاء مجلس الشورى، المسؤولين العسكريين والإداريين والشخصيات العلمائية، وفئات شعبيّة مختلفة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٨، ص٢١٥ ـ ٢١٦.

تفاوت استفادة النبي ﷺ من القرآن مع استفادة الآخرين

﴿ القرآن نعمةٌ ينتفع بها الجميع، لكنَّ ما يستفيده النبيّ الأكرم ﷺ من القرآن غير الذي يستفيده الآخرون «إنَّما يَعْرِفُ القرآن مَنْ خُوطِبَ به»[١] والآخرون لا يعلمون، فالذي نزل عليه القرآن يعلم ما هو، وكيف نزل، وما الهدف من هذا النزول، وما هو محتواه وغايته؟ وإنَّ الذين تربّوا بتعاليمه يعلمون كذلك بسبب هذه التربية.

إنَّ عمل الأنبياء ﷺ يتمثَّل بطرحهم المسائل العرفانيّة الدقيقة بلغة يفهمها كُلُّ واحدٍ بشكل من الأشكال أمّا المعنى الحقيقي فيفهمه ذوو الأفق الأعلى مستوى، وهذا الفن هو في القرآن أعلى من كُلِّ مستوى، كما أنَّهُ يوجد في الأدعية أيضاً.﴾[٢].

القرآن الكريم مبدأ جميع المعارف ومبدأ العرفان

﴿ في القرآن الكريم إشاراتٌ لطيفةٌ جداً، وبما أنَّها جاءت للناس كافّة فقد قيلت بشكلٍ يفهمه الخاصّ والعامّ، فالقرآن الكريم مركز العرفان كُلِّه، ومبدأُ كُلِّ المعارف، لكنَّ فهمها صعبٌ. لقد فهمه من خوطب به ومن كان متّصلاً برسول الله ﷺ، وهؤلاء ﷺ يعلمون الحقيقة ويعرفون ماذا كانت

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤٩، «تاريخ الإمام محمد الباقر ﷺ»، الباب٢٠، الحديث٢.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﵀ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة عيد الأضحى المبارك، خلال لقائه رئيس مجلس الشورى الإسلامي، أعضاء رابطة المدرسين وأساتذة الحوزة العلميّة في قم، أساتذة الجامعات في البلاد، مسؤولي وزارة الثقافة والتعليم العالي، أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافيّة، علماء الدين في طهران، أعضاء مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلميّة في قم، منظمة الإعلام الإسلامي في طهران، وسفراء الدول الإسلاميّة. راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج١٩، ص٣٠٨ ـ ٣٠٩.

مقاصد الأنبياء ﷺ وأهدافهم. أمّا نحن فبعيدون عنه ومهجورون، لكنَّ عنايات الله تعالى كثيرة ويقبل منّا ما يتأتّى من أيدينا نحن المهجورين، لكنَّ علينا أن نتابع هذا المقدار الذي يتأتّى من أيدينا في العمل والعلم والأخلاق وفي سائر الأمور، ولو تحرّكنا بهذا المقدار فهو حسنٌ وجنّاتُ عدن موجودةٌ.«[١].

عليٌّ عليه السلام وإدراك العلوم والمعارف القرآنيّة

» في بُعد العلوم والمعارف، من شاهد أدعية ذلك الإمام الهمام عليه السلام وتأمّل في كتاب نهج البلاغة يعلم مرتبته ومنزلته؛ أي إنَّهُ عليه السلام أدرك العلوم والمعارف القرآنيّة، وكذلك حال من علمه مثل أئمة الهدى عليهم السلام.

دعوى امتلاك المعارف يسيرٌ جداً، فينظم الإنسان الشعر والنثر ويدّعي ما يشاء، وكثيراً ما حصل ذلك. لكن ما هي حقيقة الموضوع؟ عندما نُمْعِنُ النظر في أنفسنا لا نستطيع إيجاد شبهٍ بيننا وبينه عليه السلام.«[٢].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ميلاد النبي الأكرم ﷺ وحفيده الإمام الصادق عليه السلام، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس وأعضاء مجلس الوزراء، رئيس وأعضاء مجلس الشورى، المسؤولين العسكريين والإداريين والشخصيات العلمائيّة، وفئات شعبيّة مختلفة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٩، ص٣٧٧ ـ ٣٧٨.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة مولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، خلال لقائه رئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس مجلس الوزراء، رئيس مجلس الشورى، سفراء الدول الأجنبيّة والقائمين بأعمالها المقيمين في إيران، وعدداً من المسؤولين العسكريين والإداريين، وعلماء الدين. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٩، ص٣٧٧ ـ ٣٧٨.

إدراك خُلَّصُ أولياء الله لمعارف القرآن

﴿ هذا الكتاب السماوي الإلهي يحتوي على جميع الأسماء والصفات والآيات البيّنات بصورة حسيّة وخطّية، ونعجز عن درك منازله الغيبيّة، ولا يحيط بأسراره سوى الوجود الجامع المقدّس، أي «مَنْ خُوطِبَ به»[١]. فأدرك خُلَّصُ أولياء الله العظام ﷺ كنه ذلك ببركة تلك الذات المقدّسة وبفضل تعليمه ﷺ، واستفاد خُلَّصُ أهل المعرفة بشعاعٍ منه بقدر استعدادهم ومراتب سيرِهم ببركة المجاهدة والرياضة القلبيّة. والآن نمتلك نُسَخَهُ الخطّيّة بعدما نزل على لسان الوحي بدون أي زيادةٍ أو نقيصةٍ في حرف منه، وبرغم تعذر إدراك الأبعاد المختلفة له، والتي تتضمّن مراحل ومراتب كذلك، فليستفد منه أهل المعرفة والتحقيق بمقدار علمهم وقابليتهم في مجالاته المختلفة ويعلموه للآخرين، وليمحّص أهلُ الفلسفة والبرهان الرموزَ الخاصّة بهذا الكتاب الإلهي، ويكشفوا براهين الفلسفة الإلهيّة ويضعوها في متناول أيدي أهلها. وليهدي الأحرار ذوو الآداب القلبيّة والرقابة الباطنيّة جرعةً ممّا «أدَّبني رَبّي»[٢] للظمآنين إلى هذا الكوثر؛ ليتأدّبوا بآداب الله قدر المستطاع. وليتحف المتّقون المتعطّشون للهداية طلّابَ الهداية الإلهيّة وعشّاقها ببريقٍ من نور التقوى من معين «هُدىً للمتقين»[٣] الذي لا ينضب.﴾[٤].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤٩، «تاريخ الإمام محمد الباقر ﷺ»، الباب٢٠، الحديث٢.

(٢) روى الشيخ المجلسي ﵀ في بحار الأنوار، ج١٦، تاريخ النبي محمّد ﷺ، باب مكارم أخلاقه، ص٢١٠، عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «أدَّبني رَبّي فأحسن تأديبي».

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في الآية ٢ من سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

(٤) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﵀ قد توجه به من حسينيّة جماران في «طهران»، إلى مسلمي إيران والعالم وزائري بيت الله الحرام. راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج٢٠، ص٨١.

فهمُ أهل المعرفة ومُتَعمِّقي آخر الزمان للقرآن الكريم

القرآنُ شاملٌ لكمال المعرفة

❁ سُئل عليُّ بن الحسين عليه السلام عن التوحيد، فقال: «إنَّ الله عزّ وجلّ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخرِ الزَّمَانِ أقْوامٌ متعمّقون فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1]، والآياتِ مِنْ سُورة الحَديدِ إلى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[2] فَمَنْ رامَ وَراءَ ذلك فَقَدْ هَلَكَ»[3].

إذاً، يتضح أنَّ هذه الآيات التي تشير إلى التوحيد، وتنزيه الله، والبعث، ورجوع الكائنات [إلى الله] نزلت للمتعمّقين وأهل التفكير العميق.

فهل مع كُلِّ هذا يمكن القول إن التفكّر في ذات الله حرام؟ أيُّ حكيمٍ أو عارفٍ جاء بمعارف أكثر مما جاء في أول سورة الحديد؟ إنَّ منتهى معرفتهم هو الوصول إلى قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4]. هل هناك أفضل بياناً في وصف الله تعا لى وتجلّى ذاته المقدَّسة من الآية الشريفة: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[5].

---

(١) التوحيد: ١.

(٢) الحديد: ٦.

(٣) أصول الكافي، ج١، كتاب التوحيد، باب النسبة، ح٣، ص٩١.

(٤) الحديد: ١.

(٥) الحديد: ٣.

أُقْسِمُ بحياة الحبيب أنَّهُ لو لم تكن لبيان حقّيّة كتاب الله الكريم غير هذه الآية الشريفة لكفت ذوي القلوب.

إرجعوا قليلاً إلى كتاب الله، وإلى خُطَبِ رسول الله ﷺ، وأخبار خلفائه المعصومين عليهم السلام، وقارنوا لتروا مَنْ مِنَ الحكماء والعارفين جاء ببيانات أجلى وأوضح مما جاء بها أولئك في كُلِّ موضوعٍ من مواضيع المعارف؟ إنَّ أقوالهم عليهم السلام مشحونةٌ بوصف الحقّ والاستدلال على ذات الله وصفاته المقدَّسة، بحيث أنَّ كُلَّ طائفةٍ تحظى على قدر سعتها وإدراكها.»[1].

اختصاص المعارف العالية بخواصّ أهل المعرفة

«إنَّ ما ورد في ذيل الحديث الشريف من قوله عليه السلام: «فَمَنْ رامَ وَراءَ ذلك فَقَدْ هَلَكَ»[2]، إشارة إلى أنَّ هذا المستوى من المعارف المذكورة في هذه الآيات الشريفة وسورة التوحيد المباركة، هو منتهى العلوم البشريّة، وغايتها القصوى. فلو ظنَّ أحدٌ بأنَّ فوق هذا المستوى من المعارف، معارف أخرى لسقط في الخطأ.

كما وأنَّ الأقلّ من هذا المستوى الأعلى من المعارف التي تتوفر في هذه الآيات المباركة، يعدُّ أيضاً من الهلاك والموت ومن الجهل بمقام الربوبيّة.

ومن الواضح أنَّ هذا الحديث الشريف يحثّ الإنسان على التأمّل والتفكّر في هذه الآيات المباركات، ولكن لكُلِّ علمٍ أهل، ولكُلِّ ميدانٍ فارس، ولا يحسبن إنسانٌ بأنَّهُ يستطيع بفكره وتأمّله وعلى أساس الظهور العرفي،

---

(١) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، ص٢٢٣، الحديث الثاني عشر «التفكر»، في بيان التفكر الممنوع والمرغوب في ذات الحقّ.

(٢) أصول الكافي، ج١، كتاب التوحيد، باب النسبة، ح٣، ص٩١.

استيعاب آيات التوحيد، سواء كانت في سورة التوحيد المباركة، أو في هذه الآيات المباركة، أو في آياتٍ قرآنيّةٍ أخرى، أو استيعاب الأخبار الشريفة والخطب والأدعية ومناجاة الأئمة ﷺ المعبّأة والمشحونة بالمعارف، إن هو إلا وهمٌ فارغٌ، ووسوسةٌ شيطانيّةٌ.

وإنَّ الشيطان الصادّ لطريق الإنسانيّة قد نصب كميناً للإنسان، حتى يمنعه عن المعارف، ويوصد عليه أبواب الحكمة والمعرفة، ويتركه في وادي الضلالة والحيرة، بمثل هذه الأوهام الواهية التي يلقي بها الإنسان من أنَّهُ يستطيع أن يفهم القرآن بنفسه، ويتعرَّف على المعارف الإلهيّة بمراجعة آيات الله الكريمة والأحاديث الشريفة، من دون الحاجة إلى فلسفةٍ وترويضٍ ومجاهدةٍ.

والله شهيد على ما أقول وكفى به شهيداً إنَّني لا أروم من هذا الكلام التشجيع على دراسة الفلسفة التقليديّة أو العرفان التقليدي، بل المقصود، هو دفع إخواني المؤمنين وخاصّةً أهل العلم، نحو معارف أهل البيت ﷺ، وحثهم على قراءة القرآن وعدم الابتعاد عنه، فإنَّ الهدف الأهم والأسمى لبعثة الرسل ﷺ وإنزال الكتب هو معرفة الله ﷻ، التي تتوفر في ظلّها سعادة الدنيا والآخرة.

ولكن المؤسف أنَّ الإنسان ما دام يعيش في هذا العالم، فهو واقع في الحجب المختلفة، التي تمنعه من رؤية طريق السعادة. وكُلَّما دعاه الأولياء والأنبياء ﷺ والعلماء ونصحوه لم يَفِقْ من نومه، ولم يصغِ لهذه الإرشادات. وعندما يستيقظ، يجد السعادة قد أفلتت من يديه ولا يملك إلا الحسرة والندامة.»[1].

(١) راجع: الأربعون حديثاً، للإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، الحديث الموفّي للأربعين «تفسير سورة التوحيد والآيات الأولى من سورة الحديد»، خاتمة، ص٦٩٠.

اختصاص لطائف العلوم الإلهيّة بأهل المعرفة وأصحاب الأنظار الدقيقة

﴿ يتّضح من هذا الحديث الشريف[١]، أنَّ فهم هذه الآيات الشريفة وهذه السورة المباركة، هو من حقّ المتعمّقين وأصحاب الأنظار الدقيقة، وأنَّ دقائق التوحيد وأسراره مطوية فيها، وأنَّ الحقّ تعالى قد أرسل لطائف العلوم الإلهيّة لأهلها، فلا يحقُّ لمن ليس له نصيبٌ من أسرار التوحيد والمعارف الإلهيّة إبداء رأيه في هذه الآيات، كما لا يحقّ له حملها وقصرها على المعاني العاميّة السياقيّة التي يفهمها هو.﴾[٢].

فهمُ المعارف التوحيديّة في القرآن الكريم

﴿ والجديرُ بالعلم أنَّ هذه المعارف ـ بدءاً من المعرفة بالذات وانتهاءً بالمعرفة بالأفعال ـ وردت في هذا الكتاب الإلهي الجامع بصورةٍ تتيح لكُلِّ طبقةٍ إدراك ما يمكنها منها، كما هو الحال في الآيات الواردة في التوحيد مثلاً ـ لاسيّما توحيد الأفعال ـ فعلماء الظاهر والمُحَدِّثون والفقهاء (رضوان الله عليهم) يفسّرونها ويشرحونها على نحوٍ يختلف ويتباين بصورةٍ كاملةٍ عمّا ينتهجه أهل المعرفة وعلماء الباطن من منحى في تفسيرها.

وأنا ـ العبد لله ـ أعتقد بصحّة كلا التفسيرين، كُلٌّ في محلّه. فالقرآنُ الكريمُ شفاءٌ للأمراض الباطنة، وهو يعالج كُلَّ مريضٍ بنحوٍ خاصّ.

---

(١) إشارة إلى قوله ﷺ: «فَمَنْ رامَ وَراءَ ذلك فَقَدْ هَلَكَ».

(٢) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الثاني، آداب تلاوة القرآن، الفصل السادس، نفحةٌ من تفسير سورة التوحيد المباركة، ص٤٣٠.

فالآيات الكريمة: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[١]، و﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢]، و﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[٣]، و﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[٤]، و﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[٥] وغيرها ممّا ورد في توحيد الذات، والآيات الكريمة الواردة في توحيد الصفات، كالآيات الاخيرة من سورة الحشر، و﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[٦]، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٧]، و﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٨] وغيرها ممّا ورد في توحيد الأفعال، يدلُّ بعضها على نوع التوحيد بوجه دقيقٍ، في حين إنَّ بعضها يدل على ذلك بنحوٍ عرفانيٍّ أدقّ، وهي كُلُّها شفاءٌ لأمراضٍ بذاتها بالنسبة لكُلِّ طبقةٍ من طبقات علماء الظاهر والباطن.

كذلك فإنَّ بعض الآيات الشريفة كالآيات الأولى من سورة الحديد وآيات سورة التوحيد المباركة قد وردت ـ كما يشير إلى ذلك الحديث الشريف المروي في الكافي[٩] للمتعمّقين من أهل آخر الزمان، مع أنَّ أهل الظاهر أيضاً أخذوا منها ما ينفعهم وهذه من معجزات هذا الكتاب الشريف وجامعيّته.»[١٠].

---

(١) الحديد: ٣.

(٢) النور: ٣٥.

(٣) الزخرف: ٨٤.

(٤) الحديد: ٤.

(٥) البقرة: ١١٥.

(٦) الأنفال: ١٧.

(٧) الفاتحة: ٢.

(٨) الجمعة: ١. وكذلك: التغابن: ١.

(٩) إشارة إلى حديث الإمام علي بن الإمام الحسين عليه السلام المتقدّم.

(١٠) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني=

إدراكُ أهل المعرفة للتوحيد في القرآن الكريم

نرى أنَّهُ أحياناً في نصف سطرٍ بصورةٍ غير مشابهةٍ للبرهان يُبيّن برهاناً بيَّنه الحكماء بمقدِّمات كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2]، حيث إنَّهما برهانٌ دقيقٌ على التوحيد، وكُلٌّ من هاتين الآيتين محتاجة إلى صفحاتٍ من الشرح كما هو واضح عند أهل البيان، وليس لغيرهم حقّ التَّصرُّف فيها ولو كان الكلامُ موّجهاً للجميع، فكُلٌّ يفهمُ منه بقدر إدراكه، ومثل قوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[3]، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[4]، وقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[5]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾[6]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[7]، حيث إنَّ كُلَّ آيةٍ منها إشارة إلى العلوم الرفيعة والحكمة لما قبل الطبيعة بوجهٍ عرفانيٍّ.[8].

=الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الثاني، بيان مقاصد ومطالب ومحتويات الكتاب الإلهي الكريم على نحو الإجمال، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(١) الأنبياء: ٢٢.

(٢) المؤمنون: ٩١.

(٣) الملك: ١٤.

(٤) الحديد: ٤.

(٥) البقرة: ١١٥.

(٦) الزخرف: ٨٤.

(٧) الحديد: ٣.

(٨) راجع: جنود العقل والجهل، للإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، المقدّمة، المقالة الخامسة، شرح قوله عليه السلام: «ثم جعل للعقل خمسةً وسبعين جنداً»، نكتةٌ، ص٥٠.

ضرورة الذوق العرفاني في إدراك وفهم القرآن

كم من المسائل العرفانيّة في القرآن الكريم وفي مناجاة الأئمة عليهم السلام، لا سيّما المناجاة الشعبانيّة[١]، غير أنَّ الأشخاص والفلاسفة والعرفاء الذين بوسعهم استيعابها إلى حدٍّ ما، غير قادرين على تجسيدها في الوجدان بسبب غياب التوجه العرفاني.

انظروا إلى الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[٢]، لقد تحدَّث المفسّرون والفلاسفة عن هذا الموضوع، غير أنَّ الذوق العرفاني بات قليلاً.

«إلهي هبْ لي كمال الانقطاع إليك وأَنِرْ أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرِقَ أبصار القلوب حُجُبَ النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقةً بعزّ قدسك. إلهي واجعلني ممن ناديته فأجابك وناجيته فصعق لجلالك»[٣].

فهذه عناوين تبدو للإنسان سهلةً متصوَّرةً. غير أنَّ أيّاً من العارف

---

(١) راجع: مفاتيح الجنان، ص٢٢٨، في أعمال شهر شعبان العامّة، الثامن، مناجاة الأمير عليه السلام الشعبانيّة. ويقول الإمام الراحل قدس سره في حق هذه المناجاة: «وهي المناجاة التي كان يقرأها جميعُ الأئمة عليهم السلام ـ حسبما وَرَدَ في الروايات، ولم أر في الروايات غيرها دعاءً له هذه الميزة». راجع: تفسير سورة الحمد، الفصل الثالث، الدرس الرابع من الدروس التفسيريّة المعرفيّة، ص٢٩٨ ـ ٢٩٩. أقول: روى السيّد ابن طاووس في إقبال الأعمال، ج٣، ص٢٩٥، عن ابن خالويه أنَّهُ قال: «إنَّها [أي المناجاة الشعبانيّة] مناجاةُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده عليهم السلام، كانوا يدعون بها في شهر شعبان».

(٢) النجم: ٨ ـ ٩.

(٣) راجع: مفاتيح الجنان، ص٢٢٨، في أعمال شهر شعبان العامّة، الثامن، مناجاة الأمير عليه السلام الشعبانيّة.

والفيلسوف والعالم ليس بوسعه أن يدرك كُنْهَ المسألة، مسألة «**فَصَعِقَ لجلالك**»، التي مبدؤها القرآن. وكذلك ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[1]، حيث يتصوّر الإنسان أنَّهُ سقط وأُغمي عليه «صعق»، ولكن ماذا كان الصعق؟ ما هو صعق النبي موسى عليه السلام؟ هذه مسألةٌ لا يفهمها غير النبي موسى عليه السلام.

وكذلك مسألة «دنى فتدلى» التي ليس بوسع أحد أن يفهمها ويدركها ويذوب فيها غير ذلك الذي حصل له (الدُنُوّ). إلى غير ذلك من العبارات الواردة في هذه المناجاة العظيمة، التي تبدو في الظاهر سهلةً مفهومةً، غير أنَّها في الحقيقة ممتنعة على الفهم، وأنَّ الإنسان بحاجةٍ إلى رياضاتٍ كثيرة حتى يتسنّى له فهم «**ناجَيْتَهُ**» بفتح التاء، وليس (ناجيتُه) بضم التاء. فماذا تعني «**ناجَيْتَهُ**»؟ هل المقصود أنَّ الله تعالى يناجي الإنسان؟ وما هذه المناجاة؟ ما الذي أراده الأئمة عليهم السلام من ذلك؟ إني لم أرَ مثل هذه التعابير في أدعية أخرى غير هذا الدعاء.

لقد كان الأئمة عليهم السلام جميعاً يقرؤون هذه المناجاة، وهذا دليلُ على عظمتها. جميعُ الأئمة عليهم السلام كانوا يقرؤون هذه المناجاة، فماذا يعني ذلك؟ ما هذه المسائل التي كانت بينهم وبين الله تبارك وتعالى؟

«**هَبْ لي كمال الانقطاع إليك**»، **فما هو كمال الانقطاع؟** و«**بيدك لا بيد غيرك زيادتي ونقصي ونفعي وضرّي**»، فالإنسان ـ حسب الظاهر ـ يقول: إنَّ كُلَّ شيءٍ بيده، غير أنَّ معنى ذلك هو: لن يصيبنا ضررٌ إلا بيده، ولن تتحقّق أيّةُ منفعةٍ إلا به، فهو الضارّ والنافع. ولكن أيدينا قاصرةٌ عن أمثال هذه الأمور، وأسأل الله تعالى أن يوفقنا في هذا الشهر الكريم[2] وكذلك شهر

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) يشير الإمام الراحل قدس سره إلى شهر شعبان المعظّم.

رمضان المبارك، لتحقيق ولو لمحة بسيطة من هذه الأمور في قلوبنا. على الأقل أن نؤمن بما تعنيه قضية (الصعق). أن نؤمن بماهيّة مناجاة الله مع الإنسان، أن نؤمن على الأقلّ بالمناجاة [وأن لا ننكرها]، ولا نقل عنها بأنّها كلام دراويش.

كُلُّ هذه المسائل موجودةٌ في القرآن بنحوٍ لطيفٍ، وفي كتب الدعاء المتوافرة بين أيدينا، والتي وصلت إلينا عن طريق أئمة الهدى عليهم السلام. فهي ليست بلطافة القرآن الكريم ولكنّها لطيفةٌ أيضاً. وأنَّ كُلَّ الذين استخدموا هذه الألفاظ فيما بعد كانوا قد استعاروها من القرآن الكريم والحديث الشريف، سواء عن علم أو دون علم. وربّما لا يعتبرون سندها صحيحاً أيضاً. وطبعاً فإنَّ القلّة هم الذين بوسعهم إدراك معنى ذلك. فكيف إذا ما تذوقته الروح وأنست به. فهذه مسألةٌ تفوق تلك المسائل.»[1].

في القرآن آياتٌ خاصّة بأهل المعرفة

«كما تعلمون ثمّة في القرآن، آيات شريفة يستفيد منها أغلب الناس، كما توجد آيات يستفيد منها الفقهاء العظام. وهناك آيات يستفيد منها الفلاسفة، وآيات تنفع العرفاء، وآيات خاصّة بالأولياء، وهناك آيات اختصّ بها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ووصلت من خلاله إلى أناس جديرين بها.

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ذكرى مولد الإمام الحجة بن الحسن صاحب الزمان عجل الله فرجه، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي حفظه الله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس وأعضاء مجلس الوزراء، رئيس وأعضاء مجلس الشورى، علماء الدين، كبار مسؤولي الدولة من مدنيين وعسكريين، وفئات شعبيّة وسياسيّة واجتماعيّة مختلفة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٧، ص٣٧٠ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٢.

كما يتضمّن القرآن آيات نزلت في هذا المجال يستفيد منها أهل العلم، من قبيل: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، و﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[2]، و ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[3]، وآيات من هذا القبيل يمكن أن يفسّرها البعض حسب تعابيرها ومعانيها، لكنّها في الواقع صعبة الفهم على غير المخاطبين بها.

فمثلاً، ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[4]، عندما وصلت الينا قرأناها [هو المُظْهِرُ]، فالمسألة ليست كذلك. كما أنَّ آية ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[5] عندما وصلت بأيدي الناس العاديين فهموها بمعنى (مُنَوِّرُ السمواتِ والأرضِ)، في حين أن معناها ليس هذا. ويصدق الأمرُ نفسه بالنسبة للروايات.»[6].

سورتي التوحيد والحديد ومُتَعمِّقي آخر الزمان

«الآياتُ التي أشارت إليها الروايات بأنّها نزلت لمن يتعمّقون في الأمور في آخر الزمان، مثل سورة التوحيد والآيات الست من سورة الحديد[7]، لا أظن أنَّ أسرارها تنكشف للبشر لاحقاً كما يجب. طبعاً إنَّ

(١) النور: ٣٥.

(٢) الحديد: ٣.

(٣) الحديد: ٤.

(٤) الحديد: ٣.

(٥) النور: ٣٥.

(٦) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة عيد الأضحى السعيد، خلال لقائه مسؤولي الجمهوريّة الإسلاميّة وشخصيات عسكريّة ومدنيّة، وجمعاً من أبناء الشعب. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٨، ص١٠٥ ـ ١٠٦.

(٧) أصول الكافي، ج١، كتاب التوحيد، باب النسبة، ح٣، ص٩١.

المسائل في هذا الباب كثيرةٌ ودوّنت تحقيقاتٌ قيّمةٌ في هذا المجال، لكنَّ أبعاد القرآن أكثر مما هو متصوّر. فهذه الآية الشريفة: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[(١)]، عندما يقرأها الإنسان يتصوّر أنَّ أوّل الخليقة هو الله وآخر الخليقة هو الله، وهو الظاهر بآثاره والباطن بأسمائه. لكنَّ المسألة ليست ما ندركه وأدركَهُ من كان قبلنا، فالمسائل أكبر من ذلك. إنَّهُ يريد نفي الظهور عن غيره بقوله (هو الظاهر)، فالظهور له والواقع كذلك ولكن إدراك المعنى القائل إنَّ الظهور هو ظهوره وإنَّ العالم وجميع ما في الحياة ليس إلا ظهوره صعبٌ.»[(٢)].



(١) الحديد: ٣.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ميلاد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وحفيده الإمام الصادق عليه السلام، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس وأعضاء مجلس الوزراء، رئيس وأعضاء مجلس الشورى، المسؤولين العسكريين والإداريين والشخصيّات العلمائيّة، فئات شعبيّة وسياسيّة واجتماعيّة مختلفة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٨، ص٢١٥.



الفصل الرابع

تفسير القرآن



شرائط التفسير والمُفسِّر

وظيفة المُفَسّر بيان مقصد النزول

❁ في اعتقادي إنَّهُ لم يُكتب لحدِّ الآن تفسيرٌ لكتاب الله ﷻ، فالمعنى العام للتفسير: هو شرح مقاصد ذلك الكتاب وتسليط المساحة الأساسيّة من الضوء الكاشف على بيان المعنى الذي يريده صاحب الكتاب.

ولما كان هذا الكتاب السماوي الشريف ـ كما يشهد الله تعالى ـ كتاب هدايةٍ وتعليم ونبراس طريق السلوك الإنساني، لذا وجب على المفسّر أن يوجّه المتعلّم ـ من خلال كُلِّ قصّةٍ من قصصه، بل كُلِّ آيةٍ من آياته ـ نحو الاهتداء إلى عالم الغيب وإلى حيث تكون العلامات التي تؤدي إلى طريق السعادة وسلوك طريق المعرفة الإنسانيّة.

والمُفَسِّرُ إنَّما يكون مُفَسِّراً، عندما يُفْهِمُنا (الهدف) من النزول وليس (سببه) ـ كما هو المتعارف في التفاسير ـ فكم من المعارف والمواعظ الجليلة والخفيّة تكمن في قصة آدم وحوّاء ـ مثلاً ـ وما جرى لهما مع إبليس منذ بداية خلقهم وحتى نزولهم إلى الأرض، والتي ذكرها الحقُّ تعالى في كتابه مراراً، وكم توضحُ لنا من معايب النفس والأخلاق الإبليسيّة والكمالات النفسيّة والمعارف الإنسانيّة، والحال أنَّنا غافلون عنها!

وعموماً، فإنَّ كتاب الله ﷻ، هو كتابُ المعرفة والأخلاق والدعوة إلى

السعادة والكمال، لذا وجب أن يكون كتاب «التفسّير» كتاباً عرفانياً أخلاقياً مُبيّناً للجوانب العرفانيّة والأخلاقيّة وسائر الجوانب الداعية إلى السعادة فيه. والمُفَسِّرُ الذي يُهملُ هذه الجوانب أو يغفل عنها أو لا يهتم بها، غافلٌ هو عن أهداف القرآن والغاية الأساسيّة من إنزال الكتب وإرسال الرسل؛ وهو خطأٌ فادحٌ أدّى إلى حرمان هذه الأمّة ـ لقرون ـ من الاستفادة من القرآن الكريم وإغلاق طريق الهداية بوجه الناس.

إنَّ علينا ـ فضلاً عن البحث العقلي البرهاني الذي يوصلنا إلى فهم الهدف من التنزيل ـ أن نستلّ هذا الهدف من الكتاب ذاته، فَمُصَنِّفُ الكتاب أعرف بأهدافه ومقاصده، فلنتأمل قليلاً الآن فيما يقوله المُصَنِّفُ بما يرتبط بشؤون القرآن.

يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1] فقد وصفه بأنَّهُ كتابُ هدايةٍ.

ويقول تعالى في سورةٍ قصيرةٍ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[2].

ويقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

ويقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[4]، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي يطول ذكرها.

---

(١) البقرة: ٢.

(٢) القمر: ١٧.

(٣) النحل: ٤٤.

(٤) ص: ٢٩.

التفسير الأسمى وفق المناهج العرفانيّة الأخلاقيّة

عموماً، لا نريد من هذا الكلام التعرّض لنقد التفاسير، إذ إنَّ كُلَّ مفسِّرٍ من المفسّرين قد تحمّل مشاقّ كثيرةً وأشكالاً من العناء لكي يُصَنِّفَ كتاباً قيّماً، فللّه درُّهم وعلى الله أجرهم، إنَّما نريد تأكيد ضرورة تمهيد سُبُل الاستفادة من هذا الكتاب الكريم أمام الناس، فهو الكتاب الفريد في السلوك إلى الله ﷻ، والوتر في تهذيب النفوس وفي الآداب والسنن الإلهيّة، والوسيلة العظمى للارتباط بين الخالق والخلق، والعروة الوثقى والحبلُ المتين للتمسّك بعزِّ الربوبيّة.

لذا فإنَّ على العلماء والمفسّرين أن يصنِّفوا تفاسيرَ باللغة الفارسيّة والعربيّة يكون هدفهم فيها بيان التعاليم والمناهج العرفانيّة والأخلاقيّة، وبيان أساليب ربط المخلوق بالخالق، وتوضيح المراد من الهجرة من دار الغرور إلى دار السرور والخلود، وعلى النحو الذي أُوْدِعَ في هذا الكتاب الكريم.

إنَّ صاحب هذا الكتاب ليس «السكاكي»[١] أو «الشيخ»[٢] ليكون هدفه فيه جوانب البلاغة والفصاحة، ولا هو «سيبويه»[٣] أو «الخليل»[٤] ليكون

---

(١) هو سراج الدين السكاكي، صاحب كتاب «مفتاح العلوم»، وقد تقدّمت ترجمتُهُ، فراجع.

(٢) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي اللغوي، وقد تقدّمت ترجمتُهُ، فراجع.

(٣) هو أبو الحسن أو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البيضاوي العراقي البصري النحوي المعروف بـ «سيبويه»، وقد تقدّمت ترجمتُهُ، فراجع.

(٤) هو الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي البصري أبو عبد الرّحمن، صاحب العربيّة والعروض، وقد تقدّمت ترجمتُهُ، فراجع.

هدفه النحو والصرف. كما إنَّهُ ليس «المسعودي»[١] أو «ابن خلّكان»[٢] ليكون بحثه في تاريخ العالم.

إنَّ هذا الكتاب ليس كعصا «موسى عليه السلام» ويده البيضاء، ولا كأنفاس «عيسى عليه السلام» الذي كان يحيي الموتى، فهو لم ينزّل ليكون معجزةً تدلّل على صدق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فقط، وإنّما هو كتابٌ لإحياء القلوب بحياة العلم والمعارف الإلهيّة السرمديّة. إنَّهُ كتابُ الله جلَّ وعلا الداعي إلى الشؤون الإلهيّة.

وعلى المُفسِّرِ أن يُعَلِّمَ الناس الشؤون الإلهيّة، كما أنَّ على العباد أن يرجعوا إليه من اجل تعلّم الشؤون الإلهيّة لكي تتحقّق الاستفادة منه، فقد قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[٣] وأيّة خسارة أكبر من المواظبة على قراءة هذا الكتاب الإلهيّ مدّة ثلاثين أو أربعين عاماً ومراجعة التفاسير، ولكن دون الوقوف على أهدافه السامية؟ ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[٤].[٥].

---

(١) هو أبو الحسن الهذلي علي بن الحسين المسعودي صاحب «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، وقد تقدّمت ترجمتُهُ، فراجع.

(٢) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلّكان البرمكي، وقد تقدّمت ترجمتُهُ، فراجع.

(٣) الإسراء: ٨٢.

(٤) الأعراف: ٢٣.

(٥) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذةٌ من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الثالث، القرآن كتاب تعليم وإفادة، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

لا ينبغي حصر التفسير بالجوانب اللغويّة واللفظيّة

﴿ البعض من علماء تفسير القرآن الكريم حصروا الاستفادة من القرآن الكريم في ضبط وجمع اختلاف القراءات، ومعاني المفردات، وتصريف الكلمات، والمحسّنات اللفظيّة والمعنويّة، ووجوه إعجاز القرآن، والمعاني العرفيّة، واختلاف أفهام الناس فيها، غافلين عن حقيقة دعوات القرآن، وعن الجوانب المعنويّة، والمعارف الإلهيّة فيه، حالهم حال المريض إنْ انحصر اهتمامه بعد مراجعته الطبيب في حفظ الوصفة التي كتبها له وتعلّم كيفيّة تركيبها وموادها، فلا شك أنَّ المرض سيفتك به ثم لن ينفعه العلم بالوصفة أو مراجعة الطبيب أبداً.﴾[1].

المشارب المختلفة في علم التفسير

﴿ تفسير القرآن ليس من المهمّات التي يستطيعُ أمثالُنا أداء حقّها، بل إنَّ علماء الطراز الأوّل ـ من العامّة والخاصّة ـ صنّفوا طول التأريخ الإسلامي كُتُباً كثيرةً في هذا الباب ومساعيهم مشكورة بلا شك، ولكن كُلٌّ منهم لم يقم بأكثر من كشف أحد أغطية القرآن الكريم وفقاً لتخصصه، وحتى في هذا الحدّ ما من يقينٍ أنَّ التفسير جاء كاملاً.

فمثلاً عمد العُرفاءُ على مدى قرونٍ عدّة إلى كتابة تفاسير عديدة وفق طريقتهم وهي الطريقة المَعْرِفيَّة، أمثال محي الدين[2] في بعض كتبه، وعبد

---

(١) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الثالث، في سرّ النيّة وآدابها، الفصل الرابع، منكرو المقامات وطوائفهم، ص٢٥٤

(٢) المقصود هو محي الدين ابن عربي، وقد تعرضنا لترجمته في ما سبق، فراجع.

الرزاق الكاشاني[١] في تأويلاته، والمُلا سلطان علي[٢] في تفسيره، وبعضهم أجاد التصنيف وفق هذا الفن ولكنَّ القرآن لا ينحصر فيما صنّفوا، فما قاموا به هو إزاحة بعض الحجب عن القرآن الكريم وقراءة بعض أوراقه.

كما قام الطنطاوي[٣] وأمثاله وكذلك السيّد قطب[٤] بتفسير القرآن بطريقةٍ

---

(١) المولى عبد الرزّاق بن جمال (أو جلال) الدين اسحق الكاشاني السمرقندي، المكنى بـ «أبو الغنائم»، والمُلقب بـ «كمال الدين»، من مشاهير عرفاء القرن الثامن الهجري، قام بشرح كتاب (فصوص الحكم) لابن عربي، وكذلك شرح كتاب (منازل السائرين) للخواجة عبد الله الأنصاري، وكذلك له كتابٌ يُعرف بـ (تأويل الآيات) أو (تأويلات القرآن)، و(اصطلاحات الصوفيّة). وقال صاحبُ (روضات الجنات) في ذيل حديثه عن الشيخ عبد الرزاق اللاهيجي: «لقد أثنى الشهيد الثاني على عبد الرزاق الكاشاني ثناءً كثيراً».

(٢) هو السلطان محمد بن حيدر الجنابذي الخراساني، المشهور بـ «السلطان علي شاه»، من عرفاء ومتصوّفي القرن الرابع عشر، من مؤلفاته (بيان السعادة في مقامات العبادة) في التفسير. وفي نسبة هذا التفسير إليه تشكيكٌ، راجع كلام الآقا بزرگ الطهراني ﷫ في كتابه الذريعة، ج٣، ص١٨٢، في مقام الكلام عن التفسير المُتقدّم.

(٣) طنطاوي بن جوهري المصري (١٢٨٧هـ/ ق ١٣٥٨هـ/ ق). عالمٌ، حكيمٌ، أديبٌ، مشاركٌ في أنواعٍ من العلوم، ولد في كفر عوض الله حجازي من أعمال مديريّة الشرقيّة ونشأ بها، والتحق بالجامع الأزهر، وتخرج بدار العلوم في القاهرة ودَرّسَ بها وبغيرها. تعلم اللغة الإنجليزيّة وألقى محاضرات في الجامعة المصرية، وناصر الحركة الوطنية. توفي بمصر. من مؤلفاته الكثيرة: «الجواهر في تفسير القرآن الكريم» في ٢٦ جزءاً، نحا فيه منحىً خاصاً، ابتعد في أكثره عن معنى التفسير، وأغرق في سرد أقاصيص وفنون عصريّة وأساطير، وامتاز بمباحثه العلميّة التي طبق خلالها حوالي (٧٥٠) آية قرآنيّة على العلوم الطبيعية. جعل لسائر كتبه عناوين ضخاماً، وأكثرها رسائل منها: «النظام والإسلام» و«الحكمة والحكماء» و«الموسيقى العربية» و«الفرائد الجوهريّة في الطُرف النحويّة» و«مذكرات في أدبيات اللغة العربيّة» و«التاج المُرصَع» و«بهجة العلوم في الفلسفة العربيّة وموازنتها بالعلوم العصريّة» وغيرها الكثير.

(٤) سيّد قُطب بن إبراهيم: مفكرٌ إسلاميٌ مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. تخرّج بكليّة=

أُخرى هي أيضاً ليست تفسّيراً للقرآن بكافّة معانية، فَهُم أيضاً كشفوا غطاءً واحداً آخر عنه.

وللكثير من سائر المُفسّرين ـ من غير هاتين الطائفتين ـ تفاسير كتفسير «مجمع البيان»[١] وهو تفسيرٌ جيدٌ جامعٌ بين أقوال العامّة والخاصّة. وحالُ هذه التفاسير كحال سابقاتها، فالقرآنُ ليس ذاك الكتاب الذي نستطيعُ نحنُ أو غيرنا تصنيف تفسيرٍ جامعٍ له يحوي كافّة علومه كما هي، ففيه علومٌ هي فوق ما نفهم نحن، نحنُ نفهم ظاهراً منه ونُفَسّرُ غطاءً منه والباقي يحتاجُ إلى تفسير أهل العصمة عليهم السلام وهم المُعَلَّمون بتعليمات رسول الله صلى الله عليه وآله.»[٢].

=دار العلوم بالقاهرة ودَرَسَ فيها، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي (الرسالة) و(الثقافة) وعُين مُدَرساً للعربية، فموظفاً في ديوان وزارة المعارف، ثم مُراقباً فنياً للوزارة. أوفِدَ في بعثةٍ لدراسة برامج التعليم في أميركا ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتماشى والفكرة الإسلاميّة، وبنى على هذا استقالته. انضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم وسُجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمرُ بإعدامه، فأُعدم أيام حكومة جمال عبد الناصر. كان من بين المُفكرين الإسلاميين الأكثر وضوحاً. كُتُبُهُ كثيرةٌ مطبوعةٌ مُتَدَاولة، منها: «النقد الأدبي، أصوله ومناهجه» و«العدالة الاجتماعيّة في الإسلام» و«التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن» و«كتب وشخصيات» و«أشواك» و«الإسلام ومشكلات الحضارة» و«السلام العالمي والإسلام» و«المستقبل لهذا الدين» و«معالم في الطريق» وتفسير «في ظلال القرآن» والذي ضَمَّنه الكثير من الأبحاث الاجتماعيّة.

(١) «مجمع البيان في تفسير القرآن» لأمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي الطوسي المشهدي رحمه الله.

(٢) تفسير سورة الحمد، للإمام الخميني قدس سره، مصدر سابق، خطبة الكتاب، مقدّمة لا بُدَّ منها، ص٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١.

عظمةُ القرآن أعظم من فهم المُفسّرين

﴿ إنَّ أيّاً من هؤلاء المفسّرين ورغم العناء الكبير الذي تحمّلوه، لم يستطع أن يخوض في لطائف القرآن، ليس لأنَّهم قصّروا في ذلك وإنَّما لأنَّ عظمة القرآن أكبر من هذه المسائل.﴾[١].

لا يوجد لدينا تفسير حقيقي للقرآن

﴿ ما هو هذا العلم الذي قال عنه الإمام علي عليه السلام، أنَّ عنده علماً جمّاً ولكن ليس هناك من يحمله: **«ها هنا لعلماً جمّاً لو أجد له حَمَلة»**[٢]؟ لا شك أنَّهُ ليس علم الفقه، إذ قد عَلَّمَهُ من غير نقصٍ أو قصورٍ. ولا الفلسفة ولا هذه الأشياء التي في أيدينا، وإنَّ ما يبعث على الأسف هو أنَّهم لم يعطوا الأئمة عليهم السلام الفرصة ولم يمهلوهم ليُبيّنوه حيث لم يجدوا له في ذلك الوقت الحَمَلَة الذين يطمئنون إليهم، وأنَّهم قد حملوا هذا العلم معهم إلى الملأ الأعلى. وعلينا أن نأسف إلى آخر الدهر، إذ لم نستفد منه بأي شكلٍ من الأشكال. ومما لا شك فيه أنَّهُ خارجٌ عن العلوم التي في أيدي بني البشر اليوم أو في أيدي المسلمين؛ لأنَّ هذه العلوم كان لها حَمَلَة، بل الذي لم يكن له حملة إنَّما هو هذا الذي أسف له الأئمة الأطهار عليهم السلام أنفسهم، إذ

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه رؤساء السلطات الثلاث، وكبار المسؤولين من العسكريين والمدنيين، وجمعاً من الشخصيّات السياسيّة والعلميّة والفكريّة، ورؤساء المراكز والمؤسسات الرسميّة والأهليّة، بمناسبة ذكرى المبعث النبوي الشريف. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٧، ص٣٥٢

(٢) راجع: نهج البلاغة، ج٤، ص٦٦٠، الحكمة١٤٧، من كلامٍ له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي في العلم والعلماء. بحار الأنوار، ج٢٣، ص٤٦، باب الاضطرار إلى الحجّة وأنَّ الأرض لا تخلو من حجة.

لم يجدوا أناساً يعلّمونهم إيّاه، ولم يتمكنوّا من تفسير القرآن الذي هو مخزن العلوم، وأن يبيّنوا لنا هذه المعارف التي في القرآن. هذه من الأمور التي يجب أن نحمل أسفنا عليها معنا إلى القبر.

القرآن الآن في حجاب، هذا القرآن مستور، وبالرغم من أنَّ البشر أو الفلاسفة أو العرفاء قد تحدّثوا عن بعض الآيات إلّا أنَّ الذي يجب أن يكون لم يكن ولن يكون. والقرآن كذلك قد جاء لـ «مَن خوطب به» فإن كان المقصود بـ «إنَّما يَعْرِفُ القرآن مَنْ خُوطِبَ به»[1] المعاني العرفيّة، فالناس كُلُّهم يفهمون المعاني العرفيّة. فماذا كان المقصود إذن؟ ونحن سنحمل الأسف إلى الأبد.

الإمام الرضا عليه السلام الذي جلبوه بالمكر ماذا أرادوا منه أن يفعل؟ كان مفهوماً منذ البدء أنَّهم لم يجلبوه ليسلِّموه الحكم، بل لم يفسحوا له المجال في إصدار بعض التعليمات والأوامر.

والإمام الصادق عليه السلام قد فُسِحَ له المجال لينشر علم الفقه ووسَّعه وبيَّنَهُ، وكذلك بعض المسائل غير الفقهيّة. لكن انشغاله كان بالعلوم التي لا يمكن أن تبقى معطّلة، وبعلم الشريعة. ومع هذا لم يدعوه، ولم يكن للعلوم حملة. كان هنا حملة للفقه أما تلك العلوم فلم يكن لها حملة. وعلى هذا فيجب أن نأسف لعجزنا عن الوصول إلى التفسير الحقيقي للقرآن.

هذه التفاسير التي كتبت للقرآن منذ القدم وإلى الآن ليست تفسيراً بل هي ترجمات له، يُشَمّ من بعضها رائحة القرآن وإلّا فهي ليست تفسيراً له.

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤٩، «تاريخ الإمام محمد الباقر عليه السلام»، الباب٢٠، الحديث٢.

على أيّ حال «إنّا لله وإنا إليه راجعون» إنَّ ما خسرناه هو حكومة العدل الإلهي التي لم تتحقق لنفهم ماذا يجب علينا فعله.﴾[١].

التفاسير ذات بُعد واحد

﴿ مرّت علينا عصورٌ كثيرةٌ كان فيها الفلاسفة والعرفاء والمتكلّمون وأمثالهم في طلب المقاصد المعنويّة، وقد تمسكوا دوماً بتلك المعنويات ـ كُلٌّ حسب طاقة إدراكه ـ وخطّأوا السطحيّين، إذ عدّوا كُلَّ من سواهم سطحيّاً وخطأووه.

وحينما تعرّضوا لتفسير القرآن، فسّروا أغلب الآيات بالمعاني العرفانيّة والفلسفيّة، وغفلوا كُلّياً عن الحياة الدنيا، وما هو مطلوبٌ لها، وعن التربية الواجب تحقيقها فيها. غفلوا عن ذلك، وتمسّكوا بتلك المعاني التي تفوق إدراك العامّة ـ كُلٌّ حسب مذهبه ـ وعلاوة على طرح تلك التفاسير خطأووا كُلَّ من سواهم.

وفى عصرهم نفسه كانت هناك طائفةٌ أخرى من العلماء ممّن توجّهوا نحو الاهتمام بالمسائل الفقهيّة والتعبديّة، أولئك أيضاً قاموا بدورهم بتخطئة هؤلاء، فوصموهم بالإلحاد أو الكفر أو عملوا معهم ما عملوا وخطأووهم. والحال أنَّ الجميع يجانب الواقع، فالفقهاء حصروا الإسلام بالأحكام الفرعيّة، والفلاسفة والعرفاء حصروا الإسلام بالجوانب المعنويّة وما وراء

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي ﷺ، ورئيس مجلس القضاء الأعلى، ورئيس الوزراء، وكبار المسؤولين المدنيين والعسكريين. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٩، ص١٤ ـ ١٥.

الطبيعة، إذ كانوا يعتقدون أنَّ ما وراء الطبيعة هو الشامل لكُلِّ الجوانب، في حين أنَّ أولئك رأوا أنَّ الإسلام جملة من الأحكام للدنيا، وأنَّهُ مجموعة من الأحكام الفقهيّة، ولا معنى لكُلِّ ما عدا ذلك.﴾[1].

النظرة الآحاديّة للإسلام

﴿ إنَّ مجتمعنا يعاني من وجود أفراد وعلماء ينظرون إلى الإسلام من بُعْدٍ واحدٍ. فالعرفاء يقبلون الإسلام، إلا انَّهم يُرجعون كُلَّ الأمور والقضايا إلى المعاني العرفانيّة، ولا يولون قضايا الساعة أيّ اهتمام، لدرجة أنَّهم إذا ما رأوا آيةً أو حديثاً عن الجهاد، أوّلوها إلى جهاد النفس. إنَّهم ينظرون إلى الإسلام نظرة أخرى، ويفهمونه فهماً يفقده شموليّته وتعدّد أبعاده. طبعاً كان هؤلاء أناسٌ صالحين ولكن كانوا ينظرون إلى الإسلام من بعدٍ واحدٍ.﴾[2].

تأويل الماديّات بالمعنويّات والعكس كذلك

﴿ الإسلام جاء ليظهر في الخارج وجوداً عينيّاً، ويربّي الناس في الخارج تربية شاملةً في الأبعاد المختلفة كما يجب أن يربّى الإنسان. وليس الإنسان هذا الهيكل الموجود، وهذه الجثّة الموجودة، وهذه الحواس

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷿ قد ألقاه في مسجد الشيخ الأنصاري ﷺ في «النجف الأشرف»، خلال لقائه علماء وطلبة الحوزة العلمّية في النجف الأشرف. راجع: صحيفة الإمام ﷿، مصدر سابق، ج٣، ص٢١٢.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷿ قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه قادة اللجان الثوريّة والحرس الثوري في محافظة «خراسان». راجع: صحيفة الإمام ﷿، مصدر سابق، ج٣، ص٣٣٦.

الموجودة التي نشعر بها، ليس هذا هو الإنسان، فالحيوانات والإنسان بهذا المعنى سيّان. كُلُّها ماديّة، لها كُلّها مثل هذه الإدراكات تزيد أو تنقص.

أحد أبعاد الإنسان هو هذا الموجود الفعلي ذو الحواس والخواص هذه، أما الأبعاد الأخرى فلم تول أهمية أصلاً، أو أنَّها أوليت أهميّةً قليلةً.

للأسف لقد كنا مبتلين بطائفتين في زمنين، في زمن ما كنا مبتلين بجماعةٍ حينما كانت تنظر إلى القرآن وتفسّره وتؤوّله لا تهتم إطلاقاً ببعده المادي الدنيوي، وتُرجع كُلَّ شيءٍ إلى المعنويّات، حتى القتال حينما يذكر في القرآن يؤوّلونه ويفسّرون قتال المشركين بأنَّهُ (القتال مع النفس). الأمور ذات الصلة بالحياة الدنيويّة يؤولونها بالمعنويّات. هؤلاء أدركوا بُعداً واحداً من القرآن وهو بعده المعنوي، إدراكاً ناقصاً طبعاً، وهنا البعد المعنوي يُرجعون إليه كُلَّ الأبعاد الأخرى.

وبعد ذلك ابتلينا بردة فعلٍ مقابل ذلك لا تزال موجودةً حالياً فمنذ زمنٍ ظهرت طائفةٌ على العكس من تلك الطائفة التي تؤول القرآن والأحاديث بـ (ما وراء الطبيعة)، ولا تبالي بهذه الحياة الدنيا إطلاقاً، لا تبالي بالحكومة الإسلاميّة، والأمور ذات العلاقة بالحياة. ضحّوا بالمعنويّات من أجل الماديّات. وأولئك كانوا قد ضحّوا بالماديّات من أجل المعنويّات، وهؤلاء ضحّوا بالمعنويّات من أجل الماديّات. كُلُّ آيةٍ يأخذونها ويستطيعون تأويلها يؤوّلونها وكأنَّهُ لا شيء وراء الدنيا، كأنّما لم يكن في أعينهم شيءٌ وراء عالم الغيب، وقد كان كلامهم صحيحاً ضمن الحدود التي كانت لهم، وهذه هي عقيدةُ هؤلاء، أو أنّ القضايا التي يطرحونها هي أنَّهُ لا شيء وراء هذا العالم، يُضَحُّونَ بكُلِّ شيءٍ من أجل هذا العالم.»[1].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جمعاً من الحرفيين من مدينة «قم المقدّسة». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١١، ص١٨٥.

التفاسير المُنحرفة عن القرآن والإسلام

﴿ إنَّ الإسلام العزيز يواجه منذ قرون الانحرافات وسوء الفهم بفعل التدخل الأجنبي، لقد عرضوا صورةً مشوَّهةً للإسلام الذي هو الدين الإلهي الوحيد الذي يبعث على الجهاد، وذلك بالدعايات المعادية للإسلام. كما أنَّ القرآن الكريم الذي هو الأمر الإلهي بمقاتلة المشركين والمترفين، والكتاب السماوي الوحيد الذي يحثّ الناس على مجابهة الاستعمار والظلم قد شوّهوه أيضاً. تداس أحكام الإسلام الواحد بعد الآخر لأغراض المستعمر بعملائه. إنَّ الإسلام العظيم الذي هو سدٌّ منيعٌ في وجه الأجانب يتحطَّم بأيدي العملاء الذين باعوا أنفسهم من العدو بأبخس الأثمان.﴾[1].

غايةُ أعداء الإسلام التصدّي للإسلام والوحي

﴿ لقد رأوا عن كثب كيف أنَّ الإسلام قد بسط نفوذه في البلاد، وأنَّ تعاليمه الراقية في طريقها للانتشار إن شاء الله، فاستولى الخوف على قلوبهم وشعروا بدنو أجلهم، فانطلقوا لمواجهة الإسلام تحت واجهات ومسمّيات مختلفة بما فيها الإسلام نفسه، وكذلك تحت ستار العمل على خدمة الشعب، وكُلُّ ذلك للتصدي للإسلام ومواجهة الله ﷻ. . . وفي الحقيقة هم يعارضون الإسلام بالذات، لذا تراهم يثيرون الفوضى ويبثّون الفتن هنا وهناك، متنكّرين بأقنعةٍ مختلفة، وكُلُّ ذلك لمحاربة الإسلام. إنَّهم يعارضون الإسلام الحقيقي ويتطلّعون إلى إسلامٍ مشوَّهٍ يتماشى مع مآربهم،

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدَّسة»، خلال لقائه قادة اللجان الثوريّة والحرس الثوري في محافظة «خراسان». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٠، ص٣٣٥.

من خلال التلاعب بالحقائق الإسلاميّة وبما جاء به رسول الله ﷺ، والتدخل في شؤون الوحي المُنزل أيضاً!»[1].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﵀ قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه قادة اللجان الثوريّة والحرس الثوري في محافظة «خراسان». راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج٣، ص٣٣٦.

التفسير بالرأي

التفكّر بالقرآن والتفسير بالرأي

● ومن الحجب الأخرى الحائلة دون الاستفادة من هذه الصحيفة الإلهيّة المقدّسة، الاعتقاد بعدم جواز تجاوز ما كتبه المفسّرون أو فهموه عن القرآن الكريم، وفي هذا الاعتقاد خلطٌ بين التفكّر والتدبّر في الآيات الكريمة من جهة وبين التفسير بالرأي المنهي عنه من جهةٍ أخرى.

وبهذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة يُجرّد القرآنُ الكريم من كافّة فنون الإفادة ويُصبح مهجوراً تماماً، والحالُ أنَّ الاستفادات الأخلاقيّة والإيمانيّة والعرفانيّة لا ترتبط بالتفسير أساساً، فما بالك بارتباطها بالتفسير بالرأي!

فلو أنَّ شخصاً قرأ وتأمّل في المحاورة التي جرت بين موسى عليه السلام والخضر وطبيعة التعامل فيما بينهما، وقيام موسى عليه السلام بشدِّ رحاله ـ مع سمو مقام نبوّته ـ طلباً لعلمٍ لم يكن عنده، وكيفيّة عرضه حاجته على الخضر بالنحو الوارد في الآية الكريمة: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[1]، وجواب الخضر واعتذارات موسى المتكرّرة، ثم استفاد من كلّ ذلك عظمةَ مقام العلم وبعض آداب تعامل المتعلّم مع المعلم التي قد يصل

---

(١) الكهف: ٦٦.

ما ورد منها في تلك الآيات ما يقرب من العشرين أدباً، فما علاقة هذه الاستفادات بالتفسير حتى تكون تفسيراً بالرأي؟! وهكذا هو الحال مع الكثير من الاستفادات المستحصلة من القرآن الكريم.

كذلك في المعارف، فلو أنَّ أحداً استفاد من قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[1] الذي يحصُر جميع المحامد ويخصّص جميع أشكال الثناء بالحقّ تعالى ـ التوحيد الأفعالي ـ، ثم قال: يستفاد من الآية الكريمة أنَّ كُلَّ جمالٍ وعزّةٍ وجلالٍ في العالم مما تنسبه العين الحولاء والقلب المحجوب إلى الموجودات إنَّما هو من الحقّ تعالى، وأن ليس لأيّ موجودٍ شيءٌ من نفسه، لذا كان الحمد والثناء مختصّاً بالحقّ تعالى لا يشاركه فيه أحدٌ.

فما علاقةُ مثل هذه الاستفادة بالتفسير أصلاً، حتى تكون تفسيراً بالرأي أم لا تكون؟ إلى غير ذلك من الأمور المستفادة من معاني الكلام والتي لا ترتبط بالتفسير بأيّ وجهٍ.

التفسير بالرأي لا يتعلّق بآيات المعارف والعلوم العقليّة والبرهانيّة والأخلاقيّة

فضلاً عن أنَّ هناك كلاماً في التفسير بالرأي أيضاً، قد لا يكون مرتبطاً بآيات المعارف والعلوم العقليّة الموافقة للمعايير البرهانيّة والآيات الأخلاقيّة التي يؤدّي العقل فيها دوراً معيناً. إذ إنَّ هذه التفاسير تطابق البرهان العقلي المتين أو الاعتبارات العقليّة الواضحة، بحيث لو خالفها ظاهر الآيات لوجب صرف الآيات عن ظواهرها.

---

(١) الفاتحة: ٢.

فمثلاً الآيات الكريمة: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ...﴾[١] و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٢] يخالف فهمهما عرفياً المنهج البرهاني، لذا فإنَّ ردَّ هذا الظاهر وتفسير الآيات بما يطابق البرهان ليس تفسيراً بالرأي، وبالتالي فهو ليس أمراً منهيّاً عنه.

التفسير بالرأي في آيات الأحكام

ومن هنا، فإنَّ من المحتمل، بل إنَّ المظنون أنَّ التفسير بالرأي يتعلّق بآيات الأحكام التي لا تصلها الآراء والعقول، والتي يجب أخذها بحالة التعبّد الصرف والانقياد التامّ من خُزّان الوحي ومهابط ملائكة الله، كما هو الحال مع أكثر الروايات الشريفة الواردة في هذا الباب والتي وردت لمواجهة فقهاء العامّة الذين أرادوا أن يفهموا دين الله بعقولهم وبالقياس.

كذلك فإنَّ ما ورد في الروايات الشريفة من أنَّهُ «ليس شيءٌ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن»[٣] و«إنَّ دين الله لا يصاب بالعقول»[٤] دليلٌ واضحٌ على أنَّ المراد من «دين الله» هو «الأحكام التعبّديّة» للدين، وإلاّ فإنَّ البحث في إثبات الخالق والتوحيد والتنزيه وإثبات المعاد والنبوّة بل مطلق المعارف، هي حقٌّ مطلقٌ للعقول ومن مختصّاتها.﴾[٥].

(١) الفجر: ٢٢.

(٢) طه: ٥.

(٣) راجع: وسائل الشيعة، ج٢٧، كتاب القضاء، باب عدم جواز استنباط الأحكام النظريّة من ظواهر القرآن، ح٤١، ص١٩٢. بحار الانوار، ج٨٩، ص٩٥، ح٣٧.

(٤) بحار الانوار، ج٢، الباب٣٤، باب البدع والرأي والمقائيس، ح٤١، ص٣٠٣.

(٥) راجع: كتاب «آداب الصلاة» والمشتهر بـ «الآداب المعنويّة للصلاة» للإمام الخميني الراحل ﷺ، مصدر سابق، الباب الرابع، نبذة من آداب القراءة ونفحةٌ من أسرارها، المصباح=

الإسلامُ نهى صراحةً عن التفسير بالرأي

﴿ وقد ظهر في الآونة الأخيرة أشخاصٌ ليس من أهل التفسير أصلاً أرادوا تحميل ما لديهم من أفكار على القرآن والسنة، حتى أنَّ فئةً من اليساريين والشيوعيين عمدت إلى التستّر بالقرآن أيضاً لعرض بضائعهم، وهؤلاء لا علاقة لهم أصلاً بالتفسير ولا بالقرآن فما يريدونه هو خداع شبابنا بما يقدّمونه لهم على أنَّهُ هو الإسلام.

وعلى هذا فما أُريد التنبيه إليه هو أنَّهُ لا ينبغي للذين لم يصلوا بعد إلى المستويات العالية من النضوج العلمي أن يدخلوا مضمار التفسير، فلا ينبغي للشباب غير المطّلع على المعارف الإسلاميّة إقتحام ميدان تفسير القرآن، وإذا حدث أنْ تطفّل أمثالُ هؤلاء لغاياتٍ وأهدافٍ ما على ميدان التفسير، فلا ينبغي لشبابنا أنْ يولوا أهميةً أو يقيموا وزناً لمثل هذه التفاسير.

فقد ورد في الإسلام نهيٌ صريحٌ عن «التفسير بالرأي»[1]، كأنْ يعمد أيٌّ كان إلى تلبيس آرائهِ على القرآن، فيُطبّقُ الماديُّ أفكاره على بعض الآيات القرآنيّة فيُفسّرُ القرآنَ وفق رأيه، أو أنْ يعمد أحدُ أصحاب الآراء المعنويّة والروحيّة إلى تأويل كُلّ ما في القرآن الكريم ويرجعه إلى ما يعتقد هو.

=الأوّل، في الآداب العامّة لتلاوة القرآن الكريم، الفصل الرابع، إزالة الحجب المانعة من التعلّم، ص٢٩١ ـ ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

(١) قال صاحبُ عوالي اللئالي في عواليه ج٤، ص١٠٤، الحديث١٥٤: «ورُوي عنه ﷺ أنَّهُ قال: «من فسّر القرآن برأيه فليتبّوأ مقعده من النار». وجاء في مستدرك سفينة البحار للنمازي، ج١، ص٣٠٢، الحديث النبوي عن إكمال الدين: «من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب...». وروى الحُرُّ العاملي ﵀ في وسائله ج٢٧، ص٢٠٢، عن صادق أهل البيت ﵇ أنَّهُ قال: «من فَسَّرَ القرآنَ برأيه، إنْ أصاب لم يُؤجَر، وإن أخطأ خَرَّ أبعد من السماء».

إنَّ اللازم هو أن نجتنب كُلَّ ذلك فأيدينا ليست مطلقة العنان في هذا المضمار، والبابُ ليس مفتوحاً على مصراعيه لكي يعمد الإنسان إلى تحميل كُلّ ما يصله عقلُهُ على القرآن فيقول هذا ما يقوله القرآن.»[1].

تذكيرٌ وتنبيهٌ

« من الضروري أن أذكّر السادة الكتّاب والمفكّرين الكرام أن يتجنّبوا تأويل القرآن الكريم وتفسير أحكام الإسلام بآرائهم الشخصيّة.»[2].

« عليكم أيّها الطلّاب الجامعيّون وسائر الطبقات من رجال الدين وغيرهم ألّا تدخلوا آراءكم الشخصيّة في تفسير آيات القرآن الكريم وتأويل أحكام الإسلام وأسانيده، وأن تلتزموا بأحكام الإسلام بجميع أبعادها. وتأكّدوا أنّ ما يصلح المجتمع من نشر العدالة وإبعاد الأيدي الظالمة، وتوفير الاستقلال، والحرية، والقضايا الاقتصاديّة، وتعديل الثروة بشكلٍ معقولٍ وعمليٍّ وعينيٍّ، كُلُّ ذلك موجودٌ في الإسلام بشكلٍ كاملٍ، ولا يحتاج إلى التأويلات البعيدة عن المنطق.»[3].

---

(١) تفسير سورة الحمد، للإمام الخميني ﷺ، خطبة الكتاب، الإسلام نهى صراحةً عن التفسير بالرأي، ص٤٢.

(٢) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد أصدره في «النجف الأشرف». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، ج٣، ص١٩٩.

(٣) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد توجّه به من «النجف الأشرف»، إلى اتحاد الجمعيّات الإسلاميّة للطلاب في أوروبا في جوابٍ لهم على رسالتهم. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٣، ص٢٩٠.

عقوبة المفسّر بالرأي

﴿إنَّ هؤلاء الذين يضعون القرآن على ما يشتهون... فيهم ورد الحديث «فليتبوّأ مقعده من النار»[١]. وهذا هو التنبّؤ لمن يفسّر الإسلام برأيه، ويعمل على خلاف ما ينصّ القرآن. هؤلاء حالهم أعقد من حال غيرهم لتشبُّثهم بالقرآن.﴾[٢].

تفسير غير المؤهّلين للقرآن الكريم

﴿من تصريحات وكتابات البعض نستنتج أنَّ هناك أفراداً غير مؤهّلين لتحديد الأحكام والمعارف الإسلاميّة، وقد وقعوا تحت تأثير المذاهب المنحرفة وفسّروا القرآن الكريم والأحاديث على حسب هواهم وبشكلٍ مطابقٍ لما تريده تلك المذاهب، ولم يدركوا أنَّ أحكام الفقه الإسلامي مبنيّةٌ على أسس علميّةٍ، وبحاجةٍ إلى الدرس والبحث والتحقيق الطويل، ولا يُستطاع الوصول إليها من خلال تلك الاستدلالات السطحيّة والمضحكة، دون الالتفات إلى الأدلة الأخرى والبحث في المعارف الإسلاميّة العميقة.﴾[٣].

---

(١) قال صاحبُ عوالي اللئالي في عواليه ج٤، ص١٠٤، الحديث١٥٤: «ورُوي عنه ﷺ أنَّهُ قال: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». وجاء في مستدرك سفينة البحار للنمازي، ج١، ص٣٠٢، الحديث النبوي عن إكمال الدين: «من فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب...». وروى الحُرُّ العاملي رحمه الله في وسائله ج٢٧، ص٢٠٢، عن صادق أهل البيت عليه السلام أنَّهُ قال: «من فَسَّرَ القرآنَ برأيه، إنْ أصاب لم يُؤجَر، وإن أخطأ خَرَّ أبعد من السماء».

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جمعاً من طلبة جامعة «طهران». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٨، ص١٢٠.

(٣) من نداءٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة»، متوجّهاً به إلى أعضاء مجلس الخبراء وأبناء الشعب، بمناسبة افتتاح مجلس الخبراء. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٩، ص٢٤٣.

عَزْلُ القرآن نتيجة التفسير بالرأي

﴿ لقد حُرِفَ القرآن[1] كتاب معرفة الله ﷻ وطريق السلوك إليه، وعُزل على يد الأصدقاء الجاهلين عن طريقهم هم أنفسهم، وتسرَّبت إليه الآراء المنحرفة، والتفسيرات بالرأي التي نهى عنها أئمة الإسلام ﷺ كُلَّ ذلك النهي، فتصرَّف فيه كُلُّ شخصٍ حسب أهوائه النفسيّة.﴾[2].

رفضُ تأويل القرآن بتوسّط الرأي

﴿ إنَّ القرآن الكريم الموجود لدى المسلمين ولم تتمّ زيادةٌ أو نقصانٌ فيه منذ صدر الإسلام وحتى يومنا هذا، عندما نتدبّر فيه فإنّنا نشاهد أنَّ الدعوة لم تكن تهدف إلى جلوس الناس في منازلهم لذكر الله ومناجاته [والاختلاء معه]. كان ذلك موجوداً ولكن لم يقتصر الأمر عليه.

فالمهمّ هو الدعوة إلى الاجتماع وإلى السياسة وتدبير شؤون الدولة وكُلُّها عبادة، كما أنَّ العبادات لم تكن بعيدةً عن السياسة والمصالح الاجتماعيّة.

---

(١) مراد الإمام ﵀ ـ هنا ـ أنَّ القرآن الكريم حُرِفَ (من دون تشديد) وأُبعد عن مساره الصحيح لجهة عدم الاستفادة منه حسبما أراده الله ﷻ لنا منهجاً قويماً، ودستوراً رشيداً، حيث أمرنا باللجوء إلى القرآن الكريم في شتّى المجالات، لأنّهُ نور الهداية فيما لو التبست علينا الفتن كقطع الليل المُظلم. وليس مراده ﵀ الحرف بمعنى التحريف الاصطلاحي الذي حاربه الإمام ﵀ وتصدّى للقائلين به بشدّة، شأنُهُ شأن أئمة وعلماء الإماميّة ـ أعزهم الله ـ. وكلماتُ الإمام ﵀ في هذا المجال كثيرةٌ جدّاً في مصنفاته وخطاباته، وقد أوردنا قسماً منها في الفصل المتعلّق بمسألة نفي التحريف عن الكتاب الشريف، فليراجع ثمّة.

(٢) من رسالةٍ فيها مواعظ أخلاقيّة وعرفانيّة كان الإمام الراحل ﵀ قد كتبها مخاطباً فيها نجله السيّد أحمد ﵀. راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج١٦، ص١٦٠.

إنَّ جميع الأعمال التي دعا إليها الإسلام تُعَدُّ عبادةً. فحتى العمل في المصانع والمزارع والتعليم والتربية في المدارس كُلُّها إسلامية وتعدّ عبادة.

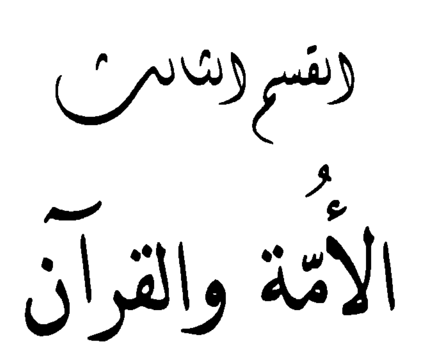
لقد تركت هذه الأمور منذ صدر الإسلام ولم يُعمل بها مثلما دعا إليها القرآن الكريم؛ لأنَّها كانت تخالف حكوماتهم. فمنذ البداية قاموا بتأويل غير صحيح لكُلِّ ما ورد في القرآن الكريم مما يخالف مصالحهم؛ لأنَّهم لايستطيعون حذفه من القرآن، فقد كانوا يجبرون رجال الدين التابعين لهم بتأويله تأويلاً غير صحيح. ولكنَّ القرآن بقي عند المسلمين ولم يتمكّنوا من تحريفه، فهم لا يستطيعون ذلك وإلّا لفعلوا. وعندما أراد أحدهم حذف نصٍّ من القرآن سَلَّ أحد العرب سيفه قائلاً: إننا نردّ عليك بالسيف. فقد منعوا تحريف القرآن الكريم وهو اليوم مثلما كان في عهد رسول الله ﷺ.

لذلك فإنَّ لدينا كتاباً يتضمَّن القضايا الشخصيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، وتدبير المُلْكِ وجميع الأمور، وقد ورد في التفاسير بأنَّنا لا يحق لنا تفسير القرآن حسب رأينا؛ لأنَّهُ كما ورد في الروايات «إنَّما يَعْرِفُ القرآن مَنْ خُوطِبَ به»[1] وإنَّنا نأخذ القرآن عبر الوحي والمرتبطين بالوحي، وإنَّنا نمتلك ثروات كبيرة في هذا المجال ولله الحمد.»[2].



(١) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤٩، «تاريخ الإمام محمد الباقر عليه السلام»، الباب٢٠، الحديث٢.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه إمام جمعة طهران ورئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، والمشاركين في المؤتمر العالمي الثاني لأئمة الجمعة والجماعة في إيران والعالم). راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٨، ص٣٣٧.



الفصل الأوّل: الصبر والاستقامة في الدفاع عن القرآن

الفصل الثاني: قيام الشعب الإيراني لأجل إحياء القرآن وتشكيل حكومة القرآن

الفصل الثالث: النصر في ظلّ القرآن

الفصل الرابع: العمل وفق القرآن

الفصل الخامس: الأجانب والقرآن

الفصل السادس: مهجوريّة القرآن بين المسلمين

الفصل السابع: نظام الشاه ومواجهة القرآن

الفصل الثامن: معارضة الفرق والمذاهب للقرآن



الفصل الأول

الصبر والاستقامة في الدفاع عن القرآن



صبر واستقامة الأولياء عليهم السلام
في الدفاع عن القرآن

التضحية لأجل حفظ الإسلام وأحكام القرآن

﴿لقد قُتِلَ عظماء الإسلام في سبيل حفظ الإسلام وأحكام القرآن الكريم، ودخلوا السجن، وضحّوا بأنفسهم حتى استطاعوا أن يحافظوا على الإسلام، ويوصلوه إلينا.﴾[1].

تضحية الأئمة عليهم السلام لأجل حفظ وترويج القرآن

﴿كان أمير المؤمنين عليه السلام وشيعتُهُ المقرَّبون روَّاداً في الحروب التي خاضها الإسلام، كذلك أولادُهُ الطاهرين عليهم السلام مثل سيّد الشهداء عليه السلام الذي انتفض ونهض وأعطى دمه في سبيل الإسلام، أو سائر ائمتنا عليهم السلام الذين كانوا ينشرون الإسلام ومفاهيم القرآن خلف حجاب التقية، ثم جاء بعدهم

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدَّسة»، خلال لقائه علماء الدين والطلبة وجمعاً من أهالي قم، بعد حادثة هجوم أزلام السلطة ونظام الشاه على المدرسة الفيضية.
راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١، ص١٧١.

ثلةٌ واجهوا دكتاتوريّات عصورهم ووقفوا بوجوههم، هؤلاء هم شيعة علي عليه السلام الذين توالت ثوراتهم حتى عصرنا الحاضر.﴾[١].

لزوم التضحية والفداء من أجل القرآن والإسلام

﴿أولياءُ الله تجرَّعوا المكاره لله، والإسلام انتشر بالدّماء، وتقدَّم بتجشّم المصاعب والفداء، ونحن علينا أن نتقدّم بالفداء، فالإسلام محتاجٌ للفدائيّين، والقرآن الكريم محتاج لتضحيات طبقات الشعب، فعينُ الرسول صلى الله عليه وآله مشدودةٌ إلى هذا الشعب، وصحائفُ الأعمال تذهب إليه صلى الله عليه وآله، وعلينا أن نجتهد في نيل رضا الله تبارك وتعالى.﴾[٢].

الشهادةُ ميراث النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام

﴿ليس الاستشهاد في سبيل الهدف والإسلام الغالي والقرآن الكريم أمراً غير اعتياديٍّ أو ظاهرةً غير معهودةٍ لأبناء الإسلام وذريّة الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وأبناء فاطمة عليها السلام والبقية الباقية الحسين عليه السلام.﴾[٣].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في مقبرة البقيع في «قم المقدَّسة»، خلال لقائه جمعاً من المواطنين من مختلف الفئات الاجتماعيّة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٦، ص٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في مقبرة البقيع في «قم المقدَّسة»، خلال لقائه جمعاً من رجال الدين من «سبزوار»، ومجموعةً من سيّدات منطقة «چهار مردان» في «قم». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٨، ص٢٩.

(٣) من نداءٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد توّجه به من حسينيّة جماران في «طهران»، إلى الشعب الإيراني، بمناسبة استشهاد آية الله الشهيد السيّد عبد الحسين دستغيب رحمه الله. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٥، ص٣٥١.

﴿ أئمّتنا المعصومين ﷺ تحمّلوا ومن أجل تطبيق القرآن الكريم بكُلِّ أبعاده بما في ذلك تشكيل الحكومة الإسلاميّة السجنَ والنفيَ، حتى استشهدوا في النهاية وهم يعملون على إسقاط الحكومات الجائرة وطواغيت زمانهم.﴾[١].

شهادة سيّد الشهداء ﷺ بدايةُ الحياة الأبديّة للقرآن

﴿ كانت شهادة سيّد المظلومين ﷺ وأنصار القرآن في عاشوراء بدايةَ حياة خالدة للإسلام والحياة الأبديّة للقرآن. لقد عصفت تلك الشهادة المظلومة وأَسْرُ آل الله بعروش اليزيديّين الذين كانوا يريدون حسب ظنهم الساذج أن يمحوا بإسم الإسلام أساس الوحي، وقد أخرج هذا الحدث السفيانيين من التاريخ.﴾[٢].

تضحيات الشيعة في سبيل الإسلام والقرآن

﴿ لقد كان للإسلام العزيز وعالم التشيّع بالخصوص منذ صدر الإسلام وحتى اليوم تاريخٌ جهاديٌّ مرموقٌ في ميادين الدم والسيف، وكانوا قد أخذوا على عاتقهم مهمّة قطع الفساد بحكم القرآن الكريم وسُنَّة رسول الله ﷺ وسيرة الأئمّة المعصومين ﷺ، وتحقيق الأهداف الإسلاميّة المقدَّسة، وقد بذلوا تضحيات عظيمة في هذا السبيل المقدَّس.﴾[٣].

---

(١) من الوصيّة السياسيّة الإلهيّة والتي خاطب الإمام الراحل ﷺ بها الشعب الإيراني، والمسلمين، وشعوب العالم، والأجيال القادمة. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٢١، ص٣٥٨ ـ ٣٥٩.

(٢) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد توجّه به من إلى الشعب الإيراني، بمناسبة انتفاضة الخامس عشر من خرداد. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٤، ص٣١٨.

(٣) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد توجّه به من حسينيّة جماران في طهران إلى الشعب الإيراني=

﴿ إنَّنا شيعة أولئك الأئمة عليهم السلام الذين كانوا يُرَحِّبُونَ بالشهادة.﴾[1].



=المسلم، بمناسبة حادثة إسقاط طائرة الركّاب المدنيّة من قبل النظام البعثي واستشهاد مجموعة من مسؤولي الدولة، ففي اليوم الأوّل من شهر «إسفند ١٣٦٤ هـ/ش، الساعة ٣٠ :١٢ ظهراً أصيبت الطائرة المدنيّة «فرند شيب» الخاصّة بشركة «آسمان» للطيران والتي كانت متّجهة من «طهران» إلى «أهواز»، بصاروخي جو ـ جو في سماء «أهواز» اطلقا من الطائرات العراقيّة، وسقطت في منطقة «وين» على بعد ٢٥ كيلومتراً من شمال «أهواز»، وقد استشهد في هذه الحادثة المؤلمة أكثر من ٤٠ شخصاً من رجال دين ونواب المجلس والمسؤولين الثقافيين في البلاد وممثّل الإمام الخميني قدس سره. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٩، ص٤٢٧.

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه الأسقف هانيبال بوكينيني (مبعوث البابا بول السادس)، وبني صدر المشرف على وزارة الخارجيّة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١١، ص٣٨.

لزوم الصبر والاستقامة في الدفاع عن القرآن

التمسك بالقرآن الكريم نصرٌ على أي حال

﴿على المسلمين أن يعتبروا أنفسهم مكلّفين. لا يتصوّروا أنَّهم إن لم يحقّقوا النصر فهم قد هزموا. إذا حافظنا على معنويّاتنا وتمسّكنا بالقرآن الكريم فسواءٌ أن ننال الشهادة وهي فوزٌ عظيم، أو نحقّق النصر إنَّنا منتصرون في كُلِّ الأحوال والحمد لله، ولنا إحدى الحسنيين إن شاء الله.﴾[1].

التضحية في سبيل القرآن افتخارٌ لنا

﴿لنا أسوة بموالينا وسادتنا وأوليائنا المعصومين عليهم السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله، فقد تحمّلوا المشاقّ. وما تحمّلوه ربَّما لا يمكننا تحمله. ما عاناه الرسول صلى الله عليه وآله لا يمكننا تحمّله، فنحن قطرةٌ في هذا البحر اللامتناهي، وبمقدار قطرةٍ واحدةٍ، ذرّةٍ واحدةٍ يمكن أن نضحّي، ولا بُدَّ أن نضحّي. فهو

---

(١) من حديثٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، وفداً من تنظيم (حركة أمل) الجناح العسكري لحركة المحرومين في لبنان. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٢، ص٢٦٨.

الإسلام والقرآن وهو الله ﷻ. كُلُّ ما نقدِّمه في طريق الإسلام وطريق الله ﷻ وطريق القرآن فهو فخر لنا، إنَّهُ طريق الحقّ.﴾[١].

الإسلام والقرآن يستحقّان التضحية بالأنفُسِ

﴿إنَّنا نريد أن نكون أحياء، ونريد أن نحافظ على كرامتنا وعلى إسلامنا العزيز، الذي فيه كُلُّ شيءٍ، فيه الاستقلال، وفيه الحرية، والعزّة، والكرامة. نريد أن نحافظ على كُلِّ هذا وعلى القرآن الكريم. وإنَّ مثل هذه الأمور تستحقّ منّا أن نضحي بأنفسنا جميعاً في سبيلها. فهل نحن أعظم من رسول الله ﷺ؟ أم نحن أعظم من الحسين بن علي عليه السلام؟ فهم أيضاً أعطوا كُلَّ ما لديهم في سبيل الإسلام والحياة الكريمة.﴾[٢].

ضرورة الصبر والتواصي به في عملية إحياء أحكام القرآن

﴿علينا بالصبر والتواصي به، فإحقاق الحقّ يحتاج إلى الصبر. فلو كنّا نريد الإسلام ونريد القرآن وأن يحكم الإسلام بلادنا والبلدان الأخرى، فعلينا أن نكون دعاة للحقّ وأن نتواصى به جميعاً.﴾[٣].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جمعاً من مُرْتَدِي الاكفان من أهالي «شهر كرد» و«بابل». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١١، ص٣٩٩.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه جمعاً من الطلبة المسلمين السائرين على خطّ الإمام قدس سره. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٣، ص٢٤١.

(٣) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه جمعاً من طلاب معاهد إعداد المدرّسين في «تبريز»، وأعضاء تعبئة المستضعفين في «مشهد» و«تنكابن». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، ج١٣، ص٣٦٨.

إعداد النفس من أجل الاستشهاد في سبيل إجراء أحكام القرآن

﴿إنَّ شعباً نهض لإقامة العدل الإسلامي، وتطبيق أحكام القرآن الكريم، وقطع أيدي المجرمين من القوى الكبرى، والعيش المستقل الحرّ، قد أعدّ نفسه للاستشهاد وتقديم الشهداء، ولن يهاب الأيدي المجرمة للقوى الكبرى التى تتمثّل اليوم في زمرة من المجرمين المحترفين الذين يقتلون الخيرة من أولاده المخلصين.

أليست الشهادة ميراثاً جاءنا من سادتنا عليهم السلام الذين كانوا يعتبرون الحياة عقيدةً وجهاداً حيث كانوا يدافعون عن منهج الإسلام الباعث على الفخر بدمائهم ودماء شبابهم الأعزاء، إلى أن وصل إلى شعبنا المربّي للشهداء. أليست العزّة والشرف والقيم الإنسانيّة درراً ثمينةً، بذل السلفُ الصالحُ في مدرسة الإسلام حياتهم وحياة أصحابهم في سبيل حفظها وصونها؟ ألسنا أتباع الأطهار عليهم السلام الذين بذلوا مهجهم في سبيل الهدف فكيف يمكن أن يدبّ الشك فينا من استشهاد أحبابنا؟﴾[1].

لا يمكن اغتيال أمّة قامت من أجل تطبيق أحكام القرآن

﴿لا يمكن بالاغتيال قهرُ شعبٍ ثار لأجل الله عزّ وجلّ ضدّ جميع القوى العالميّة، ثار لأجل الإسلام، ثار لأجل الله عزّ وجلّ، ولتطبيق أحكام القرآن. إنَّ

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد توجّه به من حسينيّة جماران في «طهران»، إلى الشعب الإيراني المجاهد وعوائل شهداء السابع من شهر «تير»، بمناسبة استشهاد اثنين وسبعين شخصاً من أصحاب الإمام قدس سره والأمّة، خلال لقائه. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٥، ص٩.

شعباً ضحّى هو وقادته منذ عصر صدر الإسلام بأنفسهم في سبيل هدفهم الذي هو الله والإسلام فإنَّهُ لن يزول بهذه الأمور ولن يضعف.»[١].

إقتداء الأمّة بسيّد الشهداء عليه السلام

«إنَّ هؤلاء أتباع سيّد الشهداء عليه السلام الذي قدَّم لأجل الإسلام والقرآن الكريم الطفل الرضيع ذا الأشهر الستة والشيخ البالغ ثمانين عاماً، وروى الإسلام الغالي بدمه الطاهر وأحياه.»[٢].

الشهادة في سبيل تحقيق الهدف

«لقد قدَّم الإسلامُ الرسولَ الأكرم صلى الله عليه وآله نفسه، وشخصاً مثل أمير المؤمنين عليه السلام والأئمةَ المعصومين عليهم السلام والعلماء العظام عبر التاريخ، لأجل هذا الطريق وهذا الهدف... وإذا كان المعيار هو الهدف، وإذا كان الأساس هو الإسلام وتطبيق أحكام القرآن، فإنَّ الهدف في مكانه، وكُلّ واحدٍ من هؤلاء يسقطون شهداء فإنَّ ذلك مفيدٌ للهدف.»[٣].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه فئات شعبيّة مختلفة، بمناسبة استشهاد رئيس الجمهوريّة الشهيد السعيد محمّد علي رجائي رحمه الله، ورئيس الوزراء الشهيد السعيد الشيخ محمّد جواد باهنر رحمه الله. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٥، ص٩.

(٢) من نداءٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد توجّه به من حسينيّة جماران في «طهران»، إلى الشعب الإيراني المجاهد، بمناسبة استشهاد شهيد المحراب وإمام جمعة «تبريز» الشهيد السيّد أسد الله مدني رحمه الله. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، ج١٥، ص١٩٨.

(٣) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه شرائح الشعب المختلفه ومندوبي المجالس الإسلاميّة من قرى أرجاء البلاد، بمناسبة استشهاد الإمام التاسع جواد الأئمة عليه السلام، واستشهاد السيّد هاشمي نزاد رحمه الله. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، ج١٥، ص٢٢٨.



الفَصْلُ الثَّانِي

قيام الشعب الإيراني لأجل إحياء القرآن وتشكيل حكومة القرآن



القيامُ من أجل إحياء القرآن

قيام الأمّة لأجل تحقيق أحكام القرآن

﴿لقد عارضنا النظام لأنَّهُ كان حائلًا دون تحقق الإسلام، دون تحقق أحكام الإسلام، دون العمل بالقرآن. لو أنَّ النظام كان يعمل بأحكام الإسلام، لما كان هناك نزاعٌ بيننا!... لقد بُذلت تلك الدماء لا من أجل القضاء على النظام فحسب وإنَّما من أجل تطبيق الإسلام.

إنَّ الهدف من إزالة الأنظمة الفاسدة، وقطع أيدي الأعداء هو أن تصبح إيران دولة إسلاميّة، حكومة إسلاميّة، وأن تكون سياساتها سياسة إسلاميّة. لو كان الهدف ينحصر فقط في إزالة الحكومة والنظام السابق ومجيء نظام آخر غير إسلامي، لكانت دماء شبابنا قد ذهبت هدراً؛ لأنَّنا نكون نحن الذين قمنا بهذه الثورة وحطّمنا هذا السد، فيما جاء الآخرون وحصدوا ثمار تضحيات أبناء شعبنا.﴾[1].

﴿إنَّهم[2] يريدون تأسيس دولة غربيّة لكم فتكونون أحراراً! وتكونون

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في «قم المقدَّسة»، خلال لقائه طلاب كليّة الآداب، والعاملين في حقل التعليم في «الأهواز». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٧، ص٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٢) أعداءُ الإسلام والثورة من الليبراليين والقوميين الساعين إلى الالتفاف على مكاسب الثورة من=

مستقلّين أيضاً!، ولكن على أن لا يكون الله مطروحاً في البين، ولا النبي، ولا إمام العصر، ولا القرآن، ولا أحكام الله، ولا الصلاة، ولا أي شيء آخر.

هل تعتبرون الشهادة فوزاً لكم لتكونوا مثل «السويد» ـ مثلاً ـ؟! أم أنّكم تنشدون القرآن؟ لقد نهضتم من أجل الإسلام.﴾[1].

الإستقلال والحريّة في ظلّ القرآن

﴿إنَّ مسيرنا الإسلام، إنَّنا نريد الإسلام. فنحن لا نريد الحرّيّة التي لا إسلام فيها. إنَّنا لا نريد الاستقلال الذي لا إسلام فيه، إنَّنا نريد الإسلام. إنَّنا نريد الحرية في ظلّ الإسلام، ونريد الاستقلال في ظلّ الإسلام. ماذا تفيدنا الحرّيّة والاستقلال إذا كانتا بمعزلٍ عن الإسلام؟ عندما لا يكون الإسلامُ مطروحاً، وعندما لا يكون نبي الإسلام ﷺ مطروحاً، عندما لا يكون قرآن الإسلام مطروحاً، فلو كان هناك ألف لون للحرّيّة فإنَّنا لا نريدها، فالدول الأخرى عندها حرّيّات أيضاً!

ولكن هل يريد شعبنا هذا الاستقلال الذي لا ذكر فيه لصاحب الزمان؟

=خلال الدعوة إلى جمهوريّة إيرانيّة لا صفة إسلاميّة لها، لتكون تارةً في أحضان الغرب الاستعماري وأخرى في أحضان الشرق الشيوعي، ومن هنا كان إصرار الإمام ﵀ ومعه ملايين الشعب الإيراني المجاهد على كلمةٍ وشعارٍ واضحٍ وجليٍّ وهو: «لا شرقيّة ولا غربيّة جمهوريّة إسلاميّة»، وعلى هذا الأساس كان الاستفتاء التاريخي الذي أكّد الشعب الإيراني من خلاله مطلبه الأساس ومبادئ ثورته المجيدة أي حاكميّة الإسلام وولاية الفقيه.

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﵀ قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه طلاب كليّة الآداب، والعاملين في حقل التعليم في «الأهواز». راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج٧، ص٣٣١.

هذه الحرّيّة التي لا محل فيها للقرآن؟ هذه الحرّيّة التي لا محل فيها لنبي الإسلام ﷺ؟ هل بذل الشعب دماءه من أجل هذا؟ من أجل الحرّيّة؟ لقد بذل دمه من أجل الله ﷻ. لقد اتبع شعبنا سيّد الشهداء عليه السلام، فمن أجل أي شيءٍ بذل سيّد الشهداء عليه السلام دمه؟ هل كان يريد الحكومة؟ يريد الاستقلال؟ يريد الحرّيّة؟ لقد كان يبتغي الله ﷻ، يبتغي الإسلام، كان عليه السلام يسعى لتحقيق الإسلام في الواقع.

إنَّ العلماء يبتغون الإسلام، العلماء يطلبون الاستقلال في ظلّ الإسلام، ويريدون الحرّيّة في ظلّ الإسلام.»[1].

إدارة البلاد في ظلّ قيادة القرآن

«الهدف أن يكون بلدنا بلداً إسلاميّاً، أن تكون إدارة بلدنا تحت قيادة القرآن وتحت قيادة النبي الأكرم ﷺ وبقيّة الأولياء العظام عليهم السلام، وما زوال المستكبرين إلا البداية. إنَّ رخاء المستضعفين أحد أهداف الإسلام.»[2].

القرآن قضية لا نتنازل عنها

«القضية ليست قضية اقتصاد، ليست قضية دار. فأنا أستطيع أن أتنازل

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه طلاب كليّة الآداب، والعاملين في حقل التعليم في «الأهواز». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٧، ص٣٣١.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جمعاً من نساء جنوب مدينة «طهران»، وحرس الثورة وأهالي «دشت مغان». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٧، ص٣٧٧.

عن الدار والاقتصاد. القضية قضية القرآن. نستطيع أن نتنازل عنه؟! لا، لا نستطيع أن نتنازل عنه.﴾[١].

إحياء أحكام القرآن وتطبيق أوامره

﴿الجميع يعلم بأنَّ جرمنا الواقعي بنظر المستكبرين والمعتدين هو الدفاع عن الإسلام، وإقامة جمهوريّة إسلاميّة بدل النظام الملكي الطاغوتي. إنَّ ذنبنا إحياء سنَّة النبي ﷺ، وتطبيق أوامر القرآن الكريم، وإعلان الوحدة بين المسلمين الأعمّ من الشيعة والسنَّة لمواجهة مؤامرات الكفر العالمي، ودعم الشعب الفلسطيني والأفغاني واللبناني، وإغلاق السفارة الاسرائيليّة في إيران، وإعلان الحرب على هذه الغدّة الصهيونيّة السرطانيّة، ومحاربة التمييز العنصري، والدفاع عن الشعب الأفريقي المحروم، وإلغاء اتّفاقيّات عبوديّة النظام الملكي القذر لأمريكا المتغطرسة؛ وأيُّ ذنبٍ لدى المستعمرين وأذنابهم أعظم من الحديث عن الإسلام وحاكميّته، ودعوة المسلمين إلى العزّة والاستقلال ومجابهة ظلم المعتدين.﴾[٢].

تحقيق أهداف القرآن فخرٌ لنا

﴿اليوم... نحن فخورون أنَّنا نسعى لتحقيق أهداف القرآن والسنَّة،

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جماعة واعظي «طهران». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٨، ص١٥٦.

(٢) من نداءٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد توجه به من حسينيّة جماران في «طهران»، إلى مسلمي إيران والعالم وزائري بيت الله الحرام، بمناسبة إقامة مناسك الحج ومراسم البراءة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢٠، ص٢٦٤.

وأنَّ مختلف الشرائح من شعبنا منهمكة في هذا الطريق المصيري العظيم، غير مباليةٍ بتقديم الأرواح والأموال والأعزاء في سبيل الله تعالى.»[١].



(١) من الوصية السياسيّة الإلهيّة والتي خاطب الإمام الراحل بها الشعب الإيراني، والمسلمين، وشعوب العالم، والأجيال القادمة. راجع: صحيفة الإمام، مصدر سابق، ج٢١، ص٣٥٩.

تشكيل الحكومة القرآنيّة

إزالة موانع تشكيل حكومة القرآن

﴿ التحوّل العظيم الذي غمر هذا الشعب لم يكن تحوُّلاً لإقصاء حُكْمٍ وإحلال آخر، وإنّما كان لاجتثاث هذا الباطل وإقامة حكومة إسلاميّة أساسها القرآن الذي أرادوا له أن تكون أحكامه نافذةً في هذه البلاد. وقد أزالوا الموانع، لتكون الحكومة إسلاميّةً، لا ليكون الجميع أحراراً فقط.

أَوَ كانت غايةُ الجميع أن نكون مستقلّين فقط؟ أَوَ كانت إيران تريد أن تكون بلداً مستقلاً كالسويد مثلا؟ لا، فالإيرانيّون إذا كانوا أحراراً مستقلّين ولا حُكم للقرآن فيهم، فإنّهم يبقون يبحثون عن القرآن والإسلام. فلا قيمة لأن نكون أحراراً في الجانب الحيوانيّ، حتّى إذا أشبعْناهُ استغنينا عن المعنويّات.

أَوَ قدَّمتْ إيران شُبَّانها من أجل هذا؟ أَوَ أنّها تحوَّلت إلى شعبٍ عاش فجر الإسلام بروحه، فصارَ شُبَّانُهُ كشبَّان صدر الإسلام يرون الشهادة فوزاً لهم، ويقولون: نحن سعداء إذا استُشهِدْنا.﴾[1].

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه أطباء وأساتذة وطلبة جامعة «شيراز». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٨، ص٥٨.

مطلبنا هو حكومة القرآن وإجراء أحكام الإسلام

﴿ ما نريده بناءً على هذا هو حكومة الله، حكومة الربّ، نريد أن يحكم علينا القرآن، وأن تسودنا قوانين الإسلام، ولا نستطيع أن نقبل حكومةً ما غير حكومة الله، ولا نرضى بجهاز ما يخالف قوانين الإسلام، ولا نقبل رأياً يخالف الإسلام فردياً كان أم جمعياً. نحن نقبل ذلك الذي يُحَكِّمُ قانونَ الإسلام، فنحن تابعو الإسلام وملتزمو قانونه، وشبابنا بذلوا دماءهم من أجل الإسلام، وجَدُّوا جدّاً عظيماً، وهتفوا أن نريد الإسلام، نريد أحكام الإسلام.﴾[١].

النهضة لأجل حاكميّة قوانين القرآن والإسلام

﴿ لقد نهضنا لنجعل من الإسلام والقرآن حاكماً لنا ولن نتراجع عن ذلك. [ولا يمكن أن يوجد أي قانون مقابل قانون القرآن والإسلام]. إنَّ ثورتنا ثورة إسلاميّة [وينبغي أن يكون محتواها إسلامياً]، ولا بُدَّ أن تُطَبِّقَ مبادءها وقيمها الإسلاميّة في كافّة أنحاء البلاد. إنَّ شعبنا قدّم التضحيات من أجل الإسلام، كما أنَّهُ يواصل ثورته من أجل الإسلام أيضاً.﴾[٢].

السعي في سبيل تحقيق أهداف القرآن

﴿ يجب أن نتّبع تعليمات الإسلام، لقد أقام بلدنا هذه الجمهوريّة

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه حرس الثورة الإسلاميّة لـ «قرجك» و«ورامين». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٨، ص٢٢٥.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في المدرسة الفيضيّة في «قم المقدّسة»، خلال لقائه فئات شعبيّة مختلفة. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٩، ص١٣٣.

الإسلاميّة باسم الإسلام واسم القرآن وباسم (الله أكبر). ويجب أن يكون سعينا أينما كنّا وفي أيّة مؤسّسة كنّا وفي أي مكانٍ في إيران هو أن يطبّق الإسلام فيه ويتحقّق.﴾[١].

الصعوبات والتضحيات في سبيل تحقيق أهداف القرآن

﴿هذه الأمّة التي كان قيامها منذ البداية من أجل الإسلام، من أجل القرآن، هذه الأمّة وطيلة سنوات عديدة، تقريباً عقدان ونيّف من السنين، بذلت من الجهود وتحمّلت من البلايا وقدَّمت من الشباب والنساء، وهؤلاء جميعاً قالوا بكُلِّ صراحة نريد الجمهوريّة الإسلاميّة. معنى الجمهوريّة الإسلاميّة هو أن يكون النظام نظاماً إسلاميّاً، والحكومة حكومةً إسلاميّةً، والقوانين إسلاميّةً.﴾[٢].

ثورة الشعب لأجل تحقّق دولة الإسلام

﴿إنَّ الشعب الإيراني الذي أدرك أنَّ القرآن الكريم والإسلام العظيم في خطر قد ثار بعد مئات السنين من المصائب التي سبّبها له الملوك الظالمون

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة مولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، خلال لقائه قائد القوّة البحريّة، جمعاً من أفراد القوّة البحريّة، أسطول بندر عباس، المسؤولين عن قسم التوجيه السياسي والعقيدي لهذه القوّة، جمعاً من أفراد حرس الثورة الإسلاميّة وأهالي «هرمزكان». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٤، ص٢٧٦.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه فئات الشعب المختلفة، علماء الدين في «مازندران»، علماء الدين السنّة، أهالي «مشهد»، عمّال شركة النقل الداخلي. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٤، ص٣٥٨.

المحترفون للظلم، الذين جعلوا الإسلام الغالي وسيلةً للنهب والسلب على أيديهم وعلى أيدي القوى الكبرى، وفي الآونة الأخيرة أمريكا المجرمة. وقد استبدلوا بالنظام غير الإسلامي وغير الشرعي الشاهنشاهي نظاماً إسلامياً.﴾[١].

تجديد حياة القرآن في ظلّ الثورة الإسلاميّة

﴿لقد قمتم بإحياء الإسلام العظيم وتجديده بعد أن كاد أن يمسّه انحرافُ المنحرفين والمنافقين، وكادت أحكامُهُ التقدّميّة تستبدل بأحكام يرتضيها الجاهلون. وكادت قوانينه المسلّم بها والمنصوص عليها في القرآن الكريم يطويها النسيان، وصمدتم أمام الهجوم العسكري والدعائي الشاملين، وقد اختصرتم مسافة الطريق الذي يحتاج إلى مائة عام خلال سنتين أو ثلاث، وكسحتم جميع العراقيل الموجودة في الطريق، وأسّستم الجمهوريّة الإسلاميّة بجميع مؤسساتها، ومنحتم بلادكم وثقافتكم حياةً جديدةً مشرقةً.﴾[٢].

التبعيّة للقرآن الكريم ورفض التسلّط والهيمنة

﴿هدفنا هو الإسلام. ليس لدينا هدفٌ خاصّ، لا نريد الحكومة

---

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد توجه به من حسينيّة جماران في «طهران»، إلى مسلمي إيران والعالم وزائري بيت الله الحرام، بمناسبة إقامة مناسك الحج. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٥، ص١٤٩.

(٢) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد توجه به من حسينيّة جماران في «طهران»، إلى الشعب الإيراني، عشيّة انتخابات رئاسة الجمهوريّة بعد استشهاد الشهيد محمّد علي رجائي ﷺ. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٥، ص٢٢٠.

بالمعنى الذي تريدها القوى الكبرى، ولا نريد القدرة بذلك المعنى، ولا نبغي السيطرة، بل إنَّنا نريد جميعاً أن نكون أتباعاً للقرآن الكريم والإسلام العزيز، وأن يدير القرآن الكريم والإسلام العزيز جميعَ شؤوننا.»[1].



(١) من خطاب كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ميلاد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وحفيده الإمام الصادق عليه السلام وأسبوع الوحدة الإسلاميّة. خلال لقائه فئات الشعب المختلفة، ضيوف أجانب، ورجال الدين من أهل السنّة المشاركين في معسكر الوحدة، والمشاركين في ندوة «الحوزة والجامعة»، طلاب من الوحدة الطلّابيّة لحزب الجمهوري الإسلامي. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٥، ص٤٠٦.



الفَصْلُ الثَّالِثُ

النصر في ظلّ القرآن



سرّ انتصار الشعب الإيراني

الاعتماد على القرآن سرُّ انتصارنا

﴿السرُّ الذي مَكَّنَ إيران من التغلّب على القوى العظمى هو الوحدة والتوكّل على الله ﷻ، وتقوية الإيمان والاستناد إلى القرآن الكريم وإلى الإسلام.﴾[1].

تجلّي نور القرآن في القلوب

﴿إنَّها معجزةٌ، معجزةٌ كبيرةٌ أنَّكم أنتم الأخوات والإخوة قد اجتمعتم ووقفتم في وجه القوى الشيطانيّة بصوتٍ واحدٍ. إنَّها قدرة الإسلام التي تجلّت فيكم. إنَّها قوّة الإيمان التي جعلتكم تنتصرون في هذا النضال. إنَّها معجزةٌ أن يلتهب الحماسُ في الدنيا بأسرها بشهادة أحد الأعزّاء. إنَّها معجزةٌ أن تقف النساء في مواجهة الدبابة والمدفع والرشّاش دون أدنى خوف. إنَّهُ نور القرآن والإسلام الذي تجلّى في قلوبكن وقلوب جميع شعب إيران. إنَّهُ نور الإيمان الذي جعلكن أنتن السيّدات لا تشعرن بالخوف من الشهادة.﴾[2].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في مقبرة البقيع في «قم المقدّسة»، خلال لقائه فئات الشعب المختلفة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٦، ص٢٨٧.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه مجموعةً من نساء مدينة «طهران». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٧، ص١٤٨.

رايةُ القرآن رمزُ انتصارنا

﴿ إنَّ سرَّ انتصارنا اليوم يكمن في اتكالنا على الله تبارك وتعالى. سرُّ انتصارنا هو أنَّ اهدافنا لم تنحصر بالقضايا السياسيّة فقط، لم تكن من أجل النفط وأمثال ذلك، بل كان التوجّه توجّهاً معنوياً، كان الإسلام هو الهدف. كان شبابنا يتمنّون الشهادة مثلما كان الجنود في صدر الإسلام يستقبلون الشهادة. إنَّ جنودنا لا يخشون الشهادة؛ لأنَّهم لا يرون الموت فناءً، بل يرون الشهادة سعادةً، ويسعون لنيل هذه السعادة.

إنَّ سِرَّ النصر يكمن في استلهام تعاليم القرآن الكريم، فهذا الأمر المقدَّس هو الذي جعلهم يستقبلون الشهادة. لم يكن هناك خوفٌ في قلوبهم، ففي الوقت الذي كانت تفتح الدبّابات والرشّاشات النار عليهم كانوا يستقبلون ذلك، لم يكن لديهم خوفٌ. لقد انتصرت القبضة على الدبابة، لقد انتصرت القبضة على الرشاش، انتصرت القبضة على القوى العظمى.

حافظوا على هذا السرّ، فما دمتم محافظين على سرّ النصر هذا فأنتم منتصرون. ما دام شعبنا مع الله فهو منتصرٌ، ما دام ملجأ شعبنا ومعتمده هو الإسلام فهو منتصرٌ. مادامت رايةُ القرآن تظلّل رؤوس شعبنا فهو منتصرٌ. حافظوا على هذا السرّ.﴾[1].

الاعتماد على القرآن الكريم موجبٌ للفوز والغلبة

﴿ لقد شاهدتم كيف أنَّ شعباً يبلغ ٣٥ ميلوناً ـ وهو ليس بشيءٍ بالنسبة إلى المليار ـ ورغم خلوّ يده من أيّ أسلحة، تغلّب على هذه القوى الشيطانيّة

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جمعاً من منتسبي القوّة الجويّة ومعسكر (لشكرك). راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٧، ص٢٧ ـ ٢٨.

التي تقف وراءها قوى شيطانيّة أكبر، وقطع أياديهم عن ثروات إيران، وذلك بواسطة قوّة الإيمان وبالاعتماد على القرآن والإسلام.»[1].

التوجّه إلى القرآن يحطّم السدود ويزيل العقبات

«أنتم أيّها الشعب الإيراني، ولأنّكم تمسّكتم بالإيمان، وتوجّهتم إلى الله ﷻ، إلى الإسلام، وسعيتم إلى أحكام الإسلام، فقد أنجاكم الله ﷻ وسوف ينجيكم. أنجاكم من هذا السدّ الكبير للاستبداد، حطّمتم سدَّ الاستبداد، وبدّدتم الظلمات، ودخلتم في نور الحرية، حطّمتم سدّ الارتباط بالغير بواسطة الإيمان ودخلتم في نور الاستقلال، حطّمتم الإرهاب والارتباط، ودخلتم في حقيقة الإسلام. الإسلامُ نورٌ، وغيرُ الإسلام ظلمات، إنّكم وبالتوجّه إلى الله ﷻ وبالتوجّه إلى أئمّة الإسلام وبالتوجه إلى أئمّة القرآن ﷺ، قد حطّمتم هذه السدود، السدود التي كان يظنّ الجميع أنّها لا تتحطّم، القوى التي كان يتصوّر الجميع استحالة هزيمتها. حسابُ العالم أصبح باطلاً، حسابات الماديين بطلت. فحسابات أولئك الذين لا يؤمنون بالله كانت ترى بأنّهُ من غير المعقول أن ينتصر شعبٌ لا يملك شيئاً على قوى تملك كُلَّ شيءٍ! لقد كان من غير المعقول قطع يد الأجنبي المدجّج بالأسلحة، بجميع أنواعها، عن خيرات الشعب وثرواته. لقد كانت حساباتهم ماديّةً، ووفق الحسابات الماديّة كان الأمر كما يقولون، كان انتصارنا مستحيلاً. لكنّهم لم يُدخلوا في حسابهم المعنويّات! فالإسلام كان يتقدَّم دائماً بالمعنويّات، ففي صدر الإسلام ورغم أنّهُ لم يكن لدى

---

(١) من حديثٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد أجراه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه السفير التونسي في إيران. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٧، ص٩٧.

المسلمين أيّة تجهيزات، إذ كان لكُلِّ عدّة مقاتلين فرسٌ واحدٌ، وأحياناً سيفٌ واحدٌ، فيما كان جيش الروم وجيش الفرس مدجّجين بالأسلحة ويزيد عددهم أضعاف عدد المسلمين، وبهذا العدد القليل والعدّة الضعيفة ولكن مع قوّة الإيمان هزموا إمبراطوريّة الروم وإمبراطوريّة إيران.»[1].

الاستقلال والحرية في ظلال القرآن

«إنَّ القرآن للجميع وهو يضمن سعادةَ الجميع. وفي ظلّ القرآن تغلب الإسلام على جميع الإمبراطوريّات في ذلك الوقت في ظرف خمسين عاماً. وما دمنا تحت ظلّ القرآن سوف نتغلّب على الأعداء. وإذا استطاع الأعداء لا سمح الله إبعادنا عن الإسلام والقرآن فإنَّهُ يجب علينا الجلوس حينئذٍ ومشاهدة ذلّتنا وعبوديّتنا.

الاستقلال والحرية في اتباع القرآن الكريم والرسول الأكرم ﷺ. إنّنا جميعاً أتباع القرآن والرسول الأكرم ﷺ، وجميعنا إخوة وهدفنا واحدٌ، وقبلتنا واحدةٌ، وديننا واحدٌ، وقرآننا واحدٌ.»[2].

انتصار الأمّة ببركة الإقبال على القرآن

«يجب أن يتذكر الجميع أنَّ انتصار ثورتنا تحقّق ببركة الإسلام والاقبال على الإسلام، وبشعار (الله أكبر). لا يتصوّر أحدٌ أنَّ أشخاصاً أو

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه ممثلي موظفي جمارك إيران. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٧، ص١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جمعاً من معلم مدرسة القرآن في «باوه» وأهالي «أورامانات». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٧، ص١٠١.

جماعاتٍ معيّنة هي التي حقّقت النصر لنا. كلا، بل إنَّ الله تعالى هو الذي أيّد الجماهير حينما رأى أنَّها قامت في سبيله. لا تغفلوا عن التراجع الذي أبداه أعداؤنا في المواجهة الجادّة. فما سبب ذلك؟ لو أرادوا أن ينزلوا بطائراتهم ومدافعهم ودباباتهم إلى الشوارع ويقصفوا طهران، لما كان لديكم سبيل للدفاع. من الذي صدَّهم عن ذلك؟ ومن الذي قذف في قلوبهم الرعب فمنعهم؟ لم تكن لكم قوّة، لم تكن لنا قدرة. الذي أوجد الخوفَ في قلوبهم، وجعل نصرنا نصراً بالرعب هو الله تبارك وتعالى.

إذا توجه الشعب إلى الله ﷻ، ووجدوا أنَّ الطريق يتطلّب أن يسيروه بجدارة، وتعالى صوت (الله أكبر) في كُلِّ مكان من أقصى البلاد إلى أقصاها، فإنَّ الله تبارك وتعالى أيّدهم وحطم الأعداء الذين لم يكونوا قوى داخليّة فحسب، بل قوى خارجيّة أيضاً، فتراجعوا جميعاً عن المواجهة وحلَّ الرعبُ في قلوبهم جميعاً. كان هذا أمراً إلهيّاً ما كان يستطيعه أيُّ بشر. إذن نصرُنا نصرٌ تحقّق ببركة الإسلام وببركة الاقبال على القرآن.»[1].

القرآن سلاحُ الشعب وذخيرته

«السلاح الموجود بيد إيران هو سلاح الإيمان وسلاح التوحيد والإسلام والقرآن المجيد، فالمجتمع سيبقى في ظلّ راية الإسلام والقرآن والتوحيد، لكنَّ هؤلاء ينكرون الامدادات الغيبيّة، فلا يستطيعون فهم هذه الأمور، ولا يستطيعون فتح عيونهم ليروا ما يقع في كُلِّ زاويةٍ من زوايا

---

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﵀ قد توجه من «طهران»، إلى الشعب الإيراني المجاهد، بمناسبة حلول السنة الإيرانيّة الجديدة. راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج١٢، ص١٦٩ - ١٧٠.

إيران من أعمال خارقة لا يمكن أن يقوم بها إنسانٌ عاديٌّ. وقد جاؤوا إلى «طبس» وهم يظنّون أنّهم سينطلقون من هناك ليفرضوا سيطرتهم على إيران بحجّة اطلاق الرهائن[١]، ولكن الله تعالى أرسل عليهم الرمال والرياح وهزمهم.»[٢].

(١) حادثةُ صحراء «طبس» من الحوادث المشهورة والألطاف الإلهيّة الخفيّة والإمدادات الربانيّة، فبعد انتصار الثورة المباركة دخل فتيةٌ آمنوا بربهم إلى وكر جاسوسيّة الشيطان الأكبر (السفارة الأمريكيّة في طهران) والتي كانت ـ ولسنوات عديدة ـ مقرّاً لآلاف عملاء جهاز الاستخبارات الأمريكيّة، والذين كانوا يديرون أمور وحكم شرطي أمريكا في الخليج الشاه المقبور. دخل الشباب الإيراني المجاهد ذلك الوكر وأخذوا العديد من الجواسيس الأمريكان رهائن، ووضعوا أيديهم على الكثير من الملفّات السرّيّة والخطيرة المتعلّقة بجرائم الأمريكيين والشاه، وعلاقته بأمريكا وإسرائيل. وبعد فشل عمليات التفاوض ـ غير المباشرة ـ من أجل إطلاق هؤلاء الجواسيس، قرّرت الإدارة الأمريكيّة القيام بعمليّة (أمنيّة ـ عسكريّة) في محاولةٍ منها لتخليص عملائها، واغتيال الإمام الراحل ﵀ في مقرّ إقامته في جماران في «طهران»، فتحرّكت بعض الطائرات العاموديّة العسكريّة وعلى متنها جنود الوحدات الخاصّة الأمريكيّة، على أساس أن تدخل إلى «طهران» وتعمد إلى إنقاذ الرهائن. ولكن ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾، فكما أرسل الله ﷻ على أصحاب الفيل الطيرَ من أبابيل، ترميهم بحجارةٍ من سجيل، سخّر الله ﷻ الهواء والرياح والرمال في صحراء «طبس»، فأسقطت مروحيات الشيطان الأكبر، فكانت تلك الصحراء والرياح والرمال مأمورةً في ابتلاع الجنود الغزاة، وهكذا حصل، فتحطّمت الطائرات ومن عليها من أبالسة الشيطان الأكبر، ليستفيق العالم على نبأ الهزيمة النكراء والفضيحة الكبرى التي مُنيت بها الإدارةُ الأمريكيّة المتعجرفة. وبذلك فشلت المؤامرةُ الخطيرة التي كانت تستهدف الثورة الإسلامية في إيران وحياة الإمام الخميني الراحل ﵀. وما زال الإيرانيون وإلى يومنا هذا يحيون ذكرى اقتحام وكر الجاسوسيّة ذاك، والنصر الإلهي العظيم الذي تحقّق في صحراء «طبس»، ببركة دعاء وإخلاص الإمام الراحل ـ روحي له الفداء ـ.

(٢) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﵀ قد توجّه به من «طهران»، إلى الشعب الإيراني المجاهد، بمناسبة حلول السنة الإيرانيّة الجديدة. راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج١٢، ص١٦٩ ـ ١٧٠.

سيادةُ المسلمين من خلال الاعتماد على القرآن

القرآن ورفض العبوديّة للأجانب

﴿لو لجأتم إلى القرآن والإسلام، لن يجرؤ الأجنبي على طلب وثيقة العبوديّة منكم. لن يجرؤ على سحق أمجادكم الوطنيّة والإسلاميّة.﴾[1].

لزوم العمل من أجل رفع غربة القرآن

﴿إن لم تتوحّد الكلمة، إن لم يوحّد زعماء المسلمين كلمتهم، ويتفكّروا في المآسي التي تعاني منها الشعوب الإسلاميّة، وإن لم يفكروا بما حلَّ بالإسلام وبأحكام الإسلام، ان لم يفكروا في الغربة التي صار عليها الإسلام والقرآن الكريم، فإنَّهم لن يتمكنوا من الاستمرار والسيادة. فيجب أن يفكروا وأن يعملوا بجدّ حتى يسودوا. ولو فعلوا لسادوا العالم أجمع. فلو أنَّهم عملوا على نشر الإسلام الحقيقي، والتزموا بتعاليم

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد توجّه به من «قم المقدّسة»، خاطب فيه العلماء وطلبة العلوم الدينيّة وكافّة أبناء الشعب الإيراني المسلم، حول معارضة مشروع قانون الحصانة للرعايا الأجانب، ودعوة أبناء الشعب والعلماء للانتفاضة. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١، ص٣٦٥.

الإسلام، فإنّ السيادة ستكون من نصيبهم، وستكون العزّة نصيبكم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]. »[٢].

العمل بالقرآن موجبٌ لإحياء عظمة المسلمين

« أسأل الله تعالى أن ينبّه كافّة المسلمين إلى الواجبات والمسؤوليّات التي ألقاها ربُّ العالمين على عاتقهم، مسؤوليّة المحافظة على التشريعات الإلهيّة والعمل بالقرآن الكريم الذي هو أساس عودة العظمة والمجد للإسلام والمسلمين، ومسؤوليّة حفظ وحدة الكلمة، ومراعاة الأخوّة الإيمانيّة الضامنة لاستقلال البلدان الإسلاميّة، والتخلص من نفوذ الاستعمار، ومسؤوليّة تجاوز المصالح الشخصيّة، والتضحية في طريق الحصول على ما فقدوه حتى الآن بسبب اختلاف الكلمة. والمسؤوليّة البالغة الأهميّة لحكومات البلدان الإسلاميّة تكمن في العمل بالقرآن والإسلام، والتخلّص من قيود الاستعمار، وخدمة أمّة الإسلام.

الاستعمار يحول دون تمسّك المسلمين بالإسلام والقرآن

المسؤوليات التي ربّما تكون في العصر الحاضر أكثر إلحاحاً من العصور السابقة، العصر الذي نفذت فيه مخالب الاستعمار الخبيثة حتّى أعماق البلاد الإسلاميّة، والتي تسعى بكُلّ الطاقات والوسائل الممكنة من خلال

---

(١) المنافقون: ٨.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في مسجد الشيخ الأنصاري رحمه الله «النجف الأشرف»، خلال لقائه جمعاً من العلماء والفضلاء وطلبة العلوم الدينيّة، بمناسبة شروع محاضرات الإمام الخميني قدس سره في الحوزة العلميّة في النجف الأشرف. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢، ص٣٣.

عملائها، إلى إثارة الفرقة بين المسلمين وزعماء البلدان الإسلاميّة، وتحول بمختلف الوسائل دون تمسّكهم بالإسلام والقرآن، كي تحقّق براحة بال أهدافها اللاإنسانيّة المتمثّلة في استغلال الطبقة المحرومة. العصر الذي حارب فيه الاستعمار الثقافة القرآنيّة، وفتح الطريق واسعاً لاستغلاله من خلال توظيف أذنابه في أرجاء البلدان الإسلاميّة بأسماء مختلفة وعناوين خدّاعة، وباسم الإسلام أحياناً.»[١].

العمل تحت ظلال القرآن موجبٌ للسعادة في الدارين

«القرآن الكريم ضمن السعادة لكُلِّ البشر. القرآن الكريم يجعل كُلَّ من ينضوي تحت لوائه سعيداً في الدنيا والآخرة. القرآن الكريم أوصى بالحريّة والاستقلال. نحن تابعون للقرآن الكريم، تابعون لموازين الإسلام وقواعده.»[٢].

الشهادة... رمزٌ قرآنيٌّ لأجل الانتصار

«على الشعوب أن تدرك أنَّ سرّ النصر يكمن في تمنّي «الشهادة»، وفي الإعراض عن الحياة الماديّة والدنيويّة والحيوانيّة. إنَّهُ السرّ الذي يُمَكِّنُ الشعوب من التقدّم. السرُّ الذي أشار إليه القرآن وجعل العرب ـ أضعف الناس آنذاك ـ يبسطون سيطرتهم على بقاع كثيرة.

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﵀ قد توجّه به من «النجف الأشرف»، إلى كافّة المسلمين والحكومات الإسلاميّة والعربيّة، والثّوار الفلسطينيين، بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك. راجع: صحيفة الإمام ﵀، ج٢، ص٤٢٥.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﵀ قد ألقاه في المدرسة العلويّة في «طهران»، خلال لقائه جمعاً من منتسبي القوّتين الجويّة والبريّة. راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج٦، ص٨٦.

لقد صاغ القرآنُ الإنسانَ، صاغ إنساناً إلهيّاً يمكنه الانطلاق بقدرةٍ إلهيّةٍ والتغلّب على أقوى الإمبراطوريّات في أقلّ من نصف قرن.

علينا أن نعثر على هذا السرّ، علينا أن نتّبع القرآن، ينبغي ايجاد الإنسان القرآني، وعلى الشعوب أن تستلهم القرآن حتى تتمكن من التقدّم.

ولو أنَّ الشعوب أرادت انتظار النتائج من الألاعيب السياسيّة، والاجتماعات العاديّة، والجلسات التي تعقدها المحافل السياسيّة، فإنَّهم لن يحقّقوا شيئاً أبداً.

على الجميع أن يتوحّدوا ويصبحوا نموذجاً للإنسان الإلهي المجاهد في سبيل الله ﷻ، فإذا أصبحوا كذلك سيتقدّمون.

القرآن هادي وإمام الأُمّة

إنَّني أوصي كافَّة الشعوب والمسلمين والعرب الراغبين في التغلب على مشاكلهم، أن يتربّوا تربيةً إسلاميّةً، وأن يتحرّكوا طبقاً لنهج الإسلام، وأن يكون القرآن هاديهم وإمامهم. إذا أصبحت الأمور كذلك فإنَّهم سيتغلّبون على كافَّة العقبات. وفي غير ذلك وإذا أرادوا التحرك طبقاً للموازين العاديّة والمعادلات السياسيّة فإنَّ الحكومات مُسلَّطةٌ عليهم والشعوب لن تحقّق شيئاً يذكر.﴾[1].

صحوة الأمّة بانضوائها تحت راية القرآن

﴿ينبغي أساساً أن يستيقظ المسلمون. ليس هذا يومٌ يعيش فيه كُلٌّ

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جمعاً من الزعماء الفلسطينيين، ومن مسلمي ليبيا والعراق ومصر، والمجاهدين العرب الإيرانيين. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٦، ص٣٩٧.

واحدٍ من المسلمين لوحده في جانب، وتكون لكُلِّ مجموعةٍ منهم حياتهم الخاصّة في كُلِّ بلدٍ، هذا غيرُ ممكنٍ في مثل هذا الزمن حيث تُبنى سياسات القوى العظمى على أساس ابتلاع كُلِّ الأرجاء.

على المسلمين؛ أي الشعوب، أن تتيقّظ. أمّا الحكومات فأنا يائسٌ من أغلبها، لكنَّ الشعوب يجب أن تصحو وتكون كُلّها تحت لواء الإسلام وتنضوي تحت راية القرآن.»[(١)].

العملُ بالأحكام وفق القرآن موجبٌ للانتصار

«إنّنا إذا كنّا من أهل الحقّ وإذا كان شعبنا من أهل الحقّ، فإنَّهُ لا يترك الأنظمة الفاسدة تفعل ما تشاء، ويمنع الأجانب من السيطرة والتحكّم ببلده. إنّني آمل أن نكون جميعاً من أهل الحقّ، ونضع القرآن الكريم والإسلام نصب أعيننا، ونكون عاملين جميعاً بأحكام الله تبارك وتعالى، لأنّنا إذا كنا عاملين جميعاً بأحكام الله ﷻ ومهتمين بالإسلام، سيكون بلدنا منتصراً وسيخطو إلى التقدّم. إنَّ كُلَّ المشكلة هي أنَّهم يمنعون من سيادة الحقّ، ويمنعون من وجود أهل الحقّ. ويجب علينا وبمنتهى الجدّية إحياء الحقّ وإحياء الإسلام وإحياء القرآن الكريم.»[(٢)].

---

(١) من حديثٍ كان الإمام الراحل ؒ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، وفداً من تنظيم (حركة أمل) الجناح العسكري لحركة المحرومين في لبنان. راجع: صحيفة الإمام ؒ، مصدر سابق، ج١٢، ص٢٦٥.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ؒ قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جمعاً من عشائر «كرمانشاه». راجع: صحيفة الإمام ؒ، مصدر سابق، ج٧، ص٣٢٦.

الإسلام الحقيقي موجبٌ للسعادة في الدارين

﴿ إذا سادت الأجواء الإسلاميّة... وتحقّق الإسلام كما أمر به الله ﷻ ورسوله ﷺ، فسيعيش جميع أبناء الشعب تحت راية الإسلام في رفاهٍ وسعادةٍ وازدهارٍ. والسعادة لن تكون في هذا العالم فقط، بل ستكون في العالم الآخر أيضاً.﴾[1].

الاتّصال ببحر القرآن الكريم

﴿ أيتها القطرات، اتصلن بالبحر وإلا ستَضِعْنَ هدراً. أيتها الأحلام الصغيرة استيقظي، وأوصلي نفسك إلى هذا البحر، بحر الألوهيّة وبحر النبوّة، وبحر القرآن الكريم.﴾[2].

الاستفادة من نور القرآن الكريم

﴿ إذا ما أدرك المسلمون في العالم دافع الأنبياء عليهم السلام الذي تجلّى نوره في آخر كتاب يربي الإنسان وهو القرآن الكريم. هذا الكتاب الذي جاء للهداية من مبدأ النور ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3] إلى مشكاة القلب النوراني لخاتم الرسل ﷺ ليحرّر قلوب الناس من حجب الظلمة ويجعل العالم نوراً على نور، واتَّصَلُوا بمحيط النور، لا يمكن ان يقعوا في أسر

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جمعاً من ممثلي عشائر «سربل ذهاب» وسكّان المناطق الحدوديّة في تلك المحافظة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٩، ص٣٧٦.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في المدرسة الفيضية في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جمعاً من فئات الشعب. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٩، ص٤١٠.

(٣) النور: ٣٥.

الشيطان وأبناء الشيطان، ولن يقبلوا الذل من أجل أوهام المنصب والرئاسة الخياليّة. . . فانتبهوا يا من فصلتم أنفسكم عن القرآن والإسلام وعودوا إلى دينكم واستضيئوا بهذا النور المطلق حتى لا يطمع فيكم ناهبو العالم، وتُقْطَعُ عنكم أيادي التطاول والعدوان لتنالوا الحياة الشريفة والقيم الإنسانيّة، وتتخلّصوا من هذه الحياة الذليلة.»[1].

معيار الحقّ في التطابق مع الإسلام والقرآن

«ما دمنا على الحق فإنّنا منتصرون! وكوننا على الحقّ بأن نجعل كُلَّ أمورنا إسلاميّة وأعمالنا مطابقة للإسلام [وللقرآن]، [وعقائدنا عقائد الإسلام، وأن نقوم بتقويّة الإيمان في قلوبنا] وأن نهذب أخلاقنا، [وأن نطابق ذلك مع الإسلام]، وإذا أصبحنا كذلك فسواء قتلنا في الميدان أو انسحبنا فإنّنا على الحقّ ومنتصرون؛ ذلك لأن مدرستنا منتصرة! [ومدرستنا هي الحقّ، فعليكم السعي كي يكون مسيركم مسير الحقّ].»[2].

النصر تحت راية التوحيد وفي ظلال القرآن

«اعلموا أيّها الإخوة أنَّهُ إذا كنَّا في حمى الإسلام، وفي ظلال القرآن،

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد توجه به من حسينيّة جماران في «طهران»، إلى مسلمي إيران والعالم أجمع، لا سيَّما حجاج بيت الله الحرام، بمناسبة عيد الأضحى المبارك. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٦، ص٣٨٧ ـ ٣٨٨.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه أعضاء الجمعيّة الإسلاميّة لموظفي الاتصالات اللاسلكيّة بطهران. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٠، ص١٤٦.

وتحت راية التوحيد سننتصر على جميع القوى الشيطانيّة. المهم أن نكون تحت راية الإسلام. فما الذي نعمله لنكون تحت راية الإسلام؟﴾[١].

التوجّه إلى القرآن موجبٌ لدفع أعداء الإسلام

﴿ إنّنا نكرّر اليوم هذا الكلام أنَّهُ ما لم تثر الشعوب الإسلاميّة والمستضعفون في العالم ضدّ المستكبرين في العالم وربائبهم خاصّةً إسرائيل الغاصبة، فإنَّ أيديهم الآثمة المجرمة لن تقطع من البلاد الإسلاميّة ولا يتمّ طرد هذه الغدّة السرطانية من بيت المقدس ولبنان. . . إنَّ الحل في دفع هؤلاء الظالمين يكمن في اللجوء إلى الإسلام والتوجّه الملتزم نحو القرآن الكريم والقيام تحت لواء التوحيد بكُلِّ وحدةٍ وانسجام.﴾[٢].

توصية بالاستفادة من بركات القرآن الكريم

﴿ أذكّر الزائرين الكرام بالأنس بالقرآن الكريم، تلك الصحيفة الإلهيّة وكتاب الهداية، في كُلِّ هذه المواقف الشريفة وطيلة مدّة السفر إلى مكّة المكرّمة والمدينة المنورة، فكُلُّ ما ناله المسلمون في القرون السالفة وما سينالونه في المستقبل يعود إلى البركات اللامتناهيّة لهذا الكتاب المقدّس.

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه منتسبي القوّة الجويّة في قاعدة «الحر» الجويّة، ومنتسبي قوات شرطة القوّة الجويّة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١١، ص٣٨٢.

(٢) من نداءٍ كان السيّد أحمد الخميني رحمه الله (نجل الإمام الراحل قدس سره) قد ألقاه في «طهران»، نيابةً عن الإمام قدس سره، مخاطباً الشعب الإيراني والمسلمين والأحرار في العالم، بمناسبة الذكرى الأولى لاندلاع الحرب المفروضة وأسبوع الدفاع المقدّس. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٥، ص٢١١.

وأغتنم هذه الفرصة لأطلب من جميع العلماء الأعلام وأبناء القرآن ألّا يغفلوا عن هذا الكتاب المقدّس الذي أنزل ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[1]. فربما يُهْجَرُ هذا الكتاب السماوي الإلهي ـ والعياذ بالله ـ وهو يحتوي على جميع الأسماء والصفات والآيات البينات بصورة حسيّة وخطيّة، ونعجز عن درك منازله الغيبيّة، ولا يحيط بأسراره سوى الوجود الجامع المقدّس أي «مَن خوطبَ بهِ»[2]. فأدرك خُلَّصُ أولياء الله العظام عليهم السلام كُنه ذلك ببركة تلك الذات المقدّسة وبفضل تعليمه صلى الله عليه وآله، واستفاد خُلَّصُ أهل المعرفة بشعاعٍ منه بقدر استعدادهم ومراتب سيرهم ببركة المجاهدة والرياضة القلبيّة، والآن نمتلك نسخه الخطيّة بعدما نزل على لسان الوحي بدون أيّ زيادةٍ أو نقيصةٍ في حرف منه، وبرغم تعذر إدراك الأبعاد المختلفة له والتي تتضمّن مراحل ومراتب كذلك، فليستفد منه أهل المعرفة والتحقيق بمقدار علمهم وقابليتهم في مجالاته المختلفة ويعلّمونه للآخرين، وليمحّص أهل الفلسفة والبرهان الرموز الخاصّة بهذا الكتاب الإلهي، ويكشفوا براهين الفلسفة الإلهيّة ويضعوها في متناول أيدي أهلها.

وليهدي الأحرار ذوو الآداب القلبيّة والرقابة الباطنيّة جرعةً مما «أدَّبني رَبّي»[3] للظمآنين إلى هذا الكوثر ليتأدّبوا بآداب الله عزّ وجلّ قدر المستطاع. وليتحف المتّقون المتعطّشون للهداية طلّابَ الهداية الإلهيّة وعشاقها ببريقٍ من نور التقوى من معين «هُدىً للمتقين»[4] الذي لا ينضب.

---

(١) النحل: ٨٩.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٤٩، «تاريخ الإمام محمد الباقر عليه السلام»، الباب٢٠، الحديث٢.

(٣) روى الشيخ المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار، ج١٦، تاريخ النبي محمّد صلى الله عليه وآله، باب مكارم أخلاقه، ص٢١٠، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّهُ قال: «أدَّبني رَبّي فأحسن تأديبي».

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في الآية ٢ من سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

على العلماء تحقيق آمال عشاق القرآن الكريم

وأخيراً فليشمّر العلماء الأعلام عن سواعد الجدّ ويمسكوا بأقلامهم ويتناولوا بعداً من الأبعاد الإلهيَّة لهذا الكتاب المقدّس، ويحقّقوا آمال عشاق القرآن، وليقضوا أوقاتهم في الأبعاد السياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والعسكريّة، والثقافيّة، والحربيّة، والسلميّة للقرآن ليتبيّن أنَّ هذا الكتاب منشأ لكُلِّ شيءٍ، بدءاً بالعرفان والفسلفة وانتهاءاً بالأدب والسياسة، لكي لايقول الجهلة: ليس العرفان والفلسفة إلا من نسج الخيال، وترويض النفس والسير والسلوك من عمل الدراويش والزهّاد البارعين، أو أن يقولوا: ما للإسلام والسياسة والحكومة وإدارة الدولة؟ فإنَّهُ عمل السلاطين ورؤساء الجمهوريّات وأهل الدنيا. أو إنَّ الإسلام دين الصلح والسلام وهو بريءٌ من محاربة الظالمين أيضاً. ويفعلون بالقرآن ما فعلته الكنيسة الجاهلة والساسة المتلاعبون بالدين المسيحي.

خلِّصوا القرآن من شرّ الجهّال

ألا أيّتها الحوزات العلميّة والجامعات إنهضوا وخلّصوا القرآن من شرّ الجهّال المتنسّكين والعلماء المتهتّكين الذين يغيرون على القرآن والإسلام عن عمدٍ وقصدٍ.

وأنتم يا أبناء الإسلام البررة أيقظوا الحوزات والجامعات للاهتمام بأمور القرآن وأبعاده المختلفة. إجعلوا تدريس القرآن في كُلِّ فروعه ومجالاته محطَّ نظركم وهدفكم السامي. ربَّما تندمون وتأسفون في أواخر عمركم ـ لا قَدَّرَ الله ـ على ما فاتكم أيام الشباب وذلك بعدما يهجم عليكم ضعف المشيب ككاتب هذه السطور.

يجب أن نعلم أنَّ الحكمة تكمن في حفظ هذا الكتاب الخالد والأبدي النازل لهداية البشر بكُلِّ أصنافهم وأشكالهم، وأينما حلّوا ووجدوا من الأقطار إلى قيام الساعة لتلك المسائل الحيويّة والمهمة، سواء من الناحية المعنويّة أم من الناحية العمليّة، فلا تختص مسائل هذا الكتاب بعصرٍ ومكانٍ معين. ولا يُظن أنَّ قصد إبراهيم وموسى ومحمد ﷺ يتعلّق بزمنٍ محدد.»[1].



(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد توجه به من حسينيّة جماران في «طهران»، إلى مسلمي إيران والعالم وزائري بيت الله الحرام. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٢٠، ص٨١ - ٨٢.



الفصل الرابع

العمل وفق القرآن



قراءة القرآن وفهم التكليف من خلاله

إقرأوا القرآن واعملوا به تحضنون النصر والفخر

﴿هذه أوامر سماويّة، هذه تشريعات إلهيّة، هذه بيانات غيبيّة حيث أنزل الله قرآناً من أجل حفظ استقلال البلد الإسلامي، ولبناء العظمة والفخر لكم [أنتم أمّة القرآن وأنصاره]، وأرسل الرسل، فاقرأوا القرآن وكرّروه وتدّبروا فيه واعملوا به حتى تعود لكم عظمتكم واستقلالكم. واحضنوا من جديد النصر والفخر، وإلّا فإنّكم ستسيرون في طريق الهلاك وحياة الذلّة، وستكونون لقمةً لجميع العالمين.﴾[1].

القرآن الكريم يعيّن لنا تكليفنا

﴿[نحن لم نقرأ القرآن ولا نعلم منطق القرآن]، علينا أن نقرأ القرآن لنرى حُكمَه، فهو الذي يعيّن وظيفتنا وتكليفنا... علينا أن نطالع لنرى ما هو تكليفنا، ماذا قال لنا القرآن، ماذا يجب أن نعمل؟﴾[2].

---

(١) راجع: كشف الأسرار، للإمام الخميني ﷺ، المقالة السادسة: الحديث، ص٢٩٨، تحت عنوان: (ثلاث آيات من القرآن).

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في مسجد الشيخ الأنصاري ﷺ في «النجف الأشرف»، خلال لقائه علماء الدين وفئات الشعب المختلفة، بمناسبة أربعينيّة شهداء «قم=

ضرورة حضور القرآن في جميع شؤون الحياة

﴿ إنَّ قراءة القرآن وحضوره في جميع شؤون حياة الإنسان من الأمور اللازمة، [يجب أن يكون القرآن حاضراً في جميع شؤون حياتنا]، فالقرآن يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[1]، ويقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2]، فإذا عملتم بهذه الأحكام السامية، فإنَّكم تسودون العالم، غير أنَّنا هجرنا القرآن ولم نعر اهتماماً بهذه الأحكام. [يجب أن يكون القرآن دخيلاً في جميع الشؤون]، ولا يكفي مجرّد تلاوة القرآن والذكر رغم أنَّ ذلك أمرٌ مطلوبٌ، ولكن ليس من الصحيح الالتزام ببعض وترك البعض الآخر.﴾[3].

هجران القرآن وسلوك المسلمين

﴿ انظروا كيف أصبح وضع العالم اليوم؟ إنَّ المسلمين الذين يدّعون بأنَّنا أتباع الرسول الأكرم ﷺ وأتباع القرآن الكريم، حسناً فهذا هو القرآن تعالوا وانظروا ماذا يقول القرآن وما هو عملكم. إنَّهم يخلقون كُلَّ هذه

=المقدّسة» الذين سقطوا بفعل جرائم الشاه وعملاء السافاك. راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج٣، ص٣٠٥.

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) الأنفال: ٤٦.

(٣) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﵀ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه ممثل الإمام ﵀ ومدير مؤسسة الشهيد، وزير الإرشاد الإسلامي، عوائل شهداء لبنان، الضيوف الأجانب المشاركين في احتفالات انتصار الثورة، الطلبة الأجانب المشاركين في المجمع العالمي الأول لـ (الحركة الإسلاميّة الطلابيّة)، حفظة وقراء القرآن المشاركين في المسابقة الدوليّة لحفظ وقراءة القرآن المجيد. راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج١٦، ص٣٦.

المصائب لنا لأجل أمريكا ثم يدّعون بأنّهم مسلمون. حسناً لقد جاء الإسلام لكي تصبحوا مسلمين، ولكن لأنَّ أمريكا تريد شيئاً آخر ترتكبون أنتم هذه الأعمال!!»[1].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة ذكرى مولد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وحفيده الإمام الصادق عليه السلام، خلال لقائه رئيس الجمهورية ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي دام ظله، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس وأعضاء مجلس الوزراء، رئيس وأعضاء مجلس الشورى الإسلامي، علماء الدين، كبار مسؤولي الدولة من مدنيين وعسكريين، فئات شعبيّة مختلفة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٨، ص٢١٨.

إبراز وتبليغ القرآن الكريم

ضرورة التعريف الصحيح بالقرآن

﴿ إنَّ علينا أن نُظْهِرَ الإسلام على حقيقته والقرآن على حقيقته، ولو تمَّ ذلك وعرضت حقائق الإسلام والقرآن للدنيا فَسَيُقْبِلُ عليه الجميع. إنَّ الابتعاد عن الإسلام لم ينجم إلا عن عدم معرفتهم بالإسلام، ولو أنَّهم عرفوا الإسلام وعرفوا أحكامه فيسقبلون عليه جميعاً.﴾[1].

وظيفتنا: نشر الإسلام والقرآن الكريم

﴿ إنَّ الإسلام والقرآن في متناولكم اليوم، وبإمكانكم نشر الإسلام والقرآن الكريم، وجعل راية الإسلام خفاقةً على رؤوس جميع الشعوب العالميّة.﴾[2].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في «قم المقدَّسة»، خلال لقائه جمعاً من موظّفي صهر الحديد في «أصفهان». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٦، ص٤٠١.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في «قم المقدَّسة»، خلال لقائه جمعاً من طلبة جامعة «شيراز». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١١، ص٢٨٣.

تجلّي نور القرآن في العالم

﴿أنّنا نأمل أن يتحقّق... نشر الإسلام العزيز ونور القرآن الكريم في العالم بأسره حتى يتمّ إحياء القيم الإسلاميّة والإنسانيّة التي أقصيت عن مسرح الحياة.﴾[١].

نشر وتبليغ القرآن في العالم بلغاتٍ مختلفة

﴿تبليغُ الإسلام من الواجبات، ولا بُدَّ من إعداد أفرادٍ لتبليغ وإيصال كلمة الإسلام الطيبة وما جاء في القرآن إلى كافَّة أنحاء العالم. وهكذا أمر يتطلّب معرفة وإتقان لمختلف اللغات الحيّة في العالم، فإنّكم لاتستطعون الذهاب إلى إنكلترا أو أمريكا أو الاتحاد السوفيتي وتمارسوا التبليغ بلغتكم. بل لا بُدَّ من إتقانكم للغة أهل هذه البلاد، فالإقدام على ذكر هكذا أمر كان من المستحيلات في السابق، أمّا اليوم فترون أنَّهُ جزءٌ من الواجبات التي يجب عملها وإنجازها.﴾[٢].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷿ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه وزير التربية والتعليم، وزير العمل والشؤون الاجتماعيّة، وجمعاً من العمال ومنتسبي التربية والتعليم، ولجنة تكريم الأستاذ الشهيد الشيخ مرتضى المطهري ﷺ. راجع: صحيفة الإمام ﷿، مصدر سابق، ج١٧، ص٣٣٥.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷿ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه مسؤولي واساتذة جامعة الإمام الصادق ﵇، أعضاء في لجنة الثورة الثقافيّة، الأساتذة والطلاب في مدرسة الشهيد مطهري ﷺ، خريجي الدراسات التربويّة والقضائيّة في قم المقدَّسة، مسؤولي مؤسسة (على طريق الحقّ)، والعاملين في معهد أمير كبير الفني في «أصفهان». راجع: صحيفة الإمام ﷿، مصدر سابق، ج١٨، ص٩٤.

الدعوة إلى التعرّف على القرآن الكريم

﴿لو أنّكم ربيتم الناس تربيةً سالمةً ودعوتموهم إلى التعرّف على الله ﷻ وعلى المعارف الإلهيّة والقرآن لبقي البلد سالماً ولسرت هذه السلامة إلى سائر الأماكن، وهذا أمرٌ مؤكدٌ.﴾[1].

الإجتهاد في استنباط الأحكام من القرآن الكريم

﴿يجب الصمود حيال المؤامرات الواسعة النطاق وفقاً لما تملية علينا الثقافة الإسلاميّة، وينبغي على الأدباء والخطباء والفنّانين انتهاز هذه الفرصة ومساندة علماء الدين العارفين بالفقه الإسلامي والقرآن الكريم من أجل استنباط الأحكام الإلهيّة [من خلال الاجتهاد الصحيح من القرآن الكريم وسنّة النبي الأكرم ﷺ والمعارف الإلهيّة والفقه التقليدي] وعرضها على العالم.﴾[2].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة عيد الأضحى المبارك، خلال لقائه رئيس مجلس الشورى الإسلامي، أعضاء رابطة المدرسين وأساتذة الحوزة العلميّة في قم، أساتذة الجامعات في البلاد، مسؤولي وزارة الثقافة والتعليم العالي، أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافيّة، علماء الدين في طهران، أعضاء مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة العلمّية في قم، منظمة الإعلام الإسلامي في طهران، وسفراء الدول الإسلاميّة. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٩، ص ٣٠٩.

(٢) من رسالةٍ فيها مواعظ ووصايا أخلاقيّة وعرفانيّة كان الإمام الراحل ﷺ قد كتبها مخاطباً فيها نجله السيّد أحمد ﷺ. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٢٠، ص٣٥٦.



الفصل الخامس

الأجانب والقرآن



القرآن الكريم وسدّ الطريق على الأجانب

القرآن عقبةٌ في وجه إسرائيل

﴿ إسرائيل لا تريد أن يكون في هذا البلد مفكّرٌ، ولا تريد أن يكون فيه القرآن وعلماء الدين، ولا تريد أحكام الإسلام. فقد دمّرت إسرائيل المدارس بأيدي عملائها الخبثاء[1]! إنَّهم يريدون إحكام قبضتهم على اقتصادكم، والقضاء على زراعتكم وتجارتكم، وامتلاك ثروات هذا البلد بعملائهم، وتحطيم كُلَّ ما في طريقهم من عراقيل، والقرآن عقبةٌ تجب إزالتها! وطبقة العلماء سدٌّ ينبغي تدميره! والمدرسة الفيضيّة عقبةٌ لا بُدَّ من هدمها! وطلبة العلوم الدينيّة الذين من الممكن أن يكونوا موانع على الطريق في المستقبل، يجب أن يلقى بهم من فوق السطوح وتكسَّر أيديهم ورؤوسهم! كُلُّ ذلك من أجل أن تحقّق إسرائيل مصالحها.﴾[2].

---

(١) إشارة إلى ما تعرَّضت له المدرسة الفيضيّة في مدينة قم المقدَّسة، والمدرسة الطالبيّة في مدينة تبريز، من هجومٍ وحشيٍّ على أيدي أزلام السافاك وعملاء الشاه المقبور.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في المدرسة الفيضيّة في «قم المقدَّسة»، بمناسبة عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام، خلال لقائه علماء الدين، وطلبة العلوم الدينيّة، وجمعاً من أهالي مدينة «قم المقدَّسة»، وزوار مرقد السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١، ص٢٣٨.

القرآن مضرٌّ بمصالح أميركا

﴿ بالأمس ابتليت الدول الإسلاميّة بالاستعمار البريطاني وعملائه، واليوم بالهيمنة الأميركيّة وعملائها... أميركا هي التي تعتبر الإسلام والقرآن المجيد مضرّين بمصالحها، [وتريد إزالتهما من أمامها وإزاحتهما من طريقها]... أميركا هي التي تتعامل مع الأمّة الإسلاميّة معاملةً وحشيّةً، بل وأكثر من وحشيّة.﴾[1].

الأجانب لا يريدون تحكيم القرآن

﴿ إنّهم لا يريدون تحكيم القرآن الكريم وأحكامه على الشعوب الإسلاميّة كي يتمكّنوا من نهب ثرواتهم دون أن ينبس أحدٌ ببنت شفة، بل وأن يحصلوا في المقابل على الحصانة.﴾[2].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في المدرسة الفيضيّة في «قم المقدّسة»، خلال لقائه العلماء وطلبة العلوم الدينيّة وكافّة أبناء الشعب الإيراني المسلم، بمناسبة معارضة مشروع قانون الحصانة للرعايا الأجانب، ودعوة أبناء الشعب والعلماء للانتفاضة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١، ص٣٦٥.

(٢) من رسالةٍ مفتوحة كان الإمام الراحل قدس سره قد بعث بها من «النجف الأشرف» إلى «أمير عبّاس هويدا» رئيس وزراء الشاه المقبور، يبيّن فيها مفاسد الشاه وحكومة هويدا وخياناتهما. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢، ص١٢٠.

مؤامرات الأجانب في التصدّي للقرآن

تحريف إسرائيل لنسخ القرآن الكريم

﴿ نحن نرى اليوم أنَّ اليهود ـ خذلهم الله ـ قد تصرَّفوا في القرآن، وأحدثوا بعض التغييرات في نسخ القرآن التي طبعوها في الأراضي المحتلة. ونحن مكلّفون بالتصدّي لهذه التصّرفات الخيانيّة. فيجب رفع الصوت وتنبيه الناس، لكي يتّضح أنَّ اليهود وحماتهم الأجانب أناسٌ معادون للإسلام. ﴾[1].

المذاهب والمدارس المغلوطة هدفها إبعاد الأمَّة عن القرآن

﴿ من الواجب عليكم أيّها الشباب المسلم أن تأخذوا بعين الاعتبار الأصالة الإسلاميّة وأنتم تدرسون حقائق الإسلام في المجالات السياسيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة وغيرها، وأن لا تنسوا الخصوصيّات التي تميّز الإسلام عن جميع المذاهب الأخرى. فاحذروا من أن تخلطوا بين القرآن

---

(١) راجع: كتاب «الحكومة الإسلاميّة» أو «ولاية الفقيه»، للإمام الخميني الراحل قدس سره، مصدر سابق، ص١٨٤، ولاية الفقيه من خلال الروايات، برنامج النضال من أجل إقامة الحكومة الإسلاميّة.

المقدَّس ونهجه المتمثّل في الإسلام، وبين المذاهب المغلوطة والمضلّة التي ترشّحت من فكر الإسلام.

واعلموا أنَّ الأمَّة الإسلاميّة سوف لا تنعم بالأمن والحرّيّة ما دامت متشبثةً بهذه المذاهب الاستعماريّة، وما دامت تقارن التشريعات الإلهيّة معها، وتضعها إلى جنب بعضها البعض. فهذه المذاهب التي تعرض على الأمَّة الإسلاميّة من اليسار واليمين هدفها الوحيد إضلال المسلمين وحرفهم، فهم يريدون أن يُبقوا المسلمين في حالة الذل والتخلّف والعبوديّة دائماً، ويبعدوهم عن تعاليم القرآن الكريم التحرّريّة.﴾[1].

محاربة الاستعمار للثقافة القرآنيّة

﴿المسؤوليّة البالغة الأهميّة لحكومات البلدان الإسلامية تكمن في العمل بالقرآن والإسلام، والتخلّص من قيود الاستعمار، وخدمة أمّة الإسلام. المسؤوليات التي ربما تكون في العصر الحاضر أكثر إلحاحاً من العصور السابقة. العصر الذي نفذت فيه مخالب الاستعمار الخبيثة حتى أعماق البلاد الإسلاميّة، والتي تسعى بكُلِّ الطاقات والوسائل الممكنة من خلال عملائها، إلى إثارة الفرقة بين المسلمين وزعماء البلدان الإسلاميّة، وتحول بمختلف الوسائل دون تمسّكهم بالإسلام والقرآن، كي تحقّق براحة بالٍ أهدافها اللاإنسانيّة المتمثلة في استغلال الطبقة المحرومة. العصر الذي حارب فيه الاستعمار الثقافة القرآنيّة، وفتح الطريق واسعاً لاستغلاله من

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «النجف الأشرف»، خلال لقائه جمعاً من الطلبة المسلمين المقيمين في أمريكا وكندا. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢، ص٤٠٤.

خلال توظيف أذنابه في أرجاء البلدان الإسلاميّة بأسماء مختلفة وعناوين خدّاعة، وباسم الإسلام أحياناً.﴾[١].

ترويج الإسلام المنحرف لأجل هجران القرآن

﴿إنَّ هذا الإسلام الذي تطبّل له الحكومات العميلة وتقيم له ما يسمى بمؤتمر الوحدة الإسلاميّة، هو الإسلام الذي صنعه السلاطين الأمويون والعباسيون، والذي صُنع في مقابل القرآن والدين المقدَّس لنبيّ الإسلام الأعظم ﷺ؛ ولذلك نرى أنَّ المستعمرين، ونفس الأشخاص الذين كانوا يرفعون القرآن، ويقولون: إنَّنا لا نستطيع أن نسيطر على المسلمين ما دام القرآن حاكماً بينهم. إنَّهم الآن يدعمون مثل هذا الإسلام والاتحاد الإسلامي كي يحرفوا الأمَّة الإسلاميّة، كي يهجروا القرآن الكريم، ويقضوا على دين الله ﷻ، كي يمهّدوا الطريق لتحقيق أغراضهم المشؤومة وأهدافهم الاستعماريّة.

وكما أعلنت عن الخطر مراراً، فإذا لم تستيقظ الأمَّة الإسلاميّة، ولم تعِ واجباتها، وإذا لم يشعر علماء الإسلام بمسؤوليتهم، ولم ينهضوا، وإذا ما بقي الإسلام الحقيقي الذي هو عامل وحدة وتحرّك جميع فرق المسلمين أمام الأجانب والضامن لسيادة واستقلال الشعوب المسلمة والبلدان الإسلامية، إذا ما بقي مغيّباً وراء الحجاب المعتم للاستعمار على يد عملاء الأجانب، واستعر أوار الاختلاف والتشتّت بين المسلمين، فإنَّ هناك أياماً

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد توجه به من «النجف الأشرف» إلى كافَّة المسلمين والحكومات الإسلاميّة والعربيّة، والثوار الفلسطينيين، بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك.
راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٢، ص٤٢٥.

حافلةً بمصائب ونكبات أكثر في انتظار المجتمع الإسلامي، وسيكون هناك خطرٌ مدمّرٌ يهدد أساس الإسلام وأحكام القرآن.

إنَّ الهجمات العلنيّة والخفيّة لأعداء الإسلام والمعتدين الدوليين على القرآن الكريم وأحكام الإسلام التحرريّة مستمرّة بشدّة من كُلِّ حدبٍ وصوب.﴾[١].

بث الدعايات ضدّ القرآن والإسلام

﴿لقد بثّ دعاتهم الدعايات ضدّ الإسلام، ولم يعرفوا الإسلام على حقيقته، فقالوا إنَّ الإسلام أفيون كبقية الأديان! اعتبروا أصل الديانة مخدّراً، وقالوا إنَّ الدين أفيون الشعوب، كي لا يرتفع صوتٌ للشعب مهما سلبوه!

إنَّ دعاة هؤلاء الطامعين وسرّاق النفط ردّدوا على أسماعنا دائماً هذه الأمور خلال الفترات الطويلة الماضية، وقد صدَّق ذلك وخُدع به شبابنا الجاهلون والذين لا يعرف أكثرهم ما هو القرآن أساساً وما في القرآن، وما الذي يدعو إليه القرآن، وما هي برامجه لشؤون هذا العصر! إنَّهم لم يسمعوا شيئاً عن الإسلام إلّا من الذين ارغموا على أن يظهروا الإسلام بشكلٍ آخر، دون أن يفهموا ما هو أساس الموضوع وما هي جذوره! فصدّقوا، وخُدعوا!﴾[٢].

---

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد توجّه به من «النجف الأشرف» إلى اتحاد المنظمات الإسلاميّة للطلّاب المقيمين في أوروبا وأميركا وكندا. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٢، ص٤٤٩ _ ٤٥٠.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في نوفل لو شاتو في «باريس» خلال لقائه جمعاً من الطلبة والإيرانيين المقيمين في الخارج. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٤، ص٦٨.

هدف الأجانب إضعاف منطق القرآن واتّهامه بتخدير الشعوب

﴿لو وجدتم في القرآن الكريم كُلِّهِ آيةً واحدةً تدعو الناس للخضوع وملازمة بيوتهم ليفعل الجبابرة ما يشاؤون، حينئذٍ يحقّ للمرء أن يقول: إنَّ القرآن والإسلام أفيون، فالأفيون مثل الترياق وسائر المواد المخدّرة، فإذا استعملها الإنسان أصابه الخدر، فهل أنزل القرآن ليفعل بالناس مثل ذلك؟!!

إذن هي تهمةٌ أثيرت ضدّ القرآن واستهدفت إبعاد المسلمين عنه واضعاف منطق القرآن بينهم، كي لا يكون للشرقيين المسلمين الذين يملكون الثروات رصيد للمقاومة، فلولا القرآن والروح القرآنيّة لما قاوم الناس، لأنَّهُ هو الذي يبعث فيهم روح المقاومة. وقد توصلت دراسات الغرب إلى أنَّ العقبة القائمة بوجه مطامعهم تتمثّل بالقرآن. والذين درسوا القرآن عرفوا مكمن احتمالات التحرك لتحجيم مطامع الغرب.

لذا يجب تحطيم هاتين العقبتين لفتح الطريق أمام تحقيق مطامعهم، وقد حطّموا العقبة القرآنيّة ـ بزعمهم ـ بتلك الدعاية أو توهّموا تحطيمها، وزعموا أنَّ الدين عموماً وليس الإسلام وحسب مخدّرٌ، ولم يكن زعمهم هذا نتيجة جهلهم، فمعلوماتهم صحيحة عن الدين، لكنَّهم كانوا يريدون التضليل، ونحن الذين خُدعنا لكوننا كنا نفتقد الاطلاع اللازم. كانوا يخادعون لهدف سياسيٍّ هو تحقيق مطامعهم، وقد انخدع المسلمون بذلك نتيجة جهلهم بحقيقة الإسلام.

ولعلَّ البعض من شبابنا لا زال يكرّر هذا القول على الرغم من أنَّ أركان أنظمة الظلم أخذت تضطرب وتتهاوى ببركة القرآن والإسلام وعلمائه. ومن يكرّر مثل هذا القول الآن إمّا من عملاء الأجانب أو من المخدوعين، والا كيف يمكن له التفوه بمثل هذا القول وهو يرى هذه النهضة المستمرّة منذ

خمسة عشر عاماً والتي لم تزلزل سلطة الشاه وحده بل هزّت أمريكا وانكلترا والاتحاد السوفيتي الذين يبحثون الآن عن سبيل للخلاصِ فلا يجدون؛ لأنَّ الحراب تفقد فاعليتها في مواجهة إرادة الشعب، ولعلَّ هؤلاء لا زالوا يأملون ظهور جاهلٍ يكرّر مثل هذا القول الناشئ من الجهل.﴾[١].

منطق الأجانب ينصّ على إبعادنا عن القرآن

﴿المنطق القائل إنَّ الإسلام أو سائر الأديان من العوامل المخدّرة، هو منطق الأجانب الذين يريدون سرقة ثرواتنا وعزلنا عن القرآن لكي نفقد الدعامة التي نستند اليها، ولكي نخسر القدرة القرآنيّة ونتفرّق كُلٌّ في صوب، وبذا تحقّق دعاياتهم أثرها وتحرف شبابنا كي يتطوعوا لتحقيق مطامعهم.﴾[٢].

إقصاء القرآن عن حياة المسلمين لأجل نهب ثرواتهم والتسلّط عليهم

﴿إنَّ ما يقولونه بأنَّ «الإسلام أفيون المجتمع»، مقولةٌ قديمةٌ وليست جديدة، وهم يهدفون من ورائها إلى إبعاد الأمَّة الإسلاميّة عن القرآن وعن الإسلام. فمرّة يقولون: «الإسلام أفيون المجتمع» وهذا ما قرأته اليوم، وأخرى يردّدون: «الدين أفيون الشعوب».

وهنا ينبغي للمرء أن يرى أولاً ما هو أساس هذه المقولة التي يرددونها

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في نوفل لو شاتو في «باريس» خلال لقائه جمعاً من الطلبة والإيرانيين المقيمين في الخارج. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٤، ص١٤١.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في نوفل لو شاتو في «باريس» خلال لقائه جمعاً من الطلبة والإيرانيين المقيمين في الخارج. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٤، ص١٤٢.

ويروّجون لها؟ ولماذا يجعلها صحفيٌّ روسيٌّ عنواناً بارزاً في صحيفته؟ وماذا يهدف من وراء الكتابة في هذا الموضوع وهو في الطرف الآخر من الدنيا؟

إنَّهم يريدون نهب بلادكم، يجب ان يزيلوا ما يمنعهم عن هذا النهب حتى يستطيعوا انجاز ما يريدونه. لقد درسوا الإسلام والقرآن وأدركوا أنه لو ارتبط المسلمون بهما فسيلقمون أفواه السلطويين حجراً!

يقول القرآن: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[1]! [لا ينبغي أن يكون أي سبيل وأي قدرةٍ فاسدةٍ للمشركين على المسلمين]. هؤلاء طالعوا فرأوا ما هو القرآن [وما هو الإسلام] والنصوص الإسلاميّة، فإذا اطّلع المسلمون على هذه النصوص واتّحدوا وتمسّكوا بالقرآن والإسلام فإنَّهم سينهون هذا النهب والتسلّط!

إذن ما الذي يعملونه كي يبقى تسلّطهم على قوّته ويستمر هذا النهب؟ يجب عليهم أن يفرّقوا بين هذه الأمَّة والإسلام.»[2].

الأجانب أرادوا السيطرة على الشرق فسعوا لعزل الناس عن القرآن

«إنَّ الأجانب الخونة الذين أرادوا السيطرة على الشرق، سيَّما البلدان الإسلاميّة، لتحقيق مصالحهم، أدركوا بعد الدراسات التي أجروها في هذه البلدان، إذ درسوها بشكلٍ كاملٍ، درسوا صحاريها وقصباتها ومدنها شبراً بشبر، كما درسوا روحيّة شعوبها، وطبيعة عملائهم في المنطقة، وكيفيّة

---

(١) النساء: ١٤١.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في نوفل لو شاتو في «باريس» خلال لقائه جمعاً من الطلبة والإيرانيين المقيمين في الخارج. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٤، ص٢١٨.

نفوذهم إلى تلك البلدان، فتوصّلوا إلى أنَّ عليهم أن لا يدعوا المسلمين يتمسكون بالقرآن، إذ أنَّهم يعتبرون القرآن سدّاً أمامهم، فسعوا لعزل الناس عن القرآن والإسلام، عزلوا الشعوب عن الإسلام.﴾[١].

إيجاد التفرقة بين المسلمين لإبعادهم عن القرآن

﴿لقد فرّق بيننا الاستعمار، فهؤلاء الذين كانوا يفكّرون بنهب ثرواتنا وإعادة قوانا البشريّة إلى الوراء، والقضاء على الإسلام والقرآن، عملوا على الفصل بين فئات الشعب، وفرّقوا بيننا وبينكم، وإلّا فإنّا جميعاً جنود الإسلام... فأنا وإيّاكم جنود الإسلام، وعلينا أن نكون أوفياء للإسلام والقرآن.

أيّها الأخوة! إنَّ استنادنا إلى الإيمان والإسلام هو الذي حقّق لنا النصر. إنَّ إذعاننا إلى تعاليم الإسلام السامية والإيمان بالمبادئ هو الذي مكّننا من التغلب على كافَّة القوى الشيطانيّة رغم الأيدي الخالية.﴾[٢].

التصدّي لمحاولات الفهم الصحيح للقرآن الكريم

﴿إنَّ من الأعمال الخطيرة التي حصلت، وأظن أنَّ أولئك الشياطين هم الذين فعلوا ذلك، هو أنَّهم لم يَدَعُونا نفهم الإسلام والقرآن على حقيقتهما. لم يَدَعُوا المسلمين يعوا حقيقة الإسلام. لقد نفذت الدعايات حتى إلى عمق

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﴿قدس سره﴾ قد ألقاه في المدرسة الفيضيّة في «قم المقدَّسة» خلال لقائه وفداً من نواب المجلس الشرعي الإسلامي القطري. راجع: صحيفة الإمام ﴿قدس سره﴾، مصدر سابق، ج٦، ص٢٦٦.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﴿قدس سره﴾ قد ألقاه في «قم المقدَّسة» خلال لقائه مجموعةً من منتسبي القوّتين الجويّة والبريّة. راجع: صحيفة الإمام ﴿قدس سره﴾، مصدر سابق، ج٦، ص٣٠٤.

الحوزات الدينيّة في النجف وقم! وطُرِحَ جانبٌ من الإسلام، قسمٌ منه فقط طُرِحَ بين علماء الإسلام، وبقي القسم الآخر خافياً ومدفوناً. لم يدعونا نعي الإسلام كما هو في حقيقته؛ وذلك لأنَّهم كانوا يرون أنَّ الخطر سيحدق بهم إذا وعى المسلمون الإسلام على حقيقته، لأنَّ المسلمين سيلتفّون حوله حينئذٍ، ولن يبقى لهم مكانٌ بعد ذلك. إنَّهم لم يريدوا أن يتمّ الأمر للمسلمين، لقد اطّلعوا على تعاليم الإسلام.﴾[1].

السعي في مخالفة أصل الإسلام والقرآن

﴿إنَّ الهدف الأساسي لهؤلاء هو الإسلام لا علماء الدين؛ لأنَّ الذي يمنح علماء الدين القوّة، ويعطي لكلامهم المصداقيّة هو الإسلام. فالأساس هو الإسلام، وهؤلاء معارضون لهذا الأساس، وأتباعٌ أوفياء لأمثال ذلك الشخص[2] الذي أمسك بالقرآن وراح يسيء إليه وينال منه ثم قال: ما دام هذا القرآن بين المسلمين فلن يستطيع الإنكليز السيادة عليهم وإخضاعهم.

فهؤلاء هم تلامذة وأتباع لأولئك، ويسعون لملء أذهان تلامذة المدارس الصغار وبعض المساكين من البسطاء في التفكير، بأفكارٍ ومفاهيم مُبَعِّدَةٍ عن الإسلام ومنفرةٍ منه، وهؤلاء على بساطتهم يصدّقون ذلك. فعلى عقلاء الأمّة أن يفكّروا جيّداً بالأساس الذي ينطلق منه هؤلاء، وما الذي يريدون الوصول إليه.﴾[3].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في «قم المقدّسة» خلال لقائه جمعاً من أبناء البحرين وباكستان. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٧، ص٢٨٦.

(٢) إشارة إلى «كلادستون» رئيس وزراء إنكلترا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

(٣) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران» خلال لقائه جمعاً من أصحاب المهن والتجّار ومختلف الشرائح من أهل «قم المقدّسة». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٣، ص٢٨٣.



الفصل السادس

مهجوريّة القرآن بين المسلمين



مهجوريّة الثقل الأكبر والثقل الكبير

﴿ إنّي أرى من المناسب التعرّض باقتضاب واختصار لموضوع الثقلين[1]، لا من حيث المقامات الغيبيّة والمعنويّة والعرفانيّة، فقلمي لا يجسر على مرتبةٍ يستعصي عرفانها، ويصعب ـ إن لم أقل يمتنع ـ تحمّلها على كُلٍّ دائرة الوجود من المُلك[2] إلى الملكوت الأعلى[3]، ومنه إلى

---

(١) مفرده «ثقل»، والثقل وإن كان مفهومه واحداً، إلا أنَّ له عدّة مصاديق جاءت في شروح الحديث وتفاسير القرآن الكريم، منها: الميراث الثقيل، والشيء الكبير أو الثقيل أو الثمين، والمسؤوليّة العظيمة، والأمانة النفيسة النادرة. والمراد من «الثقلين» في الحديث هو القرآن والعترة، لأنّهما مصدران للشرع في الأحكام، والمرشدان للعمل الصالح. وحديث الثقلين منقولٌ بألفاظٍ مختلفة، إلا أنَّ الروايات متّفقة في المقصود، راجع: الترمذي: ١٣ / ١٩٩ (باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ)، كنز العمال: ١/ ٤٨، صحيح مسلم: باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، مسند أحمد: ٤/ ٣٦٦، سنن الدرامي: ٢/ ٤٣١، سنن البيهقي: ٣/ ١٤٨ و ٧/ ٣٠، الطحاوي في مشكل الآثار: ٤/ ٣٦٨، أسد الغابة: ٢/ ١٢، مستدرك الصحيحين: ٣/ ١٠٩، حلية الأولياء: ١/ ٣٥٥، تاريخ بغداد: ٨/ ٤٤٢، مجمع الزوائد للهيثمي: ٩/ ١٦٣ و١٦٤.

(٢) المُلك: العالم المادي. من المباحث الفلسفيّة المهمّة مبحث معرفة عوالم الوجود، وقد أثبتت الفلسفة وجود بعض تلك العوالم، ومنها ما ثبت للإنسان بواسطة الرؤية المجرّدة، وبحسٍّ من الحواس، وهو عالم الطبيعة الذي سُمّي بـ «المُلك».

(٣) استدل الفلاسفة والمفكّرون على ضرورة وجود عالم في الحدّ الفاصل بين عالم الطبيعة «المُلك» وعالم «اللاهوت». هذا العالم المجرّد من المادة والزمان والمكان بشكلٍ مطلق سُمّي بـ «عالم الملكوت». وقد قسّم الحكماء والعرفاء هذا العالم إلى مرتبتين: عليا وسفلى، وقد أيّدت=

اللاهوت[١]، وإلى ما يفوق فهمي وفهمك، ولا من حيث ما مرّ على البشريّة جراء عدم إدراك حقائق المقام السامي «الثقل الأكبر»[٢] و«الثقل الكبير»[٣] الذي يفوق كُلَّ شيءٍ عدا الثقل الأكبر الذي يمثل الأكبر المطلق. ولا من حيث ما قاساه هذان الثقلان من الطواغيت[٤] والشياطين من أعداء الله ﷻ. ذلك عليَّ عسيرٌ لقصور الاطلاع وضيق الوقت. فَجُلُّ ما رأيته مناسباً للذكر، هو الإشارة باختصارٍ بالغٍ إلى ما تعرَّض له هذان الثقلان.

لعل قوله ﷺ: «**لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[٥]، إشارة إلى أنَّ كُلَّ ما يجري بعد حياة رسول الله ﷺ المباركة على أحد هذين الثقلين يجري

=النصوص الإسلاميّة هذا التقسيم، وقد اصطلح على تسمية المرتبة العليا بـ«الملكوت الأعلى» وهو عالم مهد العقل أي «الإنسان»، واصطلح على تسمية المرتبة السفلى بـ «الملكوت السفلي» وهو عالم «المثال».

(١) هي ذات الخالق ﷻ والتي لا تُدرَكُ بالحسّ، وإنَّما تثبت بالدليل والبرهان العقلي. وبما أنَّ الذات الإلهيّة تشمل جميع الصفات الكماليّة، لذا فإنَّها اعتبرت أكمل عالم.

(٢) يستفاد من حديث الثقلين ومن توضيحات المفسّرين وعلماء الحديث أنَّ الثقل الأكبر هو القرآن الكريم.

(٣) يستفاد من المصادر التي تطرّقت لمفهوم الثقلين أنَّ الثقل الكبير هم الأئمّة المعصومون عليهم السلام من عترة رسول الله ﷺ.

(٤) الطاغوت، مصطلحٌ كثيراً ما استعمله القرآن الكريم، وهو اسمٌ لصنمٍ من أصنام قريش قبل الإسلام، ويُطلق على الشيطان أيضاً، وعلى أيّ صنمٍ أو بشرٍ يمنع من فعل الخير، ويدعو إلى الضلال والشرّ. و«الطاغوت» من الطغيان، وهو الخروج عن الحدّ. قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾.

(٥) إشارة إلى حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين، راجع: أصول الكافي، للشيخ الكليني رحمه الله، ج١، ص٢٠٩، كتاب الحجة، باب ما فرض الله ورسوله ﷺ من الكون مع الأئمّة عليهم السلام، الحديث ٦. وكذلك راجع: وسائل الشيعة، ج٢٧، باب تحريم الحكم بغير الكتاب والسنة، ص٣٤، الحديث٩. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «إني أوشك أن أدعى، فأجيب، وإني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله ﷻ وعترتي، كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض،=

على الآخر، وإلى أنَّ هجران أيٍّ منهما يُعَدُّ هجراناً للآخر، وحتى تلك الساعة التي يرد فيها هذان المهجوران الحوض[(١)] على رسول الله ﷺ.

أمّا هل أنَّ هذا «الحوض» هو مقام اتصال الكثرة بالوحدة[(٢)] واضمحلال القطرات في البحر، أو أنَّهُ شيء آخر؟ وهذا الأمر لا يدركه العقل والعرفان البشريين. ولكن ما تنبغي الإشارة إليه، هو أنَّ ظلم الطواغيت الذي لحق وديعَتَيْ الرسول الأكرم ﷺ هاتين، لحق الأمَّة الإسلاميّة، بل البشريّة جمعاء، وإنَّ القلم ليعجز عن بيان ذلك.

ولا يفوتني هنا التذكير بأنَّ حديث «الثقلين» متواترٌ بين جميع المسلمين، فقد نقلته كتبُ أهل السنَّة، بدءً من «الصحاح الستة»[(٣)]، حتى الكتب

=وعترتي أهل بيتي، وإنَّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما». وقد ورد الحديث في الصحاح والمسانيد بطرقٍ وألفاظٍ مختلفةٍ وعديدةٍ تفيد عين المعنى من أنَّ التمسك بالثقلين العظيمين أمانٌ للناس من الضلالة أبداً وإلى يوم الورود، سقانا الله فيه من كأس النبي ﷺ على حوض الكوثر بيد الولي الأعظم عليه السلام ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(١) تستعمل كلمة «الحوض» في المعارف الإسلاميّة مُضافةً إلى «الكوثر»، و«حوض الكوثر» في نظر الإمام الخميني قدس سره تعبيرٌ عن واقعيّةٍ أخرويّة، وهو مقام اتصال الكثرة بالوحدة، فكما أنَّ السواقي تصبّ في النهر لتتوحّد فيه، فإنَّ القرآن والعترة يتّصلان في عالم الآخرة ليصبحا واحداً.

(٢) «الكثرة» عند الفلاسفة بمعنى سلسلة مراتب الموجودات، وتنوّع ظواهر الوجود الماديّة والمعنويّة. أمّا «الوحدة» فهي الذات الإلهيّة المقدَّسة، التي هي منشأ ومبدأ الوجود كُلّه بجميع موجوداته وكائناته. بناءً عليه فإنَّ «مقام اتّصال الكثرة بالوحدة» هو مقام ومرتبة أخرويّة تشكّل الحدّ الأقصى والأعلى للكثرة والحدّ الأدنى للوحدة، وهي واسطة صدور الكثرة عن الوحدة في بدء الخلق، وواسطة عودة الكثرة إلى الوحدة في نهاية العالم.

(٣) كتُبٌ انتخبها علماء أهل السُنّة من بين كتب الحديث، واتخذوها أصلاً وأساساً لهم في استنباط الأحكام، والعقائد، وتفسير القرآن، وتحليل تاريخ صدر الإسلام، وهي: ١ ـ صحيح البخاري، لمؤلفه محمّد بن إسماعيل البخاري. ٢ ـ صحيح مسلم، لمؤلفه مسلم بن الحجاج=

الأخرى بألفاظٍ مختلفة وفي أبوابٍ عديدةٍ متواتراً عن رسول الله ﷺ، وبذا فالحديث الشريف يُعَدُّ حُجَّةً قاطعةً على البشر جميعاً، خصوصاً المسلمين على اختلاف مذاهبهم. وعليه فإنَّ على جميع المسلمين الذين تمّت الحجّة عليهم أن يوضّحوا موقفهم إزاء ذلك، وإن كان ممكناً التماس العذر للجاهلين غير المطّلعين، فلا عذر للعلماء من كُلِّ المذاهب.

استبعاد القرآن الكريم بعد ارتحال النبي الأكرم ﷺ

ولنرى الآن الأمور المؤسفة التي جرت على كتاب الله ﷻ، هذه الوديعة الإلهيّة وأمانة رسول الإسلام ﷺ، فهي ممّا يَبْعَثُ على البكاء بدل الدموع دماً، والتي ابتدأت بُعَيْدَ شهادة عليٍّ عليه السلام، فقد اتخذ المستبدون والطواغيت من القرآن وسيلةً لإقامة الحكومات المعادية للقرآن، وإقصاء المفسّرين الحقيقيين للقرآن، والعارفين بحقائقه من أولئك الذين أخذوه عن رسول الله ﷺ وسمعوه عنه ﷺ، وممن كان نداء «إنّي تاركٌ فيكم الثقلين» يملأ أسماعهم، عن موقع القرار باسم القرآن وبذرائع مختلفة ومؤامرات محاكة سلفاً.

وفي الحقيقة فإنَّ هؤلاء الطواغيت عملوا على إبعاد القرآن الذي يُعَدُّ أعظم منهجٍ للحياة المعنويّة والماديّة للبشريّة حتى يوم ورود الحوض عن واقع الحياة، وقضوا بذلك على حكومة العدل الإلهي التي تمثّل أحد

=النيشابوري، المعروف بـ القشيري. ٣ ـ سنن ابن ماجه لمؤلفه محمّد بن يزيد بن ماجه. ٤ ـ سنن أبي داوود، لمؤلفه أبي داوود السجستاني سليمان بن داوود. ٥ ـ جامع الترمذي، لمؤلفه محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي. ٦ ـ سنن النسائي، لمؤلفه أحمد بن شعيب النسائي.

أهداف هذا الكتاب المقدّس، وأسّسوا للانحراف عن دين الله ﷻ وعن الكتاب والسنّة الإلهيّة، حتى بلغ الأمرُ مبلغاً يخجل القلم عن إيضاحه.

وكلّما استطال هذا البنيان المعوج ازداد به الانحراف والاعوجاج، حتى وصل الأمر حدّاً أُقصي فيه القرآنُ الكريم عن ميدان الحياة، وأصبح وكأنّهُ لا دور له في الهداية، وهو الكتاب الذي تَنَزَّلَ من مقام الأحديّة الشامخ إلى مقام الكشف المحمدي التامّ[1] لإرشاد العالمين، وليكون نقطةَ الجمع لكُلّ المسلمين، بل للعائلة البشريّة جمعاء؛ هادفاً إيصالها إلى ما يليق بها، وتحرير وليدة علم الأسماء[2] من شرّ الشياطين والطواغيت، وإقامة القسط والعدل في العالم، وتفويض أولياء الله المعصومين[3] (عليهم صلوات

(١) هو ظهور وتجسّم جميع الحقائق القرآنيّة لدى النبي ﷺ، وهو مرتبةٌ من مراتب التنزّل القرآني. ففي هذه المرتبة استقرّ القرآن في قلب النبي ﷺ بكُلّ أبعاده. وهذه المرتبة من كشف الحقائق القرآنيّة ليست إدراكاً عقليّاً، بل مشاهدة غيبيّة، لا يدركها إلا النبي ﷺ والكشف خاصٌّ به، والمشاهدة التامّة له خاصّة.

(٢) علم الأسماء هو نوعٌ من العلم والمعرفة التي يختصّ بتعلمه الموجود الإنساني. و«وليدة علم الأسماء» هو الإنسان، الذي عرض الله سبحانه وتعالى عليه هذا العلم ليصبح به مؤهّلاً لخلافة الأرض، ولولاه لما كان مؤهّلاً لتلك الخلافة. قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾. البقرة: ٣٠ ـ ٣٣.

(٣) أئمة الإسلام المقدّسين المعصومين عليهم السلام، بعد النبي ﷺ حسب النصوص الإسلاميّة المتفق عليها إثنا عشر إماماً، وأسماؤهم المباركة هي: ١ ـ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ٢ ـ الإمام الحسن بن عليّ المجتبى عليه السلام، ٣ ـ الإمام الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، ٤ ـ الإمام علي بن الحسين زين العابديّن عليه السلام، ٥ ـ الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، ٦ ـ الإمام جعفر بن

الأوّلين والآخرين) أمر الحكومة، يسلمونها بدورهم لمن يرون فيه صلاح البشريّة. وإذا بالقرآن يصبح على أيدي الحكومات الجائرة ووعاظ السلاطين الذين يفوقون الطواغيت سوءً وسيلةً لإقامة الجور والفساد، وتبرير ظلم الظالمين والمعاندين للحقّ تعالى.

ومن المؤسف أن يقتصر دور القرآن الكريم وهو كتاب الخلاص ـ وبسبب المتآمرين والأصدقاء الجهلة ـ في المقابر والمآتم، ويصبح وهو النازل لجميع المسلمين والبشريّة جمعاء، وليكون منهجاً لحياتهم، وسيلةً للتفرقة والاختلاف، أو أنَّهُ يُهجَر كُليّاً. وقد رأينا كيف كان يُعَامَلُ من تلفّظ بشيءٍ عن الحكومة الإسلاميّة أو تحدّث عن السياسة وكأنَّهُ قد ارتكب أكبر المعاصي، مع أنَّ الحكومة والسياسة هي المهمّة الأولى للإسلام والرسول الأعظم ﷺ، والقرآن والسنّة يفيضان بها. كما رأينا كيف أصبحت كلمة «عالم دينٍ سياسي» مرادفةً لكلمة «عالم بلا دين» وما زال الأمر كذلك الآن.

القرآن الكريم في عصرنا

فقد عمدت القوى الشيطانيّة الكبرى مؤخّراً وبهدف القضاء على القرآن وتحقيق المقاصد الشيطانيّة للقوى الكبرى، وبالإيعاز للحكومات المنحرفة، الخارجة عن تعاليم الإسلام، والمتلبّسة زوراً بالإسلام للقيام بطبع القرآن

محمّد الصادق عليه السلام، ٧ ـ الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، ٨ ـ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، ٩ ـ الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام، ١٠ ـ الإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام، ١١ ـ الإمام الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام، ١٢ ـ الإمام صاحب العصر والزمان الحجّة محمّد بن الحسن المهدي المنتظر عجل الله فرجه. وقد نقلت كتب المسلمين وبالتواتر أنَّ النبي ﷺ نصّ على خلافتهم وإمامتهم بعده ﷺ، وذكر أسماءهم بالترتيب المذكور.

طبعاتٍ فاخرةٍ ونشره على نطاقٍ واسعٍ؛ لتحجيم دوره بهذه الحيلة الشيطانيّة، وكُلُّنا نذكر قيام محمد رضا خان البهلوي بطباعة القرآن، وكيف انطلى هذا الأمر على البعض، ودفع البعض الآخر من المعمّمين الجهلة للإطراء عليه. واليوم نرى ما ينفقه «الملك فهد»[١] سنوياً من مبالغ طائلة من أموال المسلمين على طبع القرآن الكريم والتبليغ بالوهابيّة، هذا المذهب المشحون بالخرافات والباطل جملةً وتفصيلاً، سعياً في تطويع المسلمين والشعوب الغافلة للقوى الكبرى، والقضاء على الإسلام العزيز والقرآن الكريم باسم الإسلام والقرآن.﴾[٢].

عدم إعمال القوانين القرآنيّة في العالم

﴿أيّها القرآن، أيّها التحفة السماويّة والهديّة الرحمانيّة! أنزلك الله كي تحيي قلوبنا وتفتح آذاننا وأعيننا. أنت نور الهداية والمرشد إلى سعادتنا، تريد إخراجنا من مقام الحيوانيّة إلى أوج الإنسانيّة وجوار الرحمن، وللأسف لم يعرف بنو آدم قدرك ولم يَرَوْ لزوم اتباعك، فالأسف إذ لم تطبّق قوانينك في الدنيا لتصير، هذه البيوت المظلمة ومحلات الفئة المتوحّشة المفترسة التي تعتبر نفسها متمدّني هذا العالم، غبطةَ الجنّة الراقية ويحتضن الجميع عروس السعادة في هذه الدنيا.﴾[٣].

---

(١) الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، ملك السعوديّة السابق.

(٢) من الوصية السياسيّة الإلهيّة والتي خاطب الإمام الراحل ﷺ بها الشعب الإيراني، والمسلمين، وشعوب العالم، والأجيال القادمة. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٢١، ص٣٥٦ ـ ٣٥٧ ـ ٣٥٨.

(٣) راجع: كشف الأسرار، للإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، المقالة الثالثة: العالم، ص٢٠٧، تحت عنوان: (تدخل آخر في المعقولات).

خسارة الدول الإسلاميّة في الابتعاد عن القرآن

✿ إنَّ الحكومات الإسلامية لا تنتبه إلى ما يحدث لها، وقد نجمت هذه الأضرار من ترك القرآن الكريم وعدم الاستناد إلى قواعد الإسلام، إنَّهم أضعفوا البلاد الإسلاميّة بإيجاد الخلافات الطائفيّة بينها حتى يقضوا ـ والعياذ بالله ـ على المذهب وعلى الدين. ألا ينبغي أن ينتبه زعماء البلاد الإسلاميّة من رؤساء الجمهوريّات والملوك والوزراء ونواب المجالس؟! وهل صحيح أنَّ هؤلاء لا يعرفون أبعاد المسألة؟ أو أنَّهم يعرفونها، إلا أنَّ حبَّ السلطة والمنصب جعلهم يعملون طبقاً للتعليمات؟ وهل تعتقدون أنتم أيها السادة أنَّ هؤلاء الذين يعرفون مجريات الأمور أو يدّعون المعرفة لم يدركوا هذا الموضوع البسيط الذي أدركه «السيّد الخميني»؟! وهل تظنون ذلك؟! وإذا أدركوا، فإما أن يكونوا قد خدعوا ـ لا سمح الله ـ أو أنَّهم يخافون. لماذا يجب أن يخافوا؟ لأنَّهم قسّموهم على فئاتٍ صغيرةٍ، فقد جعلوا الآن الدولة العثمانيّة بذلك العرض والطول عدّة دولٍ صغيرةٍ وشعوباً مقهورةً، وأخضعوا هذه الأمّة التي تبلغ عدّة مئات من الملايين لسيطرة عددٍ من الغافلين عن الله فاستعمروها. وأما هؤلاء الزعماء، فإنَّهم يقهرون شعوبهم. ألا يجب أن تستيقظ هذه الدول الإسلاميّة من النوم؟! وأي سوءٍ قد شاهدوا من الإسلام؟

إنَّ المسألة المهمّة التي جعلت البلاد الإسلاميّة مغلوبةً على أمرها وأبعدتها عن ظلال القرآن الكريم هي مسألةُ التميز العرقي، فهذا من أصلٍ تركيٍّ، ويجب أن يُصَلِّي صلاته بالتركيّة، وهذا من أصلٍ إيرانيٍّ ويجب أن تكون حروفه الهجائيّة كذا، وذلك من أصلٍ عربيٍّ، ويجب أن تحكم العروبة وليس الإسلام، ويجب أن يحكم الأصل الآري وليس الإسلام، متناسين ما

يرتكز عليه المسلمون جميعاً! ويؤسف على أنَّهم جرّدوا المسلمين من هذا المرتكز، ولا أدري إلى أين سيؤول الأمر؟!

لعبةُ القوميّة هذه هي التي جاء الإسلام وشطب عليها بخطٍّ أحمر، ولم يفرّق بين الأسود والأبيض، وبين الترك والعجم، وبين العرب وغير العرب إلا بالتقوى والخوف من الله، والتقوى بمعناها الحقيقي: التقوى السياسيّة والماديّة والمعنويّة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]، ليس هناك ترك وفرس، وعرب وعجم، فالمرتكز هو الإسلام. وأما قضية التفرقة العرقيّة، فإنَّها رجعيّةٌ. إنَّ السادة يعتبروننا رجعيين في حين أنَّهم يريدون أن يعودوا القهقرى إلى الفين وخمس مئة عام[2]، فهل نحن رجعيون؟! لماذا يجب أن تَغفُل البلاد الإسلاميّة عن هذه الأمور؟! لماذا يجب أن تواجه البلاد الإسلاميّة بعضها بعضاً؟ أولئك أقاموا تحالفاً ثلاثيّاً مقابل هؤلاء، فليشكّل هؤلاء تحالفاً آخر مقابل أولئك. لمَ يتقاتلُ المسلمون؟ وما الذي دفع المسلمين ليتحاربوا؟ أليست هي أيدي الاستعمار؟ فارفعوا يد الاستعمار عن

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) إشارة إلى الاحتفالات الضخمة والأسطوريّة التي أقامها الشاه المقبور والنظام البهلوي البائد بمناسبة مرور ٢٥٠٠ عام على الحكم الشاهنشاهي في إيران، وقد دُعي الملوك والرؤساء والشخصيات من مختلف أنحاء العالم ليحضروا تلك المراسم المترفة والتي كلّفت الشعب الإيراني الفقير والمظلوم أموالاً طائلة جداً، فقد قيل إنَّ كلفة تلك الاحتفالات قد فاقت الـ ٤٠٠ ألف مليون ريال إيراني، تمّ تأمين نصفها من خزانة الدولة ونصفها الآخر من جيوب التجّار في البازار وغيرهم أخذت بالإرعاب والتهديد. وقد جلبت الأطعمة والموائد الفاخرة بالطائرات من فرنسا، وكانت إقامة الضيوف في خيامٍ حريريّة صنعت خصيصاً لتلك المناسبة، في حين كان الشعب الإيراني والكثير من مناطق ومدنٍ وقرى إيران ترزح تحت الفقر والجهل والعتمة بحيث لم تكن قد وصلتها الكهرباء ولا الماء في حين تعتبر إيران من كبرى الدول المصدّرة للنفط. وبذلك كان الشاه المقبور مصداقاً لقوله تعالى في الآية ٣٤ من سورة النمل: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

البلاد الإسلاميّة، ثم شاهدوا أية صداقة تحصل، فإنْ يحكمْ الدين الإسلامي تُحفظ جميع الثغور ولا تعتد حكومةٌ على أخرى، لأنَّ الجميع مسلمون. . .

إنَّنا نقول: لو عمل جميع المسلمين بأحكام الإسلام لعزّوا. . أمَّةُ الإسلام عزيزة علينا، كُلُّ شعبٍ منها، سواءٌ الترك والعرب والعجم والأفارقة والأمريكيون، وحيثما كانوا. نحن ندعوكم إلى التعاضد، ونطالبكم بتشكيل جبهةٍ واحدةٍ، لا أن تشكّلوا جبهةً ثلاثيّةً، وتتحالفوا مع إسرائيل على اتحاد المسلمين، وهم يشكّلون جبهةً عليكم، فإنَّكم جميعاً مسلمون، وعليكم أن تتحدوا وليكن اعتمادكم على القرآن.»[(١)].

سوء حال المسلمين علّتُهُ الابتعاد عن القرآن الكريم

«إنَّ ابتعاد الدول الإسلاميّة عن القرآن الكريم، جَرَّ الأمَّة الإسلاميّة إلى هذا الوضع المأساوي، وأوقع مصير الشعوب المسلمة والبلدان الإسلاميّة فريسةً لسياسة الاستعمار اليساري واليميني التساوميّة. ويجب عليكم يا شباب الإسلام يا من أنتم أمل المسلمين، أن تبثّوا الوعي بين الشعوب، وتفضحوا مخططات المستعمرين المشؤومة والمدمّرة، وأن تبدوا جديّةً أكبر في معرفة الإسلام، وتتعلّموا تعاليم القرآن المقدّسة، وتطبّقوها، وتسعوا بكُلِّ إخلاص في سبيل نشر الإسلام بين الشعوب الأخرى والدعوة إليه والتعريف به، وتحقيق غايات الإسلام الكبرى.»[(٢)].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل (قده) قد ألقاه في المسجد الأعظم في «قم المقدّسة» خلال لقائه علماء الدين وطلبة العلوم الدينيّة، وجمعاً من كسبة وأهالي قم. راجع: صحيفة الإمام (قده)، مصدر سابق، ج١، ص٣٤٤ ـ ٣٤٥.

(٢) من نداءٍ كان الإمام الراحل (قده) قد توجه به من «النجف الأشرف» إلى الطلبة المسلمين المقيمين في أمريكا وكندا. راجع: صحيفة الإمام (قده)، مصدر سابق، ج٢، ص٤٠٥.

مهجوريّة القرآن الكريم من قِبَل المسلمين

﴿ الإسلام جاء للمسلمين بكُلِّ شيءٍ، كُلُّ شيءٍ يوجد في القرآن، لكنَّنا لم نستخدمه ـ للأسف ـ واتخذه المسلمون مهجوراً، أي أنَّهم لم ينتفعوا منه بالنحو المناسب. ينبغي توعية الناس وتوجيههم نحو الإسلام.﴾[1].

ترويج ثقافة فصل الدين عن السياسة

﴿ هم يطلبون منا نحن المعمّمين [أن نجلس جانباً] وأن ننشغل في مدارسنا فقط، وأن نترك مقدّرات الشعب لهم. [هذا كان مطلبهم، أن نترك مقدَّرات البلد لهم، وأن نجلس في زوايا المدارس، وأن نعيش على هذا النحو]، وأن نتحدّث إلى الناس في الحلال والحرام. وحتى هذا لم يكن مسموحاً لنا أن نتحدث عنه بصراحة. لقد تمّ إهمال تعاليم الإسلام حول القضايا الرئيسيّة والاكتفاء بالشؤون الشخصيّة، فلا يحق لنا الخوض في قضايا من قبيل [مسائل الإسلام الاجتماعيّة، والسياسيّة، ومسائل الحرب في الإسلام. أنتم تلاحظون كيف أنَّ القرآن قد طرح بكثرة المسائل السياسيّة والأمور المتعلقة بالحرب والقتال. أما التحدث في أنَّهُ ما هي] واجبات الحكومة تجاه الشعب ووظيفة الشعب تجاه الحكومة؟ وكيف يجب أن تكون الحكومة وسمات الحاكم وأجهزة الدولة والقضاء؟ فهي أمور لا يريدون أن نتدخّل فيها.﴾[2].

---

(١) من حديثٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، وفداً من تنظيم (حركة أمل) الجناح العسكري لحركة المحرومين في لبنان. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٢، ص٢٦٦.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في «قم المقدَّسة»، خلال لقائه طلاب كلّيّة «بابل». راجع: صحيفةِ الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٩، ص١٤٠.

هجران القرآن الكريم أعظم مشاكل المسلمين

﴿ من المؤسف أن تجدنا كمسلمين قد ابتعدنا كثيراً عن روح الإسلام وآفاقه الرحبة وحقائقه الساطعة لنعيش في زوايا ميتة وآفاق ضيقة. . . [مشاكل المسلمين كثيرة] ولكنّ المشكلة العظمى التي نعاني منها كمسلمين هي هجرنا القرآن، وابتعادنا عنه، وسيرنا خلف لواء الآخرين، ولو أنّ المسلمين جميعاً عملوا بمضمون هذه الآية فقط: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[(١)] لحُلّت جميع مشاكلهم السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة دون الحاجة للآخرين في حلّها. ﴾[(٢)].

الابتعاد عن آيات القرآن الاجتماعيّة والسياسيّة

﴿ لقد طالع الشياطين في شوؤن الشعوب وأدركوا جيداً أنَّ دخول شريحة رجال الدين في الساحة السياسيّة بقاعدتها الشعبيّة العريضة ستجعلهم يخسرون كُلَّ شيءٍ. إذن ماذا عليهم أن يعملوا؟ عليهم أن يطرحوا بشكل عام الفكرة القائلة بعدم صلاحيّة رجال الدين للتدخّل في السياسة. على رجل الدين أن يرتدي عباءته وأن يذهب لأداء صلاة الظهر في موعدها، ثم يصعد المنبر ويطرح بعض الأحكام الفقهيّة، ولا يحق له الحديث عن السياسة وما يرتبط بمصائب الشعب. لقد رأيتم ما كان سائداً طرحُهُ حيث كان أكثر أبواب الفقه قد ترك عمليّاً. لقد كانت الأبواب تلك واردة في الكتب ولكنّها كانت مهجورةً، كما أنَّ أكثر الآيات القرآنيّة قد كانت مهجورة

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه سفراء الدول الإسلاميّة، بمناسبة عيد الأضحى المبارك. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٣، ص٢١٢ ـ ٢١٣.

هي الأخرى. كنا نتلو المصحف ونقبّله ونضعه جانباً. تلك الآيات المتعلقة بالمجتمع، والآيات المرتبطة بالسياسة، والآيات المتّصلة بالحرب، إنَّ كثيراً من الآيات التي كانت ترتبط بهذه الأمور كنا قد نسيناها سابقاً، بل كانوا قد أجبرونا على نسيانها.»[1].

التفرقة بين المسلمين سببها هجران القرآن

«ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: الإسلام بدأ مظلوماً وسيكون مظلوماً فيما بعد أيضاً. وفي القرآن الكريم أيضاً شكى الرسول الأكرم ﷺ إلى الله تعالى كما في الآية: ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[2]. فأريد اليوم أيّها السادة المحترمون أن أتناول موضوع هجر القرآن ومظلوميّته؛ لتلاحظوا حقيقة أوضاع الإسلام والمسلمين. فالقرآن والإسلام مهجوران ومظلومان؛ وذلك لأنَّ الكثير من البلدان الإسلاميّة إمّا أنَّها تركت وهجرت أحكام القرآن والإسلام المهمّة، أو أنَّها تعمل على العكس منها. ومن هذه الأحكام المهمّة ـ سياسيّاً ـ دعوة القرآن إلى الوحدة، ونهيه عن التنازع والاختلاف، حيث تقول الآية: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[3]. ولكن هل التزم المسلمون وعملوا بهذين الأصلين السياسيين المهمّين؟ وهل اهتمّ المسلمون بهذين الأصلين؟ وهل طبقوهما في حياتهم؟ علماً بأنَّ تطبيقهما يعني حلَّ جميع مشاكل المسلمين، وتركهما يعني الفشل وزوال القوّة.»[4].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه رجال دين مدينة طهران. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٥، ص١٧.

(٢) الفرقان: ٣٠.

(٣) الأنفال: ٤٦.

(٤) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه ممثل=

مهجوريّة أحكام القرآن

«إذن؛ فالإسلام مظلومٌ اليوم، وإنَّ أحكام القرآن مهجورةٌ، حيث لا تعلمون بمعظم الأحكام السياسيّة للإسلام رغم أنّكم تقيمون الأذان وتؤدّون الصلاة. علماً أنَّ قراءة القرآن وحضوره في جميع شؤون حياة الإنسان من الأمور اللازمة، [يجب أن يكون القرآن حاضراً في جميع شؤون حياتنا]، فالقرآن يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[1]، ويقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2]، فإذا عملتم بهذه الأحكام السامية، فإنّكم تسودون العالم، غير أنّنا هجرنا القرآن ولم نعر اهتماماً بهذه الأحكام. [يجب أن يكون القرآن دخيلاً في جميع الشؤون]، ولا يكفي مجرّد تلاوة القرآن والذكر رغم أنَّ ذلك أمرٌ مطلوبٌ، ولكن ليس من الصحيح الالتزام ببعض وترك البعض الآخر، ففي الأحكام السياسيّة يأمر القرآن بقتال الذين يقاتلون المسلمين.»[3].

=الإمام ﷺ ومدير مؤسسة الشهيد، وزير الإرشاد الإسلامي، عوائل شهداء لبنان، الضيوف الأجانب المشاركين في احتفالات انتصار الثورة، الطلبة الأجانب المشاركين في المجمع العالمي الأول لـ (الحركة الإسلاميّة الطلابيّة)، حفظة وقرّاء القرآن المشاركين في المسابقة الدوليّة لحفظ وقراءة القرآن المجيد. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٦، ص٣٣.

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) الأنفال: ٤٦.

(٣) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه ممثل الإمام ﷺ ومدير مؤسسة الشهيد، وزير الإرشاد الإسلامي، عوائل شهداء لبنان، الضيوف الأجانب المشاركين في احتفالات انتصار الثورة، الطلبة الأجانب المشاركين في المجمع العالمي الأول لـ (الحركة الإسلاميّة الطلابيّة)، حفظة وقراء القرآن المشاركين في المسابقة الدوليّة لحفظ وقراءة القرآن المجيد. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٦، ص٣٦.

عدم التوجّه إلى دعوة القرآن وأحكام الإسلام

﴿ أليست هذه بكارثة؟ أليست بمصيبة أن يقدّم المسلمون كُلَّ ما لديهم للأجانب على طبقٍ من التزلّف والإخلاص ليقبله منهم أولئك مع المنّة؟ فعندما يكون الأمر على هذه الحال، بأن لا يهتمّ المسلمون بالأوامر الإلهيّة والمسائل القرآنيّة وأحكام الإسلام ودعوته إيّاهم إلى التوحُّد، عندما يهمل المسلمون كُلَّ هذا، فمن الطبيعي أن يكونوا على ما هم عليه من الحال، والتزلّف، والخنوع، وتقديم كُلّ ما لديهم للأجانب. أمَا آن لهم أن يفيقوا؟!! ﴾[١].

تواري القرآن والحج وراء حجبٍ صنعناها بأنفسنا

﴿ الحج كالقرآن يستفيد منه الجميع، ولكن إذا ما حاول المفكّرون والباحثون والمدركون لآلام الأمّة الإسلاميّة الغوص في بحر معارفه، ولم يهابوا الاقتراب من الخوض في أحكامه وسياساته الاجتماعيّة، فسوف يتسنّى لهم الانتقال من أصداف هذا البحر إلى المزيد من جواهر الهداية، والرشد، والحكمة، والتحرّر، وسيرتوون من زلال حكمته إلى الأبد.

ولكن ماذا ينبغي لنا أن نفعل، وإلى أين نتوجه بهذا الهمّ الكبير، حيث بات الحج مهجوراً كالقرآن، ومثلما توارى كتابُ الحياة والكمال والجمال وراء الحجب التي صنعناها بأنفسنا، وتمّ دفن وإخفاء خزائن أسرار الخلقة

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه مندوب الإمام والمشرف على بعثة الحجاج الإيرانيين، ووزير الثقافة والإرشاد الإسلامي، علماء الدين المرافقين لقوافل الحجاج، مسؤولي وزارة الإرشاد ومؤسسة الحج والزيارة. راجع: صحيفة الإمام ، مصدر سابق، ج١٨، ص٥٢.

تحت الأنقاض التي أوجدها أصحاب الفكر المنحرف من مفكرينا، حتى تدنّت لغة الأُنس، والهداية، والحياة، والفلسفة التي تبعث على الحياة، إلى لغة الغربة، والموت، والقبور. الحج أيضاً ابتلي بالمصير نفسه.»[1].



(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد توجّه به من حسينيّة جماران في «طهران»، إلى الشعب الإيراني المسلم، بمناسبة الذكرى السنويّة لمذبحة الحرم المكّي. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢١، ص٧٥ ـ ٧٦.



الفصل السابع

نظام الشاه ومواجهة القرآن



مخالفة ضروريّات وأحكام القرآن

سحق محكمات القرآن الكريم

﴿لمّا لم يقم الشعب لتحقيق حقوقه استغلّ المفسدون الفرصة ليعتدوا على العلماء، وليواجهوا الدين والمتديّنين معاً، ويسحقوا محكمات القرآن بأغراضهم المسمومة؛ حتى يتمكّنوا بكُلِّ اطمئنان من تنفيذ نواياهم الفاسدة في هذا البلد ويعيدوا مرّةً أخرى المساوىء والأيام المرّة.﴾[١].

مخالفات رضا خان[٢] للقرآن الكريم

﴿إنَّ الله ﷻ الذي أرسل رسول الإسلام مع آلاف الأحكام السماويّة، وأسّس حكومته على التوحيد والعدالة، وأمر الناس بأشياء ونهاهم عن

---

(١) راجع: كشف الأسرار، للإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، المقدّمة، ص٤٠، تحت عنوان: (لماذا كان رضا خان سيّئاً مع العلماء؟).

(٢) «رضا خان» شاه إيران السابق، وهو والد الشاه المقبور محمّد رضا بهلوي الذي هدَّ الإمام الخميني ﷺ وثورة الشعب الإيراني المسلم أركان جبروته وظلمه. كان رضا خان ظالماً، متجبّراً، معانداً للدين والعلماء والمتديّنين، وقد سعى إلى تطبيق العلمانيّة في إيران على غرار ما نجح في فعله مصطفى أتاترك في تركيا. يقول الإمام الراحل ﷺ في توصيف حال هذا الطاغية: «كان رضا خان متجبّراً، لكنه لم يتلبّس بالإسلام والقرآن والأحكام الإسلاميّة المبينة، لم يكن يرائي كان مستبداً يضرب ويُرهب، ويقمع الناس بالحراب.». راجع: صحيفة الإمام ﷺ،=

أشياء، وبعد الجهود الكثيفة وتعليم وتطبيق القوانين الإلهية يأمر الناس بعد أن ركز أساس العدل في الدنيا مع تضحيات المسلمين ومنع من الظلم وعدم العفة، أيأمرهم جميعاً أن يطيعوا أتاتُورك[١] الذي يقول إنّ الدين غير معترفٍ به في الدولة، والجميعُ يعرف الظلم الذي ألحقه بالمؤمنين، وما أتى به من منافيات العفّة، ومخالفات دين الله؟! أو يقول يجب إطاعة پهلوي[٢] الذي رأى الجميعُ سعيَهُ للقضاء على دين الإسلام؟ ولو أراد أحدٌ أن يبيّن مخالفاته الصريحة[٣] لكتاب الله لاحتاج إلى كتاب.»[٤].

السعي إلى إقرار المساوة بين الرجل والمرأة من جميع الجهات

«لقد دعوا مراراً في خطاباتهم المبتذلة إلى المساواة بين المرأة والرجل في مختلف المجالات السياسيّة والاجتماعيّة، مما يستوجب تغيير أحكام القرآن المجيد. ولأنّهم قوبلوا بردّة فعل المسلمين، أنكروا ذلك بمكرٍ ومكيدةٍ، واعتذروا بعذرٍ أقبح من الذنب، غافلين عن أنّنا نعرفهم

=ج٣، ص٤١٥. ويقول ﷺ: «لقد نفذ (رضا خان) انقلاباً عسكرياً، إذ جاء إلى طهران من قزوين وسيطر عليها من خلال انقلاب عسكريٍّ واعتقل طائفةً وسجن وتسلّط على الأمور بصورةٍ تدريجيّةٍ. إذ كان في البداية قائد العسكر ثم أصبح وزيراً للحربية، ثم رئيساً للوزراء، ثم شكّل المجلس النيابي بقوّة الحراب، وبهذه القوّة أجبر النوّاب على خلع السلالة القاجاريّة وتنصيبه ملكاً». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، ج٤، ص٣٥٤.

(١) راجع: كشف الأسرار، للإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، المقدّمة، ص٤٠، تحت عنوان: (لماذا كان رضا خان سيّئاً مع العلماء؟).

(٢) إشارة إلى الشاه المقبور ووالده.

(٣) أي مخالفات پهلوي الصريحة.

(٤) راجع: كشف الأسرار، للإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، المقالة الثانية، الإمامة، ص١١٨ ـ ١١٩، تحت عنوان: (آية أولي الأمر في الإمامة).

جيداً، ولا نثق بكلامهم. إنَّهم يدعون الفتيات أو يشجعوهن على الالتحاق بـ (كتائب العلم)، ويعلنون أنَّ عليهن الالتحاق بخدمة العلم أولاً، ولكن لما واجهوا غضباً عامّاً، أنكروا ذلك. كذلك يعلنون في الصحف أنَّ لائحة تجنيد الفتيات قيد الإعداد والتدوين، غير أنَّهم ينكرون ويتشبّثون بذرائع مضحكة.

يتصوّر النظام الجائر أنَّ بإمكانه أن يجد سبيلاً لتحقيق أهدافه المشؤومة المتمثّلة في توجيه ضربةٍ قاضيةٍ للإسلام بدعوى المساواة في الحقوق، غير أنَّهُ لا يعلم مدى ردّة الفعل التي سيواجهها في هذا المجال.»[1].

حذف القَسَم بالقرآن الكريم

« نرى كيف استهدفت هذه الحكومة الأمّيّة التافهة الإسلامَ منذ مجيئها، فراحت تكتب في الصحف بعناوين بارزة: منحت النساء حقَّ المشاركة في الانتخابات. بيد أنَّ الأمر كان مكراً، إذ كانوا يريدون لفت أنظار العامّة إلى هذا الموضوع؛ كي يتسنّى لهم إلغاء الإسلام والقرآن. وفور اطّلاعنا على ما أعلنوا بادرنا إلى الاجتماع، فاجتمع العلماء الأعلام لتدارس أسلوب معالجة هذا الموقف. وفي البداية كانت أنظارنا متمركزةً على تلك القضية، وبعد المناقشة والتدارس رأينا القضية ليست قضية النساء، فهذا أمرٌ يسيرٌ، وإنَّما القضية الأساس هي محاربة الإسلام، إذ أعلنوا أنَّهُ: ليس من الضروري أن يكون الناخبُ والمُنتخَبُ مسلمين، وليس ضرورياً القَسَم

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد وجّهه من «قم المقدّسة» إلى تجّار وأصحاب المهن وأهالي «همدان». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١، ص٢٠٠.

بالقرآن، فماذا نريد أن نفعل بالقرآن؟؟[١]، ولكن وبعد أن فوجئوا بالردّ الحاسم للشعب المسلم، أوّلوا كلامهم، فقالوا: لا، إنَّ مقصودنا من الكتاب السماوي هو القرآن، وقبلنا منهم ذلك وفقاً لما يقتضيه الشرع من الحكم على الظاهر.»[٢].

سعي النظام البهلوي لمحو القرآن الكريم

«هل يعلم الشعب الإيراني أنَّ ضبّاط الجيش بدلاً من أن يقسموا بالقرآن المجيد، يردّدون عبارة (أقسم بالكتاب السماوي الذي أؤمن به)؟ هذا هو الخطر الذي نوّهت إليه كراراً: الخطر على القرآن المجيد وعلى الإسلام العزيز. الخطر على بلاد الإسلام، والخطر على استقلال البلد.

لا أدري أي سوءٍ رآه النظام الغاشم في القرآن الكريم، وما الضرر الذي لحق به من اللجوء إلى الإسلام والقرآن، كي يصرّ إلى هذا الحدّ على محو

(١) كانت حكومة الشاه قد أصدرت مرسوماً تقضي من خلاله بعدم لزوم القسم بالقرآن الكريم في المحافل القضائيّة وعند حلف اليمين في التعيينات السياسيّة والإداريّة والوظيفيّة وما شاكلها، وإنّما يُكتفى بأي كتابٍ سماويٍّ كان. وهذا ما أثار حفيظة وسخط ورفض المراجع العظام والعلماء الأعلام في قم المقدَّسة، حيث تداعوا وتدارسوا الأمر ـ وكان الإمام الراحل قدّس سرّه من جملتهم، بل على رأس منظّمي هذا التحرّك والداعين إليه ـ وأبلغوا اعتراضهم ورفضهم القاطع للحكومة، مما جعلها ـ وتحت هذا الضغط العلمائي المحرّك للضغط الشعبي ـ تتراجع عن قرارها لتدّعي أنَّ مقصودها من الكتاب السماوي في نص القرار الحكومي هو خصوص القرآن الكريم.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدّس سرّه قد ألقاه في المسجد الأعظم في «قم المقدَّسة»، خلال لقائه جمعاً من العلماء وطلبة العلوم الدينيّة وأهالي قم، بمناسبة عودة الدروس الحوزويّة بعد مرور أربعين يوماً على شهادة ضحايا المدرسة الفيضيّة. راجع: صحيفة الإمام قدّس سرّه، مصدر سابق، ج١، ص٢٠٨.

اسمه؟ فلو لجأتم إلى القرآن والإسلام، لن يجرؤ الأجنبي على طلب وثيقة العبودية منكم. لن يجرؤ على سحق أمجادكم الوطنيّة والإسلاميّة.

إنَّ تخلّي الشعب عن السلطة الحاكمة، وافتقار السلطة للدعم الشعبي هو الذي يقود إلى هذه المصائب.»[١].

«لقد أعلن السيّد عَلَم[٢] مخالفته لقانون الإسلام والدستور، وصرّح بها على رؤوس الأشهاد. لقد تصوَّر أنَّهُ بالقَسَم بـ (الكتاب السماوي) بدلاً من القرآن المجيد، بإمكانه أن يجرّد القرآن الكريم من رسميته، وأن يجعل من الأفستا[٣] والإنجيل[٤] وبعض الكتب الضالّة نداً له أو إحلالها محله.

لقد جعل هذا المرء انتهاك الدستور شعاراً له بذريعة الالتزامات الدوليّة، علماً أن الالتزامات الدوليّة لاعلاقة لها بالدين والدستور. إنَّ التشبّث بالالتزامات الدوليّة لسحق القرآن الكريم والإسلام والدستور والشعب، ذنبٌ لا يغتفر.»[٥].

---

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد وجّهه من «قم المقدّسة» إلى العلماء وطلبة العلوم الدينيّة وكافّة أبناء الشعب الإيراني المسلم، يدعوهم فيه إلى معارضة مشروع قانون الحصانة للرعايا الأجانب، ودعوة أبناء الشعب والعلماء للانتفاضة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١، ص٣٦٥.

(٢) رئيس حكومة الشاه وصاحب القرارات المشؤومة ومنها قضية إجازة القَسَم بالكتاب السماوي وإن غاير القرآن.

(٣) كتاب الزرداشتيين.

(٤) كتاب المسيحيين.

(٥) من برقيّةٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد بعث بها من «قم المقدّسة»، إلى الشاه محمّد رضا پهلوي، إعتراضاً على تصرّفات وقرارات رئيس وزرائه ـ يومئذ ـ أسد الله علم. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١، ص١٠٧ ـ ١٠٨.

محاولة إلغاء رسميّة كتاب القرآن الكريم في البلاد

﴿ يبدو أنَّكم غير مستعدّين للأخذ بنصيحة علماء الإسلام الناصحين للشعب والمشفقين على الأمَّة، وتتصوّرون أنَّ بإمكانكم الوقوف في مواجهة القرآن الكريم والدستور ومشاعر الرأي العام.

لقد أوضح العلماء الأعلام في كُلٍّ من قم والنجف الأشرف وسائر أنحاء البلاد أنَّ مصادقتكم غير القانونيّة على اللائحة تتعارض مع الشريعة الإسلامية، وتشكّل انتهاكاً للدستور ولقوانين المجلس.

واذا كنت تتصوّر أنَّك تستطيع من خلال ممارسة القوّة والزور أياماً معدودة، أن تجعل القرآن الكريم في مصاف الـ (أفستا) للزرادشت و(الإنجيل) وبعض الكتب الضالّة، وأن تتطلّع إلى تجديد حياة العبادات القديمة بوهم تجريد القرآن المجيد ـ الكتاب السماوي العظيم والأوحد لمئات الملايين من مسلمي العالم ـ من رسميته، فإنَّك مخطئٌ إلى حدٍّ كبير.

وإذا كنت تتصوّر أنَّ المصادقة على لائحةٍ خاطئةٍ معارضةٍ للدستور تستطيع إضعاف أسس الدستور الذي يشكّل الضمانة لهويّة البلد واستقلاله، وفتح الطريق للأعداء الخائنين للإسلام ولإيران، فإنَّك على خطأ كبيرٍ.﴾[1].

تعريض القرآن الكريم للخطر الكبير

﴿ فيما يتعلق بالحلف بالكتاب السماوي، يَكْتُبُ[2] بأنَّ المقصود

---

(١) من برقيّة كان الإمام الراحل قدس سره قد بعث بها من «قم المقدّسة»، إلى رئيس وزراء الشاه ـ يومئذ ـ أسد الله علم، يحذره فيها بشأن لائحة مجالس الأقاليم والمدن وما فيها من أمور مخالفةٍ للقرآن الكريم. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١، ص١٠٩.

(٢) إشارة إلى أسد الله علم، رئيس حكومة الشاه.

هوالقرآن المجيد، ونحن نقبل مثل هذا التفسير منه لتبرئة نفسه من شبهة هتك حرمة القرآن الكريم طبقاً لأحكام الإسلام، لكنَّ تفسيره للائحة لا اعتبار ـ قانونياً ـ له بتاتاً، والمصادقة على الكتاب السماوي دون تحديد، حيث يشمل الكتب المنحرفة والضالّة من وجهة نظر هؤلاء، باقية على قوّتها.

والخطر العظيم الذي يهدّد القرآن المجيد، عبر المصادقة على هذه اللائحة المخالفة للشرع والقانون من قبل خونة الدين والبلد، ما زال باقياً على قوّته. بيد أنَّهُ ليس بوسع مسلم أن يرى الأخطار تحيق بالقرآن المجيد، ويغضّ الطرف، ويتساهل.»[1].

مخالفة أحكام القرآن الضروريّة والصريحة

«إلّا أنَّهم وما أن شاهدوا جمعاً من جلاوزتهم ملتفّين حولهم يهتفون (يعيش فلان) و(يسقط فلان)، عادوا لاستئناف مشاريعهم الخبيثة، فاستأنفوا الموضوعات التي كانوا قد ألغوها، ومرَّةً أخرى نادوا بالمساواة التامّة [بالحقوق من جميع الجهات]. إنَّ مساواة الحقوق التامّة تعني سحق بعض أحكام الإسلام الضروريّة، وإلغاء عدد من أحكام القرآن الصريحة. ومرَّةً أخرى رأوا أنَّ ذلك قد قوبل بالاستياء وكثرة اللغط وما إلى ذلك، فتراجعوا من جديد، إذ تراجع وزراؤهم هنا بعد أن تراجع أميرهم هناك.»[2].

---

(١) من جوابٍ على استفتاءٍ كان تجّار ومهنيّو مدينة «قم المقدَّسة» قد أرسلوه إلى الإمام الراحل ﷻ حول رأيه الشريف في قضية لائحة مقرّارات رئيس وزراء الشاه (أسد الله علم) حول انتخابات المجالس البلديّة. راجع: صحيفة الإمام ﷻ، مصدر سابق، ج١، ص١٢٤.

(٢) من برقيّةٍ كان الإمام الراحل ﷻ قد بعث بها من «قم المقدَّسة»، إلى الشاه محمّد رضا پهلوي، إعتراضاً على تصرّفات رئيس وزرائه ـ يومئذ ـ أسد الله علم. راجع: صحيفة الإمام ﷻ، مصدر سابق، ج١، ص١٠٧ ـ ١٠٨.

الاستفتاء الإلزامي على مخالفة القرآن الكريم

﴿إنَّ علماء الدين يتخوّفون من مخاطر تهدّد القرآن والإسلام، ويبدو أنَّ هذا الاستفتاء المفروض ليس أكثر من مقدِّمة للتخلص من البنود المتعلّقة بالدين. فقد سبق لعلماء الإسلام أن شعروا بالمخاطر التي تهدّد الإسلام والقرآن والبلد بسبب الإجراءات السابقة للحكومة، بشأن انتخابات المجالس المحليّة. ويبدو أنَّ الحكومة تسعي إلى تنفيذ المفاهيم ذاتها التي يتطلع أعداء الإسلام إلى تنفيذها على يد جماعةٍ من السذّج ممن تمّ استغفالهم وتضليلهم.

إنَّ واجب علماء الدين أن يطلعوا الشعب المسلم على الأخطار التي تهدّد الإسلام والقرآن متى ما شعروا بذلك، كي يبرئوا بين يدي الله تبارك وتعالى. نسأل الله تعالى أن يحفظ القرآن المجيد.﴾[1].

تجاوز أحكام القرآن المُسَلَّمَة

﴿لقد اعتدت السلطة الحاكمة في إيران على أحكام الإسلام المقدَّسة، وتنوي الاعتداء على أحكام القرآن المسلّمة. إنَّ نواميس المسلمين على وشك أن تنتهك، وإنَّ السلطة المتجبّرة بمصادقتها على اللوائح المخالفة للشرع والدستور، تسعى للإساءة إلى النساء العفيفات وإذلال الشعب الإيراني.

إنَّ السلطة المتجبّرة تتطلّع للمصادقة على مساواة حقوق المرأة والرجل

---

(١) من جوابٍ على سؤالٍ وجّهه جمعٌ من المؤمنين من أهالي «طهران» إلى الإمام الراحل ﷺ، حول وجهة نظره ﷺ ورأيه بموضوع (المصادقة الوطنية) والاستفتاء غير الشرعي والمخالف للإسلام، والذي دعا إليه الشاه. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١، ص١٤٩.

والعمل بها، وهي بذلك تتخلّى عن أحكام الإسلام والقرآن الكريم الضروريّة، أي أنَّها تسوق الفتيات ذوات السبعة عشر ربيعاً إلى الخدمة العسكريّة، وتزج بهن في المعسكرات، وتدفع بالقوّة والحراب الفتيات المسلمات العفيفات إلى مراكز الفحشاء.

إنَّ الأجانب يستهدفون القرآن وعلماء الدين، وتتطلّع الأيدي الخبيثة للأجانب بالتعاون مع أمثال هذه الحكومات، للقضاء على القرآن وتضعيف علماء الدين. يستوجبون هتك حرماتنا لمصلحة اليهود وأميركا وإسرائيل، فنُلقى في السجون، ونُعدم فداءً لأهداف الأجانب المشؤومة.

إنَّهم يعتبرون الإسلام وعلماء الدين عقبة تمنع تحقيق أهدافهم وتضر بها، فيجب تحطيم هذا السد بأيدي الحكومات المستبدة، وبقاء السلطة رهن تحطيم هذا السد، فلا بُدَّ من قمع القرآن وعلماء الدين.

إنَّني أعلن الحداد للمجتمع المسلم في هذا العيد[١] كي يعي المسلمون الاخطار التي تهدد القرآن وبلد القرآن.»[٢].

حذف شرط الإسلام في مقام تنصيب القاضي

«أرى من الضروري لفت أنظار حضرات السادة إلى تصرفات النظام المتجبّر في الماضي والحاضر، ففي الماضي أهان الإسلام والقرآن،

---

(١) إشارة إلى عيد النوروز، وقد صادف وقوع هذه الأحداث التي يشير إليها الإمام رأس السنة الشمسيّة الإيرانيّة.

(٢) من نداءٍ كان الإمام الراحل قد وجّهه من «قم المقدّسة» إلى الشعب الإيراني المسلم، بمناسبة الاعتراض على انتهاك أحكام الإسلام والقرآن من قبل نظام الشاه الفاسد. راجع: صحيفة الإمام ، مصدر سابق، ج١، ص١٦٢.

وحاول جعل القرآن بمنزلة الكتب الضالّة. والآن يحاول بمساواة الحقوق إلغاء أحكام من الأحكام الإسلاميّة الضروريّة، ففي اللائحة التي قدّمها وزير العدل مؤخّراً ألغى شرط الإسلام والذكوريّة من شروط القضاة.»[1].

سعي حكومة البهلوي لهدم أساس الإسلام

«من البديهي إذا غفل المسلمون عن هذا الأسلوب الذي ينتهجه النظام المتجبّر، ولم يراقبوا الأوضاع فيه بدقّة، ولم يبذلوا جهودهم في الدفاع عن حريم القرآن الكريم والإسلام، فلن يمضي وقتٌ طويلٌ حتى يتجاوز ـ لا سمح الله ـ اعتداءُ النظام الدنس وعملاء الأجنبي، أحكام الإسلام الضروريّة ليتطاول على كيان الإسلام المقدَّس. فثمة شواهد عديدة تدلّ على أنَّ النظام المتجبّر، بتسويل مما جُبِلَ عليه من خبث ذاتيٍّ، يسعى إلى تقويض الأساس. فما الهجوم المسلّح على التفقّه والفقاهة، وهتك حرمة مراجع الدين وفقهاء الإسلام، وسجن وقمع طلبة مدرسة الإسلام، وإهانة القرآن الكريم وسائر المقدّسات الدينيّة، إلّا نموذجٌ بارزٌ على ذلك. كما أنَّ الإعلان عن مساواة الحقوق بين المرأة والرجل في مختلف المجالات، وإلغاء شرط الإسلام والذكورة عن الناخب والمنتخب، ومن شروط القضاة، يمثّل نموذجاً صريحاً آخر.

كذلك يمثّل التشدّد والإجحاف بحقّ حجّاج بيت الله الحرام، في وقت يتمّ توفير كافّة الامكانات لتسهيل سفر عدّة آلاف من عملاء إسرائيل إلى

---

(١) من رسالةٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد وجّهها من «قم المقدّسة» إلى علماء الدين في مدينة «يزد»، يدين فيها قيام نظام الشاه بتقديم تسهيلات للبهائيين ومساعدتهم للسفر إلى لندن والمشاركة في محفلٍ بهائيٍ معادٍ للإسلام. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١، ص١٨٨.

لندن للتآمر على الإسلام، وإطلاق إسم طائفة عليهم ـ حسبما نشر في بعض الصحف التي هي بالتأكيد تمارس نشاطها تحت إشراف المنظمات الحكوميّة وتملي عليها ما تريد ـ، يمثّل مظهراً آخر من مظاهر انحراف النظام المتجبّر. والحسم الممنوح في أسعار تذاكر الطيران، وإعطاء كُلّ مسافر من عناصر الفرقة الضالّة خمس مئة دولار، نموذجٌ آخر أيضاً.

فكُلُّ ذلك وأمثاله، أثار مخاوفي بشدّة، ولا يراودني أدنى شك في أنَّ السكوت عن النظام المتجبّر، هو موتٌ مُذِلٌّ مقرونٌ بالعار، فضلاً عن هدم الإسلام ومذهب التشيع.

تقع اليوم على عاتق المسلمين، ولا سيَّما العلماء الأعلام، مسؤوليّةٌ جسيمةٌ عند الله تبارك وتعالى، فمع التزامنا الصمت ستكون الأجيال القادمة إلى الأبد في معرض الضلالة والكفر، وسنكون نحن المسؤولين عن ذلك.»[١].

إصدار كتب الضلال المخالفة لنص القرآن الكريم

«إني آسف على مقولة «الكُفْرُ مِلَّةٌ واحِدَةٌ»[٢]، التي تروّج لها المؤسّسات على الألسن. إنَّ هذا الكلام يخالف نصَّ كلام الله ﷻ، ويردّد لخدمة إسرائيل وعملائها، ولخدمة الفرقة الضالة المنحرفة[٣].

---

(١) من رسالةٍ كان الإمام الراحل ﵀ قد وجّهها من «قم المقدّسة» إلى العلماء الأعلام وحجج الإسلام والفقهاء في مدينة «همدان»، يحذرهم فيها من عزم النظام المتجبّر على هدم الإسلام ومذهب التشيع. راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج١، ص٢١٧ ـ ٢١٨.

(٢) حديثٌ ينسب للرسول ﷺ، وقد رفع أتباع النظام الشاهنشاهي البائد هذه المقولة شعاراً كي يُنْظَرُ إلى إسرائيل والبهائيّة مثلما ينظر إلى الدول المسيحيّة، ويتمّ الاعتراف الرسمي بهما. وقد اعتبر الإمام الخميني ﵀ هذه المقولة مخالفةً لنصوص القرآن والإسلام الصريحة.

(٣) الفرقة البهائيّة الضالّة والمنحرفة.

إني آسف أن تنشر في هذا البلد الإسلامي ـ خلافاً للدستور ـ كتبٌ ضالّة مخالفةٌ لنص القرآن وأسس الدين المقدَّس، وتقوم الحكومات بالدفاع عن ذلك. لقد قاموا بإصدار كتابٍ نقديٍّ لردِّ القرآن المجيد، وتقديم لائحة قانون الأسرة الذي يتعارض مع أحكام الإسلام الضروريّة، ويخالف نصَّ كلام الله المجيد، دون أن يجرؤ أحدٌ على مساءلة الحكومات.﴾[١].

انتهاك الإسلام وتوجيه الضربات للقرآن الكريم

﴿ إنَّ حكومتكم وحكومة أسلافكم ونزولاً عند رغبة أولئك الذين يريدون الإبقاء على شعوب الشرق بحالتها المتخلّفة، مارست وتمارس أبشع أنواع التسلّط البوليسي. إنَّها حكومةٌ من القرون الوسطى، حكومةُ الأسنّة والرماح والتعسّف والسجون، حكومةُ الكبت وقمع الحريّات، حكومة الخوف والتسلّط، تقوم باسم المشروطيّة بممارسة أسوأ أنواع الحكم الديكتاتوري المستبد، وتوجّه باسم الإسلام أشدّ الضربات إلى القرآن الكريم والأحكام السماويّة، وتنتهك وباسم التعاليم السامية للإسلام أحكامَ الإسلام واحداً تلو الآخر. ولو أنَّها وجدت الفرصة ـ لاسمح الله ـ فإنَّها ستواصل ذلك مستقبلاً، وستبقي على البلاد في حالةٍ من التخلف بدعوى التقدّم والازدهار.﴾[٢].

---

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد وجّهه من «قم المقدّسة» إلى الشعب الإيراني، يعرب من خلاله عن الأسف على هيمنة إسرائيل وعملائها على شؤون البلد. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٢) من رسالةٍ مفتوحة كان الإمام الراحل قدس سره قد بعث بها من «النجف الأشرف» إلى «أمير عبّاس هويدا» رئيس وزراء الشاه المقبور، يبيّن فيها مفاسد الشاه وحكومة هويدا وخياناتهما. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢، ص١١٨.

الاعتراف بإسرائيل وتحدّي القرآن الكريم

﴿ذلك الرجل (الشاه) يذهب إلى هناك، ويصدق كلامه، يصدق أنَّ المسألة تكمن في المصالحة مع إسرائيل، واعترف بإسرائيل قبل عشرين سنة، حينما كنّا في قم اعترف رسميّاً بإسرائيل مقابل جميع المسلمين، مقابل القرآن. يعترف رسمياً بدولة الكفر، وأيّ كفر، كفر اليهود! في البداية لم يذكروا الإسم بشكلٍ صريحٍ، ثم ذكروا ذلك بوضوح. فهذا الرجل خادمٌ منذ البداية، وبعد حين أعلن حقيقته! ومنذ البداية كانت المسألة هكذا. اعترف رسميّاً بإسرائيل متحدياً القرآن والإسلام والحكومات الإسلاميّة والمسلمين.﴾[1].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في مسجد الشيخ الأنصاري رحمه الله في «النجف الأشرف»، خلال لقائه علماء الدين وفئات الشعب المختلفة، بمناسبة ذكرى أربعينيّة شهداء قم المقدّسة الذين سقطوا بفعل جرائم أجهزة أمن السافاك في (١٩ دي). راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٣، ص٣٠٣.

هتك وإهانة القرآن الكريم

هتاف الخلود للشاه... وتمزيق القرآن

﴿ في يوم شهادة الإمام الصادق عليه السلام، وبهتاف (الخلود للشاه)، شنّوا هجوماً مباغتاً على مركز الإمام الصادق عليه السلام، وذريّة هذا العظيم، وأبنائه الروحيين. وفي ساعةٍ أو ساعتين نهبوا المدرسة الفيضيّة بأسرها، نهبوا جامعة إمام العصر (صلوات الله وسلامه عليه) في وضع يرثى له في أنظار نحو عشرين ألف مسلم. حطّموا أبواب ونوافذ كُلّ الحجرات، والقى بعض الطلبة ـ من شدّة الخوف ـ بأنفسهم من السطح إلى الأرض، فتكسّرت الأيدي والرؤوس. جمعوا عمائم الطلبة والسادة من ذريّة الرسول صلى الله عليه وآله، وأضرموا النار فيها، ألقوا بالفتيات ذوي الستة عشر والسبعة عشر ربيعاً من السطح، مزّقوا الكتب ونسخ القرآن الكريم ـ حسبما قيل ـ.﴾[1].

إهانة القرآن الكريم

﴿ شهدنا الهجوم على المدارس الدينيّة والجامعات، وقد مارس عملاء

---

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد وجّهه من «قم المقدّسة» إلى علماء «طهران»، حول جرائم أزلام النظام وهجومهم على المدرسة الفيضيّة وضرب وجرح الناس والطلبة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١، ص١٨٢.

الشاه فيها القتل والنهب والإساءة إلى القرآن الكريم والكتب الإسلاميّة المقدّسة. كما مارسوا الإساءة والضرب لطلاب العلوم الدينيّة، واحراق كتبهم، وكذلك في الجامعات، فقد عُرِّضَ الشبّان والفتيات للضرب والجَرح.﴾[١].

الاستهزاء بآيات القرآن الكريم

﴿لقد ازدادت حدّة الدعاية في عهد الإبن[٢] ـ الذي كان أسوأ من الأب[٣] في بعض النواحي ـ حتى أنَّها وصلت إلى الجامعة وأثّرت في عقول الشباب، الشباب الطيبين، حتى أصبح من الصعب ذكر اسم أحد المعمّمين علناً! ووصلت الأمور إلى درجة أنَّ بعضهم كانوا يكتبون بعض آيات القرآن الكريم على جدران الجامعة بقصد المسخرة والاستهزاء، لقد كان هدفهم تضليل هؤلاء الشباب وإبعادهم عن طريق الحقّ؛ لأنَّهم كانوا يخشون أن يأتي اليوم الذي يصبح فيه الإسلام قويّاً، ويمتلك علماء الإسلام القوّة اللازمة للأخذ بالمجتمع إلى معارضة الأجانب ورفض هيمنتهم.﴾[٤].

---

(١) من رسالةٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد بعث بها من «النجف الأشرف» إلى رئيس اللجنة التنفيذيّة لمنظمة التحرير الفلسطينيّة «ياسر عرفات»، جواباً على رسالة الأخير بمناسبة شهادة السيّد مصطفى الخميني ﷺ نجل الإمام الراحل ﷺ. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٣، ص٢٣٣.

(٢) إشارة إلى الشاه المقبور محمّد رضا پهلوي.

(٣) إشارة إلى رضا خان.

(٤) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه منتسبي الاتحاد الرياضي في مدينة «أصفهان». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٩، ص٦٩.

إحراق القرآن الكريم وكتب الحديث

﴿ مدينة قم أيضاً كان فيها مشاكل في عهد الشاه البائد وأبيه الذين كانا عملاء للأجانب وخدمةً لهم. فقم والحوزة العلميّة تعرّضت للمصائب على أيديهما وأدخل العلماء السجن، وأبعدوا، وقتلوا، وعُذِّبوا، وحُرِقَ القرآن في المدرسة الفيضيّة ـ كما قيل لي ـ، وأُشعلت النار في الكتب العلميّة وكتب الحديث الشريف.﴾[١].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جمعاً من أهالي «عجبشير» و«جوانرود». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٩، ص٢٨٦.

خداع العوام والتظاهر بحماية القرآن

تأسيس الجامعات للوقوف في وجه الإسلام والقرآن

﴿إن الجامعة الإسلامية التي يريد السادة تأسيسها، لا تعني أنهم تصالحوا مع الإسلام، كلا، فالقضية هي قضية القرآن الذي حملوه على أسنّة الحراب في وجه أمير المؤمنين عليه السلام. لقد هزم معاويةُ أميرَ المؤمنين عليه السلام بحربة القرآن، رفعه للمكر والخداع، ولولا ذلك ولو استمرت الحرب بضع ساعات أخرى لتمّ القضاء على بني أمية، ولعفا أثرهم، ولكنَّهم مكروا، وحملوا القرآن وقالوا: إنَّنا وأنتم مسلمون، (نشهد أن لا إله إلا الله)! [وهذا هو القرآن]، وكلَّما قال الإمامُ أمير المؤمنين عليه السلام للخوارج الأشقياء والمتزمّتين [والمتقدّسين] الحمقى الذين لم يعرفوا إمامهم: اصبروا، قالوا: لا، لا يجوز، لا يجوز، وهؤلاء الأصحاب أنفسهم كانوا يريدون قتل أمير المؤمنين عليه السلام! [لقد كان أولئك الخوارج أصحاب وأنصار أمير المؤمنين عليه السلام!. رفع ـ جيشُ معاوية ـ القرآن على الحراب وقالوا ماكرين مخادعين: الحَكَمُ بيننا وبينكم كتابُ الله، الحَكَمُ كتابُ الله. فأرسل الإمام عليه السلام رسالةً إلى أصحابه المقاتلين في الميدان يطلب منهم الرجوع، فقالوا له: أمهلنا بضع ساعة، فقال عليه السلام: إن لم ترجعوا في الحال قتلوني، لقد شهروا ـ الخوارج ـ سيوفهم لقتلي]. لقد هزموا الإسلام بالقرآن! ولكن

هل يمكن هزيمة الإسلام بـ (جامعة إسلاميّة)؟! وهل نسمح لكم أن تؤسسوا (جامعة إسلاميّة)؟! سنحكم بفسق من يدخل هذه الجامعة! وهل يستطيع هؤلاء إخضاع الإسلام والمسلمين وعلماء الإسلام لوزراء الثقافة؟! خسئوا! هل نسمح لوزارة الثقافة أن تتدخّل في شؤون الدين والإسلام؟! إلا إذا مات الخميني، أو توفي مراجع الإسلام ـ لا سمح الله ـ وعندما نرحل فلا مسؤوليّة علينا، غير أنَّ الشعب المسلم موجودٌ، والشعب المسلم لا يزال حياً.»[1].

التستر بحمل القرآن لأجل الخداع والعبث

«أيّها السيّد[2]، إنَّك لا تعلم ما هو القرآن! فقد وضعوه في جيوبهم فقط، إنّي لا أحمل في جيبي قرآناً، وجميع مأموريكم في جيوبهم القرآن، فهل تعتقد بالقرآن؟! إنَّك تريد أن تخدعنا فقط، فالإناء أحرُّ من الحساء. أوَ تعتقد بالقرآن؟! أنت تريد أن تعبث بنا فقط، لقد وضعت قرآناً في جيبك وأنت تريد أن يزول القرآن! فهل كلامنا هذا رجعيّة؟! وهل من الرجعيّة أن نطالبكم بالاتحاد وألا تسمحوا بنهب ثرواتكم؟!»[3].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام قدس سره قد ألقاه في المسجد الأعظم في «قم المقدَّسة»، خلال لقائه جمعاً من العلماء وطلبة العلوم الدينيّة والكسبة والجامعيين وفئات الشعب المختلفة، بمناسبة إطلاق سراحه قدس سره من سجن الشاه بعد انتفاضة الخامس عشر من خرداد. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١، ص٢٨٠.

(٢) هنا الإمام قدس سره يخاطب الشاه، وكان من عادة الإمام قدس سره أن يتوجه بالخطاب إلى الشاه مباشرةً منتقداً إياه ومقلّلاً من شأنه دون خوفٍ أو وجل، في حين كان الناس يرتعدون خوفاً من مجرّد همس اسمه، وكانت تنحني له الرؤوس، وقد رأينا في الكثير من الوثائقيات كيف كان جلاوزة النظام ينحنون ليقبلوا يده وحتى قدمه.

(٣) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في المسجد الأعظم في «قم المقدَّسة» خلال لقائه علماء الدين وطلبة العلوم الدينيّة، وجمعاً من كسبة وأهالي قم. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١، ص٣٤٤ ـ ٣٤٥.

تدمير أحكام القرآن من خلال التظاهر بالتديّن

﴿ إنَّهم يعملون للقضاء على الإسلام من خلال الادعاء بالإسلام والتظاهر بالتديّن، ويدمّرون أحكام القرآن المقدّسة الواحد تلو الآخر.﴾[(١)].

خديعة طباعة القرآن من أجل استئصال الإسلام

﴿ نظام الشاه مكلّفٌ باستئصال الإسلام مرّة واحدة تحت واجهة طباعة القرآن، والتظاهر بالإسلام، وباسم جنود الدين، ومنظمة الأوقاف، والعناوين الخدّاعة الأخرى، وجرّ الشعب المسلم إلى الذلّ والعبوديّة ما أمكنه، واستبدال مسجد نبي الإسلام ﷺ ومحرابه إلى قاعدةٍ دعائيّةٍ لبلاطه المعادي للإسلام. ومن أجل تنفيذ هذه المخطّطات المشؤومة فإنَّهُ بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى مساعدة العملاء المتلبّسين بمسوح الدين، فهو يريد من خلال تعاونهم أن يسيطر على المساجد والأوساط الإسلاميّة الأخرى، ويخضع الشعائر الدينيّة لإشرافه ومراقبته، ويسيطر على الحوزات العلميّة.﴾[(٢)].

طباعة القرآن لأجل خداع العوام

﴿ رضا شاه كان ينتقل من مجلس عزاء الحسين عليه السلام هذا إلى ذاك، ومن هذه التكيّة إلى تلك، حتى كانوا يقولون إنَّهُ كان يذهب إلى هناك مشياً

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد وجّهه من «النجف الأشرف» إلى زوار وحجّاج بيت الله الحرام. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢، ص٣٠٥.

(٢) من نداءٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد وجّهه من «النجف الأشرف» إلى اتحاد المنظمات الإسلاميّة للطلّاب المقيمين في أوروبا وأميركا وكندا. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج٢، ص٤٥٠.

على الأقدام. ورأينا أنَّهُ كان يقيم مجالس العزاء، وهو أيضاً كان يحضر هذه المجالس. وبعد ذلك أيضاً رأينا أنَّهُ عندما تسلّم السلطة قام بمنع جميع مجالس العزاء! رأينا محمّد رضا طبع القرآن ونشره، وقام بهذه الأعمال باسم الإسلام. رأينا أنَّهُ كان يذهب كُلَّ عام مرّةً إلى مشهد الرضا عليه السلام، ويقف بوقاحة قبالة الإمام الرضا عليه السلام وقلبه لم يكن هناك، إذ كان يقوم بذلك للتلاعب بالشعب. ورأينا ما فعل هذا المجرم[1] وذلك المجرم[2] في إيران. كيف كان ينافق بإسلامه الجميع، وما فعل في جوار الإمام الرضا عليه السلام من قمعٍ وإبادة في مسجد (گوهرشاد) ومعبد المسلمين. ورأينا هذا الشخص الذي كان يدّعي بأنَّهُ مسلم ويطبع القرآن، وأنه ملتزمٌ، وأنَّهُ أقسم، كان يحلف اليمين في خطاباته على أنَّهُ يقوم بخدمة الشيعة! رأينا الخدمات التي قدّمها لهذه البلاد، فضلاً عمّا ارتكبه من القتل وجعل هؤلاء المعاقين متخلّفين، أهدر كرامة بلادنا، وأتلف جميع مصادرنا، أقصى جميع كوادرنا البشريّة وطاقاتنا الشبابيّة، وحال دون تطوّرها ورقيها.»[3].

نغمة «جنود الدين» والتحايل على القرآن

«لقد ذكّرت مراراً أنَّ الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يسدّ الطريق أمام الأجانب والدول المستعمرة، ولا يدعهم يسيطرون على موارد البلدان الإسلاميّة، هو الإسلام وعلماء الإسلام الأجلّاء، وهذه حقيقةٌ ثابتةٌ طوال

---

(١) إشارة إلى جيمي كارتر، رئيس الولايات المتحدة الأمريكيّة.

(٢) إشارة إلى رضا خان.

(٣) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جمعاً من جرحى ومعاقي الثورة، وأطباء وممرّضي لجان الإغاثة. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١١، ص٢٣٧ ـ ٢٣٨.

التاريخ للدول الاستعماريّة. وقد نُقِلَ عن الوزير الأسبق لحكومة بريطانيا الإستعماريّة أنَّهُ قال: «ما دام القرآن بين المسلمين فإنَّنا لا نستطيع أن نحقق أهدافنا».

إنَّ الهدف الرئيس للدول المستعمرة هو القضاء على القرآن والإسلام وعلماء الإسلام. ومن أجل تحقيق أهدافهم الاستعماريّة يطلقون بين الحين والآخر نغمةً ما عبر عملائهم الخبيثين، ليفضحوا بذلك أكثر فأكثر عن وجههم اللاإسلامي واللاوطني، مثلما فعلوا ذلك مؤخّراً فأطلقوا نغمة «جنود الدين» على لسان أحد عملائهم الأذلّاء.

إنَّ نغمة «جنود الدين» تطلق في ظلّ ظروف توجّه فيها الحكومة الطاغية كُلَّ يوم ضرباتٍ متتاليّةٍ إلى كيان الإسلام، وأفسحت المجال لإسرائيل المجرمة بالتدخّل في جميع الشؤون الاقتصاديّة، والسياسيّة، والعسكريّة لإيران، فالكثير من العلماء الأعلام، والخطباء العظام، وطلبة العلوم الإسلاميّة، والشعب الإيراني النبيل يرزحون في السجون، والنفي، وتحت التعذيب. والشباب الغيارى والوطنيون يتمّ إعدامهم ورميهم بالرصاص، أو تهيّأ مقدِّمات محاكمتهم وإعدامهم.

أنّني أحذر الشعب الإيراني المحترم وأنذره، فلو نجحت أيادي الأجانب ـ لا سمح الله ـ وأعداء الإسلام في تحقيق هذا الهدف المشؤوم، فإنَّها ستعمل أولاً على عزل العلماء الأعلام، والوعّاظ، ودعاة الإسلام، ومن ثم تسعى للقضاء على الإسلام وأحكامه السماويّة.

إنَّ خطر هذا (الجيش) غير المبارك الذي يجب عليه أن يفسّر ويؤوّل جميع حقائق الإسلام بما يخدم الاستعمار، هو أكبر خطر يواجه المسلمين وفي مقدّمتهم العلماء الأعلام.

لقد أدركوا من خلال تجاربهم الطويلة أنَّ علماء الإسلام الأجلّاء، والوعّاظ المحترمين، وجهوا بجهادهم المتواصل الشعوب لصالح الإسلام والقرآن، ولم يخطوا أيّة خطوة لصالح الحكومة الطاغية والأجانب الطامعين مهما مورس بحقّهم من التهديد والترغيب، وحافظوا على مراكزهم بكُلِّ قوّة، وهم يوظّفون المساجد والتجمّعات لخدمة القرآن الكريم والإسلام العزيز، وهذا ما حدث. وإن خطا بعض المعمّمين عديمي الكرامة والذين لا يتّقون الله، خطوةً لصالح الحكومة الطاغية فإنَّهم منبوذون من قبل الأوساط العلميّة، والمجتمعات الإسلاميّة. ولذلك فقد وضعوا هذا المخطط الخطير كي يحدّوا من نفوذ العلماء الأعلام والدعاة استناداً لما يوحي لهم خيالهم الباطل، ويجعلوا الإسلام ألعوبةً بيد عملائهم، ويقوّضوا أساس الدين؛ كي يحقّقوا هدفهم المتمثّل في السيطرة على جميع مقدّرات البلد، ويبقوا الشعب المسلم والمُستَعْمَر في حالة التخلف.»[1].

مخطّطات مختلفة للقضاء على أساس القرآن الكريم

« نحن نواجه في العصر الحاضر الضربات الفادحة والمتزايدة الموجّهة إلى الإسلام، كما أنَّ المآسي والاضطرابات التي تعاني منها الشعوب الإسلامية باتت أكثر من ذي قبل. فهناك قضية فلسطين والمسجد الأقصى وتشرد أهالي هذا البلد الأبرياء، ودعم الدول الاستعماريّة الكبرى لليهود المحتلّين، ومع بقاء جرثومة الفساد هذه فإنَّ هناك خطراً كبيراً يهدّد ـ لا سمح الله ـ كافّة البلدان الإسلاميّة وخاصّةً الدول العربيّة... وهناك

---

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﵀ قد وجهّه من «النجف الأشرف» إلى الشعب الإيراني المسلم.
راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج٢، ص٣٧٨.

مخطّطات توضع من قبل المستعمرين وتنفذ في كُلّ زمان بشكلٍ ما للقضاء على أساس القرآن الكريم، وتعاليم الإسلام التحرريّة.

وعندما تولى رضا خان الحكم بدعمٍ من الأجانب، كُلّف بتعطيل الشعائر الإسلاميّة بالحراب، وبكُلّ قسوةٍ وبطشٍ، والقضاء على أحكام القرآن النورانيّة وآثار الرسالة. ولكنَّهم اضطروا إلى تغيير مخطّطاتهم عندما رأَوْا أنَّ من غير الممكن إبعاد الشعب عن الإسلام ومبادئ القرآن، فشمّروا عن ساعد الجدّ للقضاء على أساس القرآن، واستعباد الشعوب المسلمة، وتحطيم السدّ الكبير المتمثّل في علماء الدين وذلك من خلال التظاهر بالإسلام ومخطّطات استعماريّة جديدة. وهم الآن يريدون من خلال ترديد الشعارات الخدّاعة باسم «جنود الدين» وغيرها أن يحطموا هذا السدّ المنيع، ويحققوا أهدافهم القذرة.

واليوم، فإنَّ هناك مخطّطات أوسع وأشمل تكشف عن الوجه الحقيقي لعملاء الاستعمار، وأسلوب مهماتهم. مخطّطات يهدفون من تنفيذها إلى تحطيم الخنادق المعادية للاستعمار، وتحويلها إلى خنادق في خدمة الاستعمار والصهيونيّة وعملائها. إنَّهم يحاربون العلماء الأعلام، والخطباء المحترمين، وخَدَمة الإسلام، ويحلّون محلهم في محاريب ومنابر الإسلام والرسول الأعظم ﷺ المعمّمين المزيّفين، وعملاء المنظّمات الفاسدة. وبدلاً من بيان أحكام القرآن، وحقائق الإسلام، فإنَّهم يصنعون أبواقاً لنظام الحكم المرتزق والعميل لتنفيذ الأهداف المشؤومة المعادية للإسلام.»[1].

---

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد وجهّه من «النجف الأشرف» إلى العلماء، والوعّاظ، والشعب الإيراني المسلم، حول مخطّطات النظام للقضاء على الإسلام والقرآن. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٢، ص٤٤٦.

مخالفة الإسلام والترويج الظاهري للقرآن

﴿ على الشعب ألا ينخدع بالدعايات الواهية التي يروِّجها النظام، فهؤلاء مع مخالفتهم للإسلام وأحكامه المتزايدة يوميّاً ينقلون المراسمَ الدينيّة، ويبثّون قراءاتِ الأدعية مثل دعاء كميل ومواكب العزاء الحسيني ولطم الصدور في ذكرى عاشوراء في أجهزتهم الإعلاميّة لِخداع الغافلين من الناس. إنَّهم ينقُضُون أحكام القرآن الكريم، ويقومون بطبعه ونشره.﴾[١].

التظاهر بالقرآن لإزالة أحكامه

﴿ إنَّ الكلام عن الإسلام والقرآن الكريم ليس إلّا خداعاً ومهزلةً في نظامٍ أوّل عمل في مهمته لوطنه إزالة الإسلام وأحكامه، فقد بدّل التاريخ الإسلامي المشرّف بتاريخ الظالمين والمفضوحين لإزالة الإسلام.﴾[٢].

---

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد وجهّه من «النجف الأشرف» إلى الشعب الإيراني المسلم، حول تحريم الانتماء إلى حزب (رستاخيز) البعث الإيراني الذي أعلن الشاه محمّد رضا بهلوي تأسيسه، ودعا في لقاءٍ صحفيٍّ جميع الإيرانيين إلى الانخراط في صفوف هذا الحزب، وأعلن أنَّ من لا ينضمّون إلى هذا الحزب يجب أن يغادروا إيران. وكان من مبادئ هذا الحزب والتي أعلنها الشاه: الاعتقاد بالنظام الملكي، وبما سمّي الثورة البيضاء، وبالدستور. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٣، ص٧٧.

(٢) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد وجهّه من «النجف الأشرف» إلى الشعب الإيراني المسلم، حول الثورة الشعبيّة في التاسع عشر من شهر دي في مدينة قم. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج٣، ص٢٨٥.

المحافظة على الآداب الظاهريّة للقرآن والعمل بخلاف محتواه

﴿ ذلك السابق[١] كان يقول بالإسلام، ومعاوية كان يصرخ بالإسلام، وكان يذهب إلى صلاة الجماعة، وَيؤُمُّ الناس. وخلفاء بني العبّاس أيضاً كان بعضهم من الفضلاء والعلماء، وبعضهم أو كُلُّهم يُصلّون جماعةً ويلتزمون الآداب صوريّاً، غير أنَّهم كانوا يريدون أن يفرغوا الإسلام والقرآن من محتواهما.

هؤلاء كانوا يريدون إسلاماً مفرّغاً من محتواه مثل اليوم، فالإسلام من دون رجال الدين يعدّ فارغاً من محتواه. إنَّهم يُعِدّون للإسلام مضموناً غير مضمونه، ويعرضون إسلاماً آخر قائلين: نريد الإسلام، بل يريدون الإسلام لفظاً دون المحتوى.﴾[٢].

التظاهر بالصلاة ومحبّة القرآن لأجل خداع الشعب

﴿ بدأ محمّد رضا ببعض الأعمال الشيطانيّة بسلاح الإسلام أيضاً، فبدأ بالمقولات التي كان أبوه قد استعملها، كطبع القرآن الكريم مثلاً. وكان يذهب مرّةً أو مرتين إلى مشهد[٣]، ويؤدي الصلاة ليستغفل الناس. وفي بعض الأحيان كان يستغفل مجموعةً ما. ورويداً رويداً رأى أنَّهُ لم يعد

---

(١) إشارة إلى رضا خان والد الشاه المقبور.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﵀ قد ألقاه في «قم المقدّسة» خلال لقائه أعضاء هيئة القائميّة بطهران. راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق، ج٨، ص١٧.

(٣) إشارة إلى مدينة مشهد المقدّسة، وفيها الضريح المشرّف لثامن أئمة أهل البيت ﵈ الإمام علي بن موسى الرضا ﵇.

بحاجةٍ إلى التلاعب، ولذلك بدأ يفرض قوّته، فحرم الناس من جميع المواهب، وأنتم تعرفون أنّه لم يكن أحد يستطيع التنفّس في إيران.﴾[١].

تظاهر الشاه بالتديّن

﴿رأيتم محمّد رضا ـ هنا ـ كيف كان يتظاهر بالإسلام، ويطبع نسخاً من القرآن، ويُظهر أنَّهُ ملتزمٌ بالإسلام. لكنَّهُ مع كُلِّ ذلك فعل بالإسلام ما قد رأيتم جميعاً. ونظيره في المسيحيّة أمثال كارتر الذي كان يذهب إلى الكنيسة ويدعو ويحثّ الآخرين على الدعاء، لكنَّهُ ملأ الدنيا ظلماً وإجراماً خلافاً لتعاليم السيّد المسيح عليه السلام. فالديانات السماويّة قد ابتليت منذ البداية بهؤلاء الطواغيت.﴾[٢].

خداع الشاه للشعب باسم القرآن والإسلام

﴿لقد كابد الإسلام دوماً من أمثال هؤلاء الذين حاولوا ضرب الإسلام باسم الإسلام. الم يكن محمد رضا پهلوي يطبع القرآن؟ ألم يكن يذهب كُلَّ سنةٍ لزيارة المشهد المقدّس؟ الم يكن يتحدّث دوماً عن العدالة الإسلاميّة وماهيّة العدالة؟ الم يقل إنَّ سيّدنا العبّاس بن علي عليه السلام أنقذني في إحدى القضايا؟ كان يقول إنَّها من قدراتهم. من الجرأة الكبيرة التي كانت لديهم هي أنَّهُ كان يقول بجدٍ بدون أدنى حياء إنَّ هذا العمل هو من صنع الله، ونحن نبتغي مرضاة الله. نحن أيضاً نتطلّع إلى هذا الامر، وأنتم أيضاً إذا ما

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد خاطب فيه من مدينة «قم المقدّسة» الكاتب والمفكر الأمريكي المسلم حامد الغار. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١١، ص٣٦٠.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدّسة» خلال لقائه مندوبي الطائفة الأرمنيّة في إيران. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٢، ص٣٨.

تأملتم أحياناً لصدّقتم بما يقولون. فالكثيرون انطلت عليهم هذه القضية وأخذوا يقولون: أليس هو ملكٌ ينادي بالقرآن، وينادي بالإسلام، فماذا تريدون منه؟ كان علينا أن نبذل جهداً لنكشف النقاب للناس عن الوجه الآخر لهؤلاء الأشخاص. فهذا ليس إلّا أحد الوجهين، الوجه الذي يتحدّث باسم القرآن، وباسم الله، وباسم نهج البلاغة.

إنَّ المناداة بهذه الأسماء في الساحة يعدُّ خطراً. إذا ما نجحنا في إماطة اللثام عن الوجه الثاني لهذه المجموعات، وكشف الوجه الثاني لأمثال محمّد رضا للشعب، فعندها نكون قد انتصرنا، وهذا ما تحقّق في قضية محمّد رضا، فقد كُشِفَ عن وجهه الثاني المجهول.»[1].

تضليل الناس واجتثاث جذور الإيمان

«الإسلام بالنسبة لهم ليس سوى وسيلة لبلوغ غاياتهم الدنيويّة. وهم يتشدّقون بالإسلام ويدّعون به ولا يطبقونه فعلاً. إسلام رضا خان ومحمّد رضا خان، كان إسلام هؤلاء منحصراً في طباعة القرآن. وكان رضا خان يقيم مجالس العزاء الحسيني، وكان جيشه يشارك في إقامة هذه المجالس، ونظّموا مجموعات لتضليل الناس ـ وقد رأيت ذلك بعيني ـ وكان ينوي القضاء على أساس وأصل هذه المجالس. وكان محمّد رضا أسوأ منه، حيث وضع خطّة عمل ونفّذها بدقّة، وقام بأعمال غايتها اجتثاث جذور العزاء الحسيني.»[2].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷿ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران» خلال لقائه أعضاء النقابات الإسلاميّة للعمال في إيران، ومنتسبي القطاع الصحي في الجيش. راجع: صحيفة الإمام ﷿، مصدر سابق، ج١٢، ص٣٧٣ ـ ٣٧٤.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷿ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، بمناسبة عيد=

=الغدير الأغرّ، خلال لقائه رئيس الجمهوريّة ـ آنذاك ـ الإمام السيّد القائد علي الخامنئي ﴿، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء، رئيس الوزراء وأعضاء المجلس، رئيس مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء المجلس، علماء الدين، أسر أيتام طهران، جرحى ومعاقي الثورة الإسلاميّة، منتسبي الجيش والحرس وتعبئة المستضعفين، موظفي الإذاعة والتلفزيون، لجنة الإعلام الحربي. راجع: صحيفة الإمام ﴿، مصدر سابق، ج١٨، ص١٣٥.



الفصل الثامن

معارضة الفِرَق والأحزاب للقرآن



القوميّون وحركة «نهضة الحرية»

القوميّة ومخالفة القرآن الكريم

﴿ إنَّ الإسلام لا يرفض حب الوطن والقوم والأهل [وحفظ حدود البلد]، بل يشجّع على ذلك، ولكن بشرط أن لا يتحول هذا الحب إلى حالة سلبية تمزّق صفوف المسلمين، وتزرع بذور العداوة والبغضاء بينهم. فإنَّ هكذا نزعات قومية، هي على خلاف الإسلام [والقرآن الكريم والنبي الأكرم ﷺ] ومصلحة المسلمين، وهي من خدع وأحابيل الأجانب، الذين يقلقهم المد الإسلامي المتنامي يوماً بعد يوم.﴾[1].

إيجاد التفرقة باسم القوميّة

﴿ إنَّ خطّة القوى الكبرى وعملائها في البلدان الإسلاميّة، هي زرع الفرقة والشقاق بين جميع المسلمين الذين آخى بينهم الإسلام، وخاطبهم الله ﷻ في كتابه العزيز بالإخوّة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2]، فإنَّ هؤلاء يريدون ومن خلال تقسيم المسلمين إلى أمم متعدّدة، الأمّة العربيّة، الأمّة الكرديّة،

---

(١) من نداء كان الإمام الراحل قدس سره قد وجّهه من حسينيّة جماران في «طهران»، إلى مسلمي العالم وزائري بيت الله الحرام. راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق، ج١٣، ص١٥٩.

(٢) الحجرات: ١٠.

الأمّة الفارسيّة، الأمّة التركيّة. . . أن يمزّقوا الأمّة الإسلاميّة، ويزرعوا العداوة بين المسلمين. وهذا تماماً على عكس المسير الإسلامي والقرآني الذي يدعو إلى الأخوّة، والمساواة، ولمّ الشمل، وتوحيد الصفوف تحت لواء الإسلام وتحت لواء التوحيد.

إنَّ الذين يزرعون التّفرقة بين المسلمين تحت عناوين القوميّة والطائفيّة والعرقيّة، هم جندٌ للشيطان، وأعوانٌ للقوى الكبرى والمعادين للإسلام والقرآن.(١).

الدعوة للتظاهر مقابل أحكام القرآن الضروريّة

إنَّهم دعوا الشعب المسلم إلى التظاهر في مقابل قانون القصاص، ماذا يعني هذا؟ أي التظاهر في مقابل نصّ القرآن الكريم! ضروري القرآن الكريم سواء عند الإخوة الشيعة أم عند الإخوة السنّة. الضروري هو أنَّ هذا القرآن من عند الله ﷻ ومن الضروري قبول ما في القرآن. وقد صُرِّحَ بقضية القصاص في أماكن من القرآن. قانون القصاص من القضايا القرآنيّة. لقد دعوا المسلمين كما يقولون إلى الوقوف في وجه القرآن! وأن يقف الناس في وجه الأحكام الضروريّة للإسلام! هؤلاء الذين هم من بعض الجبهات معروفٌ ما هو تكليفهم. هؤلاء من البداية ومن وقت تأسيس الجمهوريّة الإسلاميّة لم تكن قضيّة الإسلام مطروحةً عندهم. ما كان مطروحاً لو كانوا صادقين هو الوطنية. وأنا أشكّ في هذا أيضاً! لأنَّ زعماءهم والمعروفين بـ «الوطنيّة» كانوا ضدّ الشعب.(٢).

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷲ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه العشائر العربيّة في كُلٍّ من «خوزستان» و«فارس»، والمجالس الإسلامية لعشائر «دشت آزادگان» و«سوسنكرد». راجع: صحيفة الإمام ﷲ، مصدر سابق، ج١٣، ص٣٤٨ ـ ٣٤٩.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷲ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، وفيه تحذيرٌ شديدٌ=

الجبهة الوطنيّة والتظاهر في مقابل القرآن المجيد

﴿ يجب أن نأسف وأنا متأسّفٌ كثيراً لأنَّني لا أعلم الغيب! لا أعلم ماذا في حقائب هؤلاء. لقد كنت متفاعلاً مع بعض هؤلاء، وكنت أحسن إلى بعضهم، ولكن لم أكن أعلم أنَّ هؤلاء سيقفون ضدّ القرآن، لم أكن أعلم أنَّ هؤلاء سيأتلفون ويتوحّدون في مركز ائتلافهم، ويأتلفون مع المنافقين الذين يعلم من طالع سلسلة كتبهم (شناخت) [المعرفة][1] ما الحقيقة.

إئتَلَفوا مع هذه الجبهات التي رفعت القناع عن وجهها ودعت الناس صراحةً إلى أن يا أيّها المسملون اعتبروا حكم القرآن حكماً «غير إنساني»!! ولا حول ولا قوّة إلا بالله. في بلدٍ إسلاميٍّ يُسَبُّ القرآن ويُسَبُّ الإسلام في مرأى ومنظر المسلمين، والمسؤول الفلاني يؤيد ويدعو إلى الانتفاض!! في مقابل أيّ شيء؟ في مقابل نصّ القرآن الصريح؟!... هناك مظاهرة مقابل هذا الحكم الإسلامي «غير الإنساني»! ماذا نفعل مع هؤلاء الذين يظهرون الصداقة وهم يوجّهون نصالهم إلى جذور الإسلام؟ لم يحصل طيلة سلطنة رضا خان وابنه محمّد رضا مثل هذه الجرأة على القرآن. ليعلم المسلمون أنَّ طريقاً واحداً الآن، بقي في العمل أسلوبٌ واحدٌ هو ما كشفوا النقاب عنه بتغافل.

هؤلاء الذين يريدون المشاركة أو أنَّهم دعوا الناس للمشاركة، إذا كانوا

=لمعارضي قانون القصاص واعلان ارتداد المعارضين للأحكام الضروريّة في الإسلام، خلال لقائه فئات الشعب المختلفة، علماء الدين في «مازندران»، علماء الدين السنّة، أهالي «مشهد»، عمّال شركة النقل الداخلي. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٤، ص٣٥٣.

(١) من الكتب التي نشرتها منظمة المنافقين لتبيين أيديولوجيّتها.

يعرفون مضمون هذا العمل ما هو فالويل لأمَّةٍ وَطَنيُّوها بهذا الشكل، وزعماؤها هكذا!! وإذا كانوا يقومون بأعمالهم دون علم فكيف يدعون الناس للتظاهر دون الإطلاع على دعوة الجبهة الوطنية؟!! ليغلق سوق طهران وليغلق سوق اصفهان ولتغلق أسواق إيران ولتغلق الشوارع ولينتفض الجميع وليرفعوا قاماتهم!!! في مقابل أيّ شيء؟! في مقابل قانون القصاص «غير الإنساني»! حكم القرآن «غير الإنساني»!!

ماذا نفعل مع هؤلاء؟ ومع هؤلاء المقدَّسين الذين يحمونهم وائتلفوا مع بعضهم، وكانوا قد ائتلفوا مع المنافقين من البداية، مع هؤلاء المسلمين المصلّين!!

لقد قلت إنَّني أريد أن أفاتحكم بالآلام التي تعتصر قلبي لأنَّ «سعدي يئن ويستغيث من أصدقائه»[1] ماذا نفعل مع هؤلاء المتظاهرين بأنَّهم أصدقاء؟﴾[2].

موقف حركة «نهضة الحريّة» من حكم القصاص في القرآن

﴿هل تقبل «نهضة آزادي»[3] بما تقوله «الجبهة الوطنيّة»؟ هم يعتبرون هذا الحكم ـ حكم القصاص ـ الموجود في القرآن الكريم، والضروري بين

(١) شطرٌ من بيتٍ شعريٍّ للشاعر الإيراني سعدي الشيرازي، يقول فيه: «سعدى از دست دوستان فرياد».

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، وفيه تحذيرٌ شديدٌ لمعارضي قانون القصاص واعلان ارتداد المعارضين للأحكام الضروريّة في الإسلام، خلال لقائه فئات الشعب المختلفة، علماء الدين في «مازندران»، علماء الدين السنّة، أهالي «مشهد»، عمّال شركة النقل الداخلي. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٤، ص٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٣) أي حركة «نهضة الحرية».

جميع المسلمين «غير إنسانيّ»؟!! هل يقبل أصحاب صلاة الليل هذا أم لا؟ لا أشك في أنَّهم لا يرضون عن ذلك. حسناً أعلنوا عن هذا، لماذا التزمتم الصمت؟!!. هل أنَّ النهي عن المنكر انحصر في أن تنهوني أنا؟ النهي عن المنكر من أجل ضرب الدولة وتحطيمها وتحطيم المجلس وماذا؟!! تريدون النهي عن المنكر من خلال المنكر؟ أيّ منكر؟! هل تقولون إنَّ ذلك الشخص الذي يدعو للتظاهر ضد هذا الحكم «غير الإنساني» والمسلمون يجلسون للتفرّج عليه سابٌ لرسول الله ﷺ وسابٌ للقرآن؟؟ هذا سبٌّ للقرآن.«(١).

سكوت حركة «نهضة الحريّة» عن مخالفة القرآن

»أيّها السادة الذين تعدّون النهي عن المنكر واجباً، وهو كذلك ومن ضروريّات الإسلام، ألا يجب أن تنهوا أصدقاءكم أن لا يحكموا ضدّ القرآن ولا يدعوا ضدّ القرآن؟!! هل يجب على مراجع الإسلام وعلماء البلاد الإسلاميّة أن يسمعوا ولا يتكلموا شيئاً؟! وأن يسكتوا في مقابل سبِّ القرآن الكريم؟ أن يسكتوا في مقابل من ينكر حكماً ضروريّاً في الإسلام، ومنصوصٌ عليه في كتاب الله تبارك وتعالى، ويصفه بأنَّه «غير الإنساني»! ويدعو للوقوف ضد قانون القصاص؟«(٢).

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، وفيه تحذيرٌ شديدٌ لمعارضي قانون القصاص واعلان ارتداد المعارضين للأحكام الضروريّة في الإسلام، خلال لقائه فئات الشعب المختلفة، علماء الدين في «مازندران»، علماء الدين السنّة، أهالي «مشهد»، عمّال شركة النقل الداخلي. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٤، ص٣٥٧.

(٢) المصدر السابق: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٤، ص٣٥٩.

توبيخ حركة «نهضة الحريّة» على تأييدها سبَّ القرآن

﴿ أصلحوا أنفسكم أيها السادة قليلاً. لماذا تعملون كُلَّ هذا من أجل الدنيا؟ أيعمل الإنسان من أجل الدنيا بحيث إنَّ مجموعةً تسبُّ القرآن، وأنتم تؤيّدون جماعة يحرّكها الشيوعيون ضدّ الإسلام؟ هل أنتم ناهون عن المنكر؟! مفسر القرآن!![1] حسناً تعالوا وقفوا ضدّ هؤلاء، وفي مقابل هؤلاء!! قولوا إنَّ ما قاله هؤلاء كفرٌ. أن يقول إنسانٌ إنَّ حكم الله ﷻ حكمٌ «غير إنسانيٌ»!!، الإسلام «غير إنسانيٌ»!! هذا كافرٌ.

حسناً، أنتم قولوا هذا، لماذا نهيكم عن المنكر يتلخّص في إضعاف بعض علماء الإسلام وإضعاف بعض المراكز الإسلاميّة؟! ولماذا تلخّص النهي عن المنكر عندكم في إصدار بيانات والتحدّث في كُلِّ مكان وأن يكون كُلُّ همّهم هو أنَّ الجمهوريّة الإسلاميّة لا تنفع شيئاً؟!! نحن يجب أن نكون في أحضان أمريكا حتى نستطيع العيش!! أو في أحضان الاتحاد السوفياتي!! ولما كان الاتحاد ملحداً وأمريكا موحّدة، وهي على الصواب وحسنة، أو أقل سوءاً منه، من المفضّل أن نكون معها! ما هذا التفكير الذي عندكم؟!! لماذا يجب أن تكونوا هكذا؟!!

أنا متأسّفٌ جداً! أنا متأسّف جداً!! ما يعصر قلبي ألماً هو مواجهة هذه الجماعة، مواجهة من لم يَدَعُوا أمير المؤمنين ﷺ يقوم بعمله. إذا كان هؤلاء يعتقدون حقاً بالإسلام، ويرون أنَّهُ من اللازم أن ينهوا عن المنكر، فأيُّ منكرٍ أكبر من القول إنَّ حكم القرآن «غير إنسانيٌ»!! ودعوة الناس لهذا؟

هؤلاء يدعون الناس للتظاهر ضدّ من؟ وفي أي اتجاه؟ ويدافعون عن

---

(١) إشارة إلى المهندس مهدي بازرگان، رئيس الحكومة المؤقتة بعد انتصار الثورة.

من؟ دفاعٌ عن شخصٍ يقول إنَّ حكم القصاص حكم «غير إنسانيّ»!! دفاعٌ عن هذا؟!! هل يجب على مسلمٍ أن يدافع عن هذا؟!![1].

دعوة حركة «نهضة الحريّة» للانفصال عن «الجبهة الوطنيّة»

الحكومة عندما تكون إسلاميّةً، وفي الوزارة عندما يكون هناك اجتماعٌ يبدأونه بتلاوة القرآن، وكذلك في النهاية. صار هذا سنّة، أن يقرأ القرآن في هذا البلد! هؤلاء الرجعيّون في الوزارة يقرأون القرآن؟!! أنتم مستاؤون من هذه الأشياء.

لا أقول إنَّ المتديّنين من هذا الصنف، فحتى الآن لا زلت أعتقد بتديّنهم، رغم أنّهم يوجّهون ضربةً لكنّني أعتبرهم على حِدَةٍ، وادعو الله ﷻ أن ينفصلوا عن تلك المجموعات. أن ينفصلوا ويدخلوا في بقيّة الناس. لا يسبح هؤلاء ضدّ التيار، وضدّ السيل. السيل عارمٌ فلا يسبحوا. عندكم خطأٌ كبيرٌ وهو أنّكم تصوّرتم أنّكم بمجرد أن أصدرتم في عهد محمّد رضا بياناً أو بيانين أنَّ الناس صاروا يحبونكم، والآن أيضاً إذا أصدرتم بياناً ضدّ الحكومة ـ مثلاً ـ فإنَّ الناس يتّبعونكم! مقارنتُكُم خاطئةٌ.

عندما أقول إنَّهُ ليس عندكم وعيٌ سياسيٌّ؛ لأنّكم الآن ومن أجل أن توصلوا أنفسكم للسلطة ـ أنا أعلم أنَّ القضية ليست لله ﷻ! ليس هناك نيّة لله ﷻ، كُلُّ ما هناك هو الشيطان! ـ حسناً تعالوا واعزلوا أنفسكم عن الذين يعارضون الإسلام في بيانهم، والذين دعوا الشيوعيين. الشيوعيون الذين

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، وفيه تحذيرٌ شديدٌ لمعارضي قانون القصاص واعلان ارتداد المعارضين للأحكام الضروريّة في الإسلام، خلال لقائه فئات الشعب المختلفة، علماء الدين في «مازندران»، علماء الدين السنّة، أهالي «مشهد».
راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق. ج١٤، ص٣٥٨ ـ ٣٥٩.

أنتم عدوهم اللدود. إعزلوا أنفسكم عنهم اليوم، لم يتأخّر الوقت في هذا اليوم أعلنوا في إذاعة إيران، أعلنوا أنَّ البيان الذي أصدرته «الجبهة الوطنيّة» ودعت فيه الناس في بيان اعتبر قانون القصاص والقوانين الأخرى، وفي بيانٍ آخر قالت قوانين «غير إنسانيّة»، وهذا هو مرادها. هذه قرائن.

تعالوا أنتم الآن، أنتم الذين تعتقدون بالإسلام، وأنا أعلم أنَّكم تعتقدون بالإسلام، أنتم تعدّون النهي عن المنكر واجباً، وأعلم أنَّكم تعدّونه واجباً إذا ترك شيطانُ الباطن عقلَكم يعمل. تعالوا وأدينوا هذه القضيّة. لنفتح الإذاعة بعد الظهر ونسمع أنَّ «نهضة الحريّة» أعلنت أنَّ إعلان «الجبهة الوطنيّة» نوعٌ من الكفر وسبٌّ للقرآن.»[1].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، وفيه تحذيرٌ شديدٌ لمعارضي قانون القصاص واعلان ارتداد المعارضين للأحكام الضروريّة في الإسلام، خلال لقائه فئات الشعب المختلفة، علماء الدين في «مازندران»، علماء الدين السنّة، أهالي «مشهد».
راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق. ج١٤، ص٣٦٠.

المنافقون واليساريّون

الأحزاب والجماعات المعارضة للقرآن

❁ هناك جماعات تريد حالياً اقصاء الإسلام من خلال الكتابة أو الكلام أو التجمّعات. إنَّها إحدى المشاكل التي ابتليت بها أمتنا اليوم ونحن قلقون لذلك. . .

إنَّ الخيانات التي قاموا بها والدعايات التي روَّجوا لها ضدّ الإسلام وضدّ القرآن الكريم ليبعدوا الناس عن القرآن الكريم ويبعدوا أخواتنا وإخوتنا عن الإسلام، ما زالت آثارها موجودة بصورٍ مختلفة.

إحذروا ممن يتحدّث عن الديمقراطيّة دون الإسلام

يجب على المسلمين أن يلتفتوا للأحزاب التي لا تتحدّث عن الإسلام وإنَّما تتحدّث عن الديمقراطيّة، وللجماعات التي لا تهتمّ بالإسلام وإنَّما تهتمّ بالحريّة. يريدون الحريّة ولكن الحريّة من دون الإسلام. فيجب على شعبنا أن يحذر كي لا يدخل في مثل هذه الأحزاب على أقل تقدير.

لقد قدَّمتم أعزّتكم من أجل الإسلام، والآن وقد قدَّمتم الأعزّة تريدون الدخول فيما هو ضدّ الإسلام؟! تريدون أن تذهب دماء أعزّتكم هدراً؟! احذروا!! إنَّهم يريدون أن تذهب دماؤكم هدراً. إنَّ اجتماعاتهم معارضةٌ

للإسلام... وكان كلامهم معارضاً للإسلام. اجتنبوهم أيّها المسلمون! لا تتعاونوا مع هؤلاء. ابتعدوا عنهم. اجتنبوا عنهم.

الإسلام يعطي الحريّة ولا حريّة من دون الإسلام

إنَّهم يريدون الحريّة من دون الإسلام. هذا طريقٌ غير طريقكم. أنتم تريدون الإسلام. نحن نريد الإسلام، والإسلام يعطينا الحريّة. ولا نريد الحريّة بدون الإسلام. إنّهم يريدون الاستقلال من دون القرآن، ونحن نريد القرآن.

(الإسلام من غير علماء) خيانةٌ لإقصاء الإسلام

إنَّهم إذا أعطونا جميع الحريّات، وكُلَّ ألوان الاستقلال مقابل أن يأخذوا القرآن منَّا فإنَّنا لا نقبل بذلك. إنَّنا متنفّرون من الحريّة بدون القرآن. إنَّنا متنفّرون من الإستقلال بدون الإسلام. إنَّنا متنفّرون من قولهم: الإسلام من غير علماء.

إنَّ (الإسلام بدون علماء) خيانة. إنَّهم يريدون القضاء على الإسلام، فيقومون بالقضاء أولاً على العلماء. يقولون ابتداءً: إنَّنا نريد الإسلام ولكنَّنا لا نريد العلماء! وبإخراج العلماء لا يبقى الإسلام، إنَّ الإسلام إنَّما وصل إلينا بجهود العلماء.

انتبهوا! أيتها السيدات انتبهن! أيها السادة انتبهوا! ضعوا قضاياكم الشخصيّة جانباً. ضعوا المسائل الصغيرة جانباً. ضعوا الحاجات الثانويّة جانباً. فليس الوقت أن يقول أحدكم: إنَّني محتاجٌ، إنَّني لا أملك شيئاً. إنَّهُ وقت دعم الإسلام وتقويته.

يجب على جميع الطبقات أن تنتبه، على العمّال أن ينتبهوا، على المزارعين وأصحاب الأراضي أن ينتبهوا، على الكسبة أن ينتبهوا، على الجامعيين أن ينتبهوا، إنَّ مشروع (الإسلام بدون علماء) يعني إقصاء الإسلام. ففي البدء يعملون على إقصاء علماء الإسلام ومن ثم يقوموا برمي كتب العلماء في البحر! انتبهوا!

إلتفتوا إلى الخطر الكبير

إنَّني ألفت انتباهكم إلى هذا الخطر، إلى هذا الخطر العظيم. إنَّ الخطر كبيرٌ. إنَّهم يحاولون تنفيذ مخطّطاتهم عبر سُبُلٍ مخادعةٍ من قبيل: إنَّنا نريد الحرية، إنَّنا نريد الديمقراطيّة، نريد الاستقلال. ولكن ماذا عن الإسلام؟ من دون الإسلام؟!!! فالإسلام لا مكان له في كُلِّ كلامهم. لو لم يكن الإسلامُ مطروحاً لكنتم تعيشون الآن في الأقبية والحفر. لقد كنتم تعيشون خارج البلد، لو كنتم داخل البلد لكنتم عشتم في الحفر والأقبية، لكنتم عشتم في الكهوف، ولما استطعتم الظهور. إنَّ الإسلام هو الذي حرّركم وجاء بكم إلى الساحة. لا تتحرّكوا ضدّ الإسلام.

هناك مؤامرة ضدّ الإسلام فالتفتوا لها

أخواتي، إخواني، أعزائي، التفتوا إلى أنَّ هناك مؤامرة تحاك ضدّ الإسلام. إنَّ الجماعات المختلفة التي أعرضت عن الإسلام، وكانت من البداية غير مهتمة به، قد بدأت بالتحرّك والاجتماع.

يجب عليهم إعادة النظر في أعمالهم، إعادة النظر في اجتماعاتهم، فالشعب لا يستطيع تحمّل التآمر، إنَّنا لا نتحمّل هذه المؤامرة. إنَّ هذه مؤامرة، إنَّها مؤامرةٌ تحاك ضدّ الإسلام، ضدّ الشعب.

الحرية تكون ضمن حدود القانون وعدم الإساءة للإسلام

الحرية لا بأس، وأمّا التآمر فإنّنا لا نسمح به. ليس معنى الحرية أن تجلسوا وتتحدّثوا بما يتعارض مع الإسلام، فالحرية تكون ضمن حدود القانون. إنَّ دين بلادنا هو الإسلام، فالحرية لا بُدَّ أن تكون ضمن حدود، وأن لا تسيء إلى الإسلام، إنَّ قانوننا الأساسي يعتبر الدين الإسلام.»[1].

الجماعات الداعيّة إلى إقصاء القرآن

«أنتم لم تنسوا أنّكم وبعد أن حطّمتم هذا الحاجز الشيطاني، وشكّلتم الجمهوريّة الإسلاميّة، ظهرت مجموعات تطالب بفصل الإسلاميّة عن الجمهوريّة، وهذا الهجوم على ذلك المفهوم للنيل من تلك النقطة التي نصرتكم.

ما جعل النصر حليفكم هو الإسلام والجمهوريّة الإسلاميّة، لذا صار هو الهدف، إذ قالوا: نريد جمهوريّة، لكن ليس إسلاميّة، فالجمهوريّة تكفي، وهي جيدة، ولا بأس أن تضعوا إلى جانبها الجمهوريّة الديمقراطيّة. ابتعدوا عن الإسلام وسمّوها بأيّ اسم تشاؤون، فهم لا يخالفون أيّ اسم تضعونه على جمهوريّتكم، ما دام لا يضرّهم بشيءٍ؛ لأنّهم لم يتلقوا ضربة منها. وهم يقبلون الجمهوريّة الديمقراطيّة؛ لأنّها لا تصدّهم عمّا يريدون، فقد تلقوا الضربة من الجمهوريّة الإسلاميّة، تلقوا الضربة من (الله أكبر)، ولذا

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جمعاً من نساء منظمة حماية الأسرة، وأهالي «بناب». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق. ج٧، ص٣٤٨ ـ ٣٤٩.

يقولون: يجب وضع (الله أكبر) جانباً، يجب وضع القرآن أيضاً جانباً.[١].

اتهام القرآن والإسلام بالرجعيّة

دعوا الأعداء يقولون ما يشاؤون. الزموا أنتم طريق الله ﷻ. فالطريق الواضح هو طريق الله ﷻ. الطريق الذي سلكه الأنبياء ﷺ. أولئك اعتبروا الرسول ﷺ رجعيّاً! وهكذا القرآن! وفي الحقيقة ليس هذا هو مطلبهم، إنَّهم يعملون لمصلحة الآخرين. وعلى شبابنا المتبصّر أن ينظروا عواقب الأمور، ويسألوا أولئك ماذا يريدون؟ فإن كنتم تريدون أن تعملوا للشعب، فلِمَ تحرمونهم زراعة أراضيهم؟ ولِمَ تمنعون الشعب من تشغيل مصانعه؟ ولم تحرقون بيادر هي حاصل سنةٍ لأسرةٍ واحدةٍ. وانتم يا من تدَّعون العمل للشعب وتسمّون الآخرين بالرجعيّين راجعوا أنفسكم، فهؤلاء يخدمون الشعب وأنتم تخدمون الآخرين.[٢].

لنا أسوّة بموالينا وسادتنا وأوليائنا المعصومين ﷺ ورسول الله ﷺ فقد تحمّلوا المشاقّ أيضاً. وما تحمّلوه ربَّما لا يمكننا تحمّله. ما عاناه الرسول ﷺ لا يمكننا تحمّله، فنحن قطرةٌ في هذا البحر اللامتناهي،

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدَّسة»، خلال لقائه الطلبة الجامعيين في «تبريز» و«طهران» المشاركين في المظاهرات، وعمّال «تبريز»، وموظفي مصرف «شهريار»، حرّاس مسجد «ولي العصر» في منطقة «سرآسياب دولاب». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق. ج١١، ص٢٩٦.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاه في «قم المقدَّسة»، خلال لقائه جمعاً من مرتدي الأكفان من أهالي «شهر كرد» و«بابل». راجع: صحيفة الإمام قدس سره، مصدر سابق. ج١١، ص٤٠٠.

وبمقدار قطرةٍ واحدةٍ، ذرّةٍ واحدةٍ يمكن أن نضحي، ولا بدّ أن نضحّي. فهو الإسلام والقرآن والله ﷻ.

كُلُّ ما نقدّمه في طريق الإسلام وطريق الله ﷻ وطريق القرآن هو فخرٌ لنا. إنَّهُ طريق الحقّ. دعوا أتباع الباطل يقولون ما يشاءون، وذروهم يسومونكم بالرجعيّة. دعوا أولئك الذين يعملون للآخرين غافلين عن شعبهم وبلدهم. تمرّدوا على شعبهم وبلدهم، وخدموا الشرق والغرب. دعوهم يصفون الذين يعملون في بلدهم ولبلدهم ولاستقلالهم بالرجعيّة.

أتركوا الحكم للعالم، فهل الشعب الذي طرد الأعداء، أعداء البلد، والمجرمين، والخونة، ويريد الحريّة والاستقلال، هل هذا الشعب رجعيٌّ؟!، أو أولئك الذين يخدمون المجرمين المطرودين؟ أليس الذين يحاولون سلب شعبنا الاستقلال ومصادرة حريّاته هم الرجعيين؟ هل الرجعيّ من يريد التخلّص من الظلم ويطالب باستقلاله؟ هل الذي يرفض الارتباط بالشرق والغرب ويجابههما بحزمٍ طالباً الحرية لشعبه، رجعيٌّ؟ أو من كان دأبه وما زال خدمة أعداء الشعب بحجّة العمل للشعب فيميل مرّة لليسار وأخرى لليمين؟»[1].

ترويج الدعايات ضدّ القرآن الكريم

«إنَّ المصائب في الوقت الحاضر كثيرةٌ أيضاً. إنَّ تبعات خياناتهم لنا ولشعبنا ما زالت قائمة. إنَّ الخيانات التي قاموا بها والدعايات التي روَّجوا

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﵀ قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جمعاً من مرتدي الأكفان من أهالي «شهر كرد» و«بابل». راجع: صحيفة الإمام ﵀، مصدر سابق. ج١١، ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

لها ضدّ الإسلام وضدّ القرآن الكريم ليبعدوا الناس عن القرآن الكريم ويبعدوا أخواتنا وإخواتنا عن الإسلام، ما زالت آثارها موجودة بصورٍ مختلفةٍ.»[١].

القيامُ على القرآن باسم القرآن!

«لقد خدعكم قادة المنافقين والخونة، وحوّلوكم إلى ألعوبة في أيديهم، وبينما هم يختبئون في أوكارهم، قاموا بجركم إلى الشوارع، ليكون حدوث تلك الفاجعة على أيديكم. في وجه من تريدون أن تقفوا؟ وفي وجه من أعلنتم الجهاد المسلّح؟ لقد أعلنتم الجهاد المسلّح ضدّ شعب كان يقدّم دماءه طوال ثلاثة وعشرين عاماً، ثمناً لقطع يد أمريكا ومعسكرها والاتحاد السوفييتي ومعسكره عن هذا الوطن. إنَّكم تريدون الوقوف في وجه هذا الشعب! لقد دفعوكم للقيام بأعمال سوّدت وجه التاريخ، فهل فكرتم بما تقومون به، وبمن يقوم بدفعكم للقيام بهذه الأعمال؟ ومن هم أولئك الذين يدعونكم للجهاد والمقاومة، بينما يختبئون هم في جحورهم؟! في وجه من تريدون الوقوف؟ في وجه الإسلام؟! أم في وجه الجمهوريّة الإسلاميّة؟! أم في وجه القرآن؟! وهل تقفون في وجه الإسلام والقرآن باسم القرآن؟! وباسم الإسلام تحاربون الإسلام؟! وباسم الحريّة تقاتلون الحريّة؟!

استيقظوا!! وانصحوا شبابكم، فلو حشدتم كُلَّ ما تملكون من قوى لمواجهة هذا الشعب العظيم، المسلّح والغيور فلن تكونوا أكثر من قطرةٍ في وجه سيلٍ عارمٍ، فلماذا تدفعون بأنفسكم إلى الإثم والإجرام؟»[٢].

---

(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في «قم المقدّسة»، خلال لقائه جمعاً من نساء منظمة حماية الأسرة، وأهالي «بناب». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق. ج٧، ص٣٤٧.

(٢) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه=

يدَّعون الإسلام ويعملون ضدَّ القرآن!!

﴿إنَّ المنافقين وأمثالهم فاقوا في جرائمهم مجرمي التاريخ، وخطفوا الخبث واللؤم من لئام التاريخ، ولا أعتقد أنَّكم تجدون جماعةً تبلغ جرائمهم ولؤمهم حدَّ جرائم هذه الزمرة المنافقة، الذين يدَّعون الإسلام ولكنَّهم يعملون ضدَّ القرآن ويظهرون الكفر، ويرفعون شعار الدفاع عن الشعب، ولكنَّهم يمارسون الظلم ضدّ الفقراء والعمال والمستضعفين.

إنَّ هؤلاء يدَّعون أنَّهم سياسيون، لكنَّهم بأعمالهم الحمقاء يعزلون أنفسهم عن الشعب، ويدَّعون العلم والرؤية العالميّة، لكنَّهم في الحقيقة جهلة، ويدَّعون خدمة الوطن، لكنَّهم يخدمون أعداء الوطن، ويدَّعون الاستقلال والتحرّر، لكنَّهم يرتبطون بالقوى الشيطانيّة.﴾[1].



=مختلف فئات الشعب، العاملين في القاعدة الجويّة الرابعة، عناصر قوى التعبئة في «خميني شهر»، أعضاء مكتب «قم» للتبليغ، وفود من سكان مدينة «دامغان»، العاملين في المجالات الثقافيّة في مدينة «مسجد سليمان». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، ج١٤، ص٣٧٩ ـ ٣٨٠.

(١) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد وجهه من حسينيّة جماران في «طهران»، إلى الشعب الإيراني المسلم. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، ج١٦، ص٣٧١.

توصيةٌ ونصيحة

التنبّه من التفسيرات الخاطئة للقرآن الكريم ونهج البلاغة

﴿ على [الشباب] أن يتنبهوا بوعيٍ كاملٍ ألا يجرهم عملاء الأجنبي إلى أحضان الشرق والغرب حتى إذا كان ذلك باسم الإسلام الأصيل. وأن ينتبهوا ليعرفوا ماذا يعرف هؤلاء عن الإسلام اذ يتحدّثون عن الإسلام الأصيل. وما مدى اطلاعهم على قوانين الإسلام وأحكامه، وما مدى التزامهم بأوامر القرآن الكريم والإسلام العظيم ونواهيه.

على الشباب الأعزاء... أن يعلموا أنَّ قادة ورؤساء الأحزاب الذين يريدون إضعاف الإسلام باسم الإسلام، ويحاولون توريط الشباب، ليس لديهم أدنى اطلاع عن الإسلام وأهداف قوانينه. ولا يمكن للإنسان أن يصبح عالماً بالإسلام من خلال قراءة عددٍ من الآيات، وبعض الجُمل من نهج البلاغة، وتقديم التفاسير الخاطئة والجاهلة للإسلام.

إنَّهم ينكرون الآيات والجمل الصريحة التي تخالف نهجهم المنحرف الانتقائي من خلال تفسيرٍ منحرفٍ لبعض الجمل وعدّة آيات. وفي الحقيقه فإنَّ تمسّكهم بالقرآن ونهج البلاغة يهدف إلى القضاء على الإسلام والقرآن، ليفتحوا الطريق أمام قادتهم الغربيين والشرقيين، ويعبئوكم أنتم الشباب الأعزاء الذين تعدون ثروات للبلاد ضدّ مصالح بلادكم.

أيها الشباب الأعزاء تيّقظوا وادرسوا نشاط المنافقين الذين هم بمثابة مكبّرات صوت للفكر الغربي، ونشاط المنحرفين الذين هم بمنزلة مكبّرات صوت للفكر الشرقي بكُلّ تفكيرٍ وعقلانيّةٍ.

إنَّ أكبر دليل على عدم صحّة طريقهم اليوم هو تضامن جميع القوى المعادية للثورة، ومحاولتهم جميعاً في معارضة الجمهوريّة الإسلاميّة التي هي مطلب الشعب، والتي قدَّم الشعب المجاهد الشريف حياته لأجلها، وقدَّم أبناءه الأعزاء في سبيل تحقيقها.

إنَّ صدقهم في إسلاميتهم يُشبه صدقهم في ادعائهم معاداة الغرب وأمريكا، حيث ثبت للجميع صدقهم في انجرارهم إلى أحضان الغرب ودفاع الغرب اللامتناهي عنهم(١). كما أنَّ صدقهم في ادعائهم الدفاع عن الشعب قد ثبت، إذ رأيناهم يقتلون الشعب ويحرقون أمواله وينهبون البنوك.

إنَّ هدفهم المشؤوم كان منذ البداية الإسلام، وقد جعلوا القرآن ونهج البلاغة ألعوبةً بأيديهم، وأوقعوا الشباب المخلصين في شركهم؛ حتى يضيّعوا شبابهم في سبيل أهدافهم الاستعمارية.﴾(٢).

لا تنخدعوا بالمنافقين

﴿ يجب تقديم النصح لهؤلاء الشباب المنخدعين بالمنافقين وأمثالهم،

---

(١) إشارة إلى هروب الرئيس المخلوع أبو الحسن بني صدر، وقادة منظمة منافقي خلق الإرهابيّة، ومنح الدول الأوروبيّة اللجوء لهم، ودعم الغرب المستمر للمنافقين وسائر مناهضي نظام الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران.

(٢) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷿ قد وجهه من حسينيّة جماران في «طهران»، إلى أساتذة ومعلّمي وطلّاب الجامعات والثانويات، بمناسبة بداية العام الدراسي الجديد. راجع: صحيفة الإمام ﷿، مصدر سابق، ج١٥، ص٢١٧ ـ ٢١٨.

وأن تتمّ الدعوة إلى الحقّ. يجب تفهيم هؤلاء أنَّ من يدعونكم إلى الثورة ضدّ الجمهوريّة الإسلاميّة إنَّما يخالفون الإسلام ويريدون القضاء على الإسلام باسمه، ولم يكونوا يوماً منسجمين مع الأهداف الإسلاميّة. لقد جعلوا نهج البلاغة والقرآن وسيلتين لكي يقضوا على نهج البلاغة والقرآن، وانخدع هؤلاء الشباب الغافلون والبنات الغافلات والأولاد الغافلون بدعاياتهم المضلّله، ليواجهوا الشعب ويريدون القيام بعمل ضدّ هذا الشعب. عليهم أن يدركوا الآن أنَّهم لن يستطيعوا القيام بأيّ شيءٍ. فإذا ما أرادوا الخروج إلى الشوارع بهدف المشاغبة فإنَّ الناس سيؤدبونهم بأنفسهم.»[1].



(١) من خطابٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد ألقاه في حسينيّة جماران في «طهران»، خلال لقائه وعّاظ «طهران» و«قم» وخطبائهما، أعضاء مكتب الإعلام الإسلامي في «قم»، وأعضاء المجمع الإسلامي لبلديّة «طهران». راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١٥، ص٢٩٢.

خاتمةٌ ودعاء

﴿ لقد سلكنا في هذه الأوراق طريق الإيجاز، ورفضنا التفصيل والتطويل بالإغماز، فإنَّ المجال ضيّق، والحال غير موافق، وأهل الزمان غير شائق لهذه الحقائق، بل في هذا العصر ـ الذي عُدَّ العصر الذهبي ـ يكون كسب المعارف وطلب العلوم الدينيّة عاراً على عار، وخرجوا فوجاً بعد فوج عن هذا الشِعار، وتركوا أديانهم لزخرف الدنيا الدنيّة، ورفضوا إيمانهم لزبرج الأمور الطبيعيّة، فاستحقروا الدّين وأهله استحقاراً، واستكبروا على أهل الشريعة والعلم استكباراً، وهتكوا حرمة الإسلام وناموس القرآن سرّاً وجهاراً، ووضعوا القوانين الملعونة خلاف صراحة القرآن، ومالوا في القضاء عن طريقة البيّنات والأيمان، وجلس في مقام النبي ﷺ والوصيّ كلُّ فاسقٍ وجاهل، وتولّى الحكومة على الناس كُلُّ سافلٍ وأراذل، مع هذه القواعد المجعولة والعقول الناقصة، ولقد ضاقت الأرض على أهل العلم والدّيانة لا مفرّ لهم، وبهذه البلاد الّتي أشبه ببلاد الكفر لا مقرّ لهم، ولقد عدّ لباسهم لباس الشهرة والذلّة، ولا يأتي على أحد فوق ذلك من المذلّة، فهذا الزمان هو الّذي أخبر أهل البيت عليهم السلام بأنَّهُ لا يبقى فيه من الإسلام إلّا اسمه، ولا من القرآن إلّا درسه[1].

---

(١) راجع: بحار الانوار، ج٢٢، ص٤٥٣، الحديث: ١١.

اللهم عظُم البلاء، وبَرِحَ الخفاء، وانقطع الرّجاء، وضاقت الأرضُ ومُنعتِ السّماء، فإليك يا ربّ المشتكى، وعليك المعوّل في الشدّة والرّخاء[١].

اللهمّ بلّغ مولانا صاحب الزمان عن جميع المؤمنين والمؤمنات تحيةً وسلاماً واجعله لنا ملاذاً ومعاذاً، اللّهم اجعله الدّاعي إلى كتابك والقائم بدينك، استخلفه في الأرض كما استخلفتَ الّذين من قبله، مكّن لهُ دينهُ الذي ارتضيتَهُ لَهُ، أبدِلهُ مِن بعد خوفه أمناً يعبُدكَ لا يُشرك بكَ شيئاً[٢].

ولقد تركنا بلادنا وجعلنا ملاذنا ومعاذنا عن هذه الشرور الّتي في هذه الأوان والمصائب الّتي في مثل الزمان إطاعةً للأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، حرم أهل البيت مدفن فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر ـ سلام الله عليهم أجمعين ـ بلدة قم صانها الله عن هذه الشرور، وجعلها لنا ولكافّة أهل العلم والإيمان دار الأمن والسرور...﴾[٣].

﴿أيّها القرآن، أيّها التحفة السماويّة والهدية الرحمانيّة! أنزلك الله كي تحيي قلوبنا وتفتح آذاننا وأعيننا. أنت نور الهداية والمرشد إلى سعادتنا، تريد إخراجنا من مقام الحيوانيّة إلى أوج الإنسانيّة وجوار الرحمن، وللأسف لم يعرف بنو آدم قدرك ولم يَرْوَ لزوم اتباعك، فالأسف إذ لم تطبّق قوانينك في الدنيا لتصير، هذه البيوت المظلمة ومحلات الفئة المتوحّشة

---

(١) راجع: بحار الانوار، ج٥٣، ص٢٧٥، الحكاية الأربعون.

(٢) راجع: مصباح المتهجّد: ص٥٢٣.

(٣) راجع: تعليقة الإمام الخميني ﷺ على الفوائد الرضوية، ص١٥٩ ـ ١٦٠ ـ ١٦١.

المفترسة التي تعتبر نفسها متمدني هذا العالم، غبطةَ الجنّة الراقية ويحتضن الجميع عروس السعادة في هذه الدنيا.﴾[١].

﴿نسأل الله تعالى أن يحفظ الإسلام والمسلمين والدول الإسلاميّة من شرّ الأعداء، وأن يحمي الإسلام والحوزات العلميّة الإسلاميّة من المستعمرين والخونة، وأن يوفق علماء الإسلام والمراجع العظام للدفاع عن أحكام الشريعة المقدَّسة ونشر تعاليم القرآن المجيد، وأن يوفق العلماء وطلاب العلوم الدينيّة للتنبه للأخطار المحدقة بهم، ووعي مسؤولياتهم الجسيمة في عصرنا الحاضر.

كما نسأله تعالى أن... يوفّق الأمّة الإسلاميّة للتحرّر من نوم الغفلة واجتناب الخمول والتحجر والكسل، لكي تعود إلى ذاتها من خلال استلهام تعاليم القرآن النورانيّة والثوريّة، وينهضوا ويقطعوا أيادي الاستعمار وأعداء الإسلام الألداء عن البلدان الإسلاميّة بوحي من الاتحاد والوحدة، ويحقّقوا الحرية والاستقلال والمجد والعظمة الضائعة.﴾[٢].

﴿إلهي! أنقذ القرآن الكريم وناموس المسلمين من شرّ الأجانب.﴾[٣].

﴿اللَّهم اجعل عاقبتنا مقرونةً بالسعادة، واجعلنا معتصمين بطرف حبل المعرفة ومحبّة الله. واقطع عن قلوبنا أيدي تطاول العفريت الرجيم

---

(١) راجع: كشف الأسرار، للإمام الخميني ﷺ، مصدر سابق، المقالة الثالثة: العالم، ص٢٠٧، تحت عنوان: (تدخل آخر في المعقولات).

(٢) راجع: الجهاد الأكبر، الإمام الخميني ﷺ، ص٧٤ ـ ٧٥.

(٣) من نداءٍ كان الإمام الراحل ﷺ قد وجّهه من (قم المقدَّسة) إلى الشعب الإيراني المسلم، بمناسبة الاعتراض على انتهاك أحكام الإسلام والقرآن من قبل نظام الشاه الفاسد. راجع: صحيفة الإمام ﷺ، مصدر سابق، ج١، ص١٦٢.

والشّيطان. وأوقد جذوةً لمحبّتك في قلوبنا لتثمر جذبةً إليك، وأحرق محصول النفس وعبادتها ـ لدينا ـ بنور نار عشقك؛ لكي لا نرى غيرك ولا نحبّ سواك، ولا نلقي رحال سفر قلوبنا سوى في ساحة حضرتك.

أيّها المحبوب... نحن عنك بعيدون، وعن جمالك الجميل مهجورون (مبعدون) إلا أن تتدخّل أياديك الكريمة، وترفع الحجب السميكة، لكي نجبر فيما بقي ما سلف من العمر.»[1].

« ولنختم الكلام بالحمد لله الملك العلّام، والصلاة والسلام على أنبيائه وأوليائه العظام؛ خصوصاً سيّدهم وأشرفهم، محمّد وآله، صلوات الله عليهم أجمعين.»[2].



(١) راجع: سرّ الصلاة، الإمام الخميني قدس سره، ص٢٠٥.

(٢) راجع: مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، الإمام الخميني قدس سره، ص٩٠.



المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ



المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ آداب الصلاة، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، الشؤون الدوليّة، طهران، إيران، ط: السادسة، ٢٠٠٣م.

٣ ـ الأربعون حديثاً، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، تعريب السيّد محمد الغروي، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، الشؤون الدوليّة، طهران، إيران، ط: الثانية، ٢٠٠٣م.

٤ ـ أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر دار الكتب الإسلاميّة، طهران، إيران، ط: الخامسة، ١٣٦٣هـ/ ش.

٥ ـ إقبال الأعمال، السيّد ابن طاووس رحمه الله، تحقيق الشيخ جواد القيومي الأصفهاني، نشر بستان كتاب التابع لمكتب الإعلام الإسلامي في قم المقدسة، إيران، ط: الثانية.

٦ ـ الأمالي، للشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسسة البعثة، نشر مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ/ق.

٧ ـ أنوار الهداية في التعليقة على الكفاية، السيّد الإمام روح الله الموسوي

الخميني قُدّس سرّه، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قُدّس سرّه، الشؤون الدوليّة، طهران، إيران، ط: الأولى، ١٤١٣هـ/ ق.

٨ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي رحمه الله. نشر مؤسّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط: الثانية المُحققة، ١٤٠٣هـ/ ق، ١٩٨٣م.

٩ ـ البرهان في تفسير القرآن، العلّامة السيّد هاشم البحراني، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الإخصائيين، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩هـ/ ق، ١٩٩٩م.

١٠ ـ تحف العقول، ابن شعبة الحراني، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلميّة في قم المقدّسة، ١٤٠٤ هـ/ ق.

١١ ـ التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف، السيّد علي الحسيني الميلاني، نشر دار القرآن الكريم، قم المقدّسة، إيران، ط: الأولى، ١٤١٠ هـ/ ق.

١٢ ـ التعليقة على الفوائد الرضوية، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قُدّس سرّه، تحقيق ونشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قُدّس سرّه، طهران، إيران، ط: الثالثة، ١٤٢٧هـ/ ق.

١٣ ـ تفسير الصافي، الملا محسن الفيض الكاشاني قُدّس سرّه، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٢هـ/ ق، ١٩٨٢م.

١٤ ـ تفسير سورة الحمد، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قُدّس سرّه، جمع وتحقيق السيّد أحمد صولي الحسيني العاملي، نشر دار الولاء، بيروت لبنان، ط: الأولى، ١٤٣١هـ/ ق، ٢٠١٠م.

١٥ ـ تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي رحمه الله،

تحقيق السيّد هاشم الرسولي المحلاتي، نشر مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم المقدسة، إيران، ط: الرابعة، ١٤١٢هـ/ ق.

١٦ ـ تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي رحمه الله، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، إيران، ط: الثانية، ١٤١٤هـ.

١٧ ـ تهذيب الأصول، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، تقرير آية الله الشيخ جعفر السبحاني، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، الشؤون الدوليّة، طهران، إيران، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ق.

١٨ ـ جنود العقل والجهل، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، تعريب السيّد أحمد الفهري، نشر انتشارات ذوي القُربى، قم المُقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ/ ق، ١٣٨٠هـ/ ش.

١٩ ـ الجهاد الأكبر، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، طهران، إيران، ١٤٢٠هـ/ ق، ١٩٩٩م.

٢٠ ـ حقائق هامّة حول القرآن الكريم، العلامة المحقّق السيّد جعفر مرتضى العاملي، نشر المركز الإسلامي للدراسات، بيروت، لبنان، ط: الخامسة، ٢٠١٠م.

٢١ ـ الحكومة الإسلاميّة أو «ولاية الفقيه»، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره، الشؤون الدوليّة، طهران، إيران، ط: الأولى، ١٩٩٦م.

٢٢ ـ الخصال، الشيخ الصدوق رحمه الله، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، إيران، ١٤٠٣هـ/ ق.

٢٣ ـ رسالة العروة الوثقى، الشيخ بهاء الدين العاملي ﭬ، طبعة دار القرآن الكريم، قم المقدسة، إيران، ١٤١٣هـ/ ق.

٢٤ ـ سرّ الصلاة أو «معراج السالكين وصلاة العارفين»، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني ﭬ، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ﭬ، الشؤون الدوليّة، طهران، إيران، ط: الخامسة، ١٤٣٠هـ/ ق، ٢٠٠٩م.

٢٥ ـ شرح دعاء السَّحَر، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني ﭬ، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ﭬ، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤١٦هـ/ ق.

٢٦ ـ صحيفة الإمام الخميني ﭬ، الطبعة الإلكترونية الصادرة عن مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ﭬ، قم المقدسة، إيران، ١٤٣١هـ/ ق، ٢٠١٠م.

٢٧ ـ صحيفة الإمام الخميني ﭬ، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ﭬ، الشؤون الدوليّة، طهران، إيران، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ/ ق، ٢٠٠٩م.

٢٨ ـ صيانة القرآن من التحريف، الشيخ محمّد هادي معرفة ﵀، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرَّفة، قم المقدَّسة، إيران، ط: الثالثة، ١٤٢٨هـ/ ق.

٢٩ ـ الطلب والإرادة، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني ﭬ، تحقيق ونشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ﭬ، طهران، إيران، ط: الثالثة، ١٤٢٧هـ/ ق.

٣٠ ـ عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الإحسائي ﵀، تحقيق مجتبى العراقي، مطبعة سيّد الشهداء ﵇، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ/ ق.

٣١ ـ عيون أخبار الرضا ﵇، الشيخ الصدّوق ﵀، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/ ق، ١٩٨٤م.

٣٢ ـ كشف الأسرار، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني ﭬ، نشر مكتبة

الفقيه، السالمية، الكويت، ودار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط: الثانية، ١٤٢١هـ/ ق، ٢٠٠٠م.

٣٣ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي ﵀، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥هـ/ ق، ١٩٩٥م.

٣٤ ـ مستدرك الوسائل ومُستنبط المسائل، الشيخ الميرزا حسين النوري الطبرسي ﵀، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت ﵈ لإحياء التُراث، ط: الثالثة، ١٤١١هـ/ ق، ١٩٩١م.

٣٥ ـ مُستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي ﵀، تحقيق الشيخ حسن بن علي النمازي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، إيران، ١٤١٨هـ.

٣٦ ـ مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، السيّد الإمام روح الله الموسوي الخميني ﵏، نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ﵏، قم المقدسة، إيران، ط: الأولى، ١٣٧٢هـ/ ش.

٣٧ ـ معالم الأصول، الشيخ حسن بن الشهيد الثاني ﵀، نشر دار الفكر، قم المقدَّسة، إيران، ط: الأولى، ١٣٧٤ هـ/ ق.

٣٨ ـ معاني الأخبار، الشيخ الصّدوق محمد بن علي بن بابويه القمي ﵀، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، إيران، ١٣٧٩هـ/ ق.

٣٩ ـ مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي ﵀، طبعة دار الرسول الأكرم ﷺ ودار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/ ق، ١٩٩٦م.

٤٠ ـ مكارم الأخلاق، الشيخ أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي ﵀، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، إيران، ط: الثالثة، ١٤٢١هـ/ ق.

٤١ ـ نهج البلاغة، من خطب وكلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵇،

جمع الشريف الرضي ﷺ، شرح الشيخ محمد عبده، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط: الأولى المُصَحّحة، ١٤١٣هـ/ق، ١٩٩٣م.



المحتويات



المحتويات

القسم الثاني : علوم القرآن

القسم الثالث: الأُمّة والقرآن



﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ
وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ
وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

يونس: ١٠

من إصداراتنا

* جمع وتحقيق:

١ ـ تفسير سورة الحمد ـ للإمام الخميني قدس سره

٢ ـ سيماء المعصومين عليهم السلام في فكر الإمام الخميني قدس سره

٣ ـ القرآن كتاب الهداية في رؤية الإمام الخميني قدس سره ـ وهو هذا الكتاب.

* تنظيم وتحقيق:

ـ ديوان الإمام الخميني قدس سره ـ المجموعة الشعريّة الكاملة

* من إصداراتنا الرقميّة

ـ إصدار برنامج للحاسوب تحت عنوان (حمد العارفين) يحتوي على:

* خمس محاضرات معرفيّة في تفسير بسملة سورة الحمد المباركة كان الإمام الراحل قدس سره قد ألقاها عام ١٩٨٠م عبر شاشة تلفزيون الجمهوريّة الإسلاميّة بعد انتصار الثورة الإسلاميّة المباركة بأشهر قلائل.

* المتن الكامل لصحيفة الإمام الخميني قدس سره الجامعة لخطاباته ونداءاته ومقابلاته ورسائله الشخصيّة.

ـ المتن الكامل لبعض مؤلفات الإمام الخميني قدس سره: (الأربعون حديثاً، آداب

الصلاة، سرّ الصلاة، شرح دعاء السحر، جنود العقل والجهل، الجهاد الأكبر، الحكومة الإسلاميّة وولاية الفقيه، وغيرها...).

- إطلالة شاملة على سيرة ومسيرة الإمام الخميني قدس سره.
- عشرات الكتب والأبحاث والمقالات حول سيرة ومواقف وأفكار الإمام الخميني قدس سره والإمام القائد الخامنئي دام ظله.
- مجموعة كبيرة من الصور والأفلام الوثائقيّة والملفّات الصوتيّة.